وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس -

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة

الاقتصاد الصوتي في القراءات القرآنية

ـ سورة البقرة نموذجا ـ

إعداد الطالب :

ـ مرسلي بغداد

إشراف الدكتورة:

ـ رفاس سميرة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ طيبي أمينة	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د/ رفاس سميرة	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د/ شعيب سليمة	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د/ صادق فاطمة	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
د/صغير فاطمة	المركز الجامعي مغنية	عضوا مناقشا
د/ خثير عيسى	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2019 ـ 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

إلى:

- الوالدين غفر الله لهما ورحمهما.
- الزوجة الكريمة، والأبناء حفظهم الله.
- الأساتذة والزملاء والأصدقاء.

ـ مقدمة ـ

الحمد لله الذي أنزل علينا القرآن الكريم وأكرمنا بتلاوته أناء الليل وأطراف النهار، وصلى الله على سيدنا محمد صاحب الفضل والمنّة على الأمّة، رغّب في حفظ القرآن وتلاوته لعظمة شأن الأجر بأنّ لكل حرف حسنة.

يتعاهد المسلم قراءة القرآن من أجل نيل الأجر العظيم والدرجة الرفيعة، فيتكرر الأداء باستمرار فيتبعه إجهاد يقع على مستوى أعضاء النطق، مما يجعل القارئ بحاجة إلى تقليص جهوده حتى يتمكن من المداومة على هذه العبادة. والقرآن وما يمثله من إعجاز في جوانب كثيرة لا شك أنّه يتميز بسهولة وخفة في الأداء. ونزول القرآن في تلك الفترة على اللهجات العربية التي كانت موجودة في شبه الجزيرة العربية على ما جاء في حديث الأحرف السبعة، فلا محالة أنّه يأتي فيه من الظواهر الصوتية المرتبطة بالبيئة الجغرافية والعادات الأدائية لتلك القبائل.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم من سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (الآية 22)، ففي الآية دعوة المسلم إلى تناول القرآن بالقراءة والتدبر لما فيه من اليسر. فإنّ الذّكر الحكيم يتوافق مع لهجات القبائل العربية المختلفة التي تعد المصدر الرئيسي للقراءات القرآنية، فهو وعاء موروث الأداء الشفوي لها. و تتمايز لهجات القبائل العربية فيما بينها بخصائص لغوية، فالبدوية تختلف عن الحضرية، كما يوجد اختلافات لهجية بين قبائل المنطقة الواحدة، وهذا يجعل اللّغة العربية غنية بالظواهر الصوتية.

ويبدو أنّ بعض اللهجات تجنح إلى اليسر أكثر من غيرها فظهر ذلك في القراءات القرآنية التي كانت متأثرة بها، فتتفاوت الظواهر الصوتية بين القراءات من حيث السهولة،

فتكثر في هذه وتقل في الأخرى. واهتم علماء السلف من لغويين وقرّاء بتبيين تلك المظاهر وحاولوا إبراز حجج تلك السلوكيات الصوتية حين الأداء القرآني، فبرز دور الدلالة لكشف ملابسات الظواهر الصوتية. فقامت الدراسات اللغوية بإبراز الظواهر الصوتية التي ميزت الأداء في اللهجات العربية المختلفة، كما حاول القرّاء وضع أصول القراءات وضبط الأداء. وأما فريق ثالث حاول تقصي الدلالة في كل ذلك.

ولعل ما شدّ اهتمامي ورغبني في البحث في الاقتصاد الصوتي الدراسة التي قام بها "أندري مارتيني" (**Economie des changements phonétiques**)، وكتابه (مبادئ في اللسانيات العامة) وخاصة مبحث (اقتصاد اللسان) هذا من جهة، ومن جهة أخرى الدراسات العربية المتمثلة في كتاب الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد لفخر الدين قباوة. وما زادني إصرار على طرق الموضوع كتب القراءات الغنية بالظواهر الصوتية المرتبطة بالصوامت والصوائت على حدّ سواء. فأردت المزاوجة بين الدرس اللساني الحديث والدرس التراثي للمساهمة في الكشف عن مظاهر الاقتصاد الصوتي المرتبط بالقراءات القرآنية لدعم الجهود الأكاديمية المبذولة.

ومن هذه المنطلقات قامت أمامي تساؤلات عدّة يأتي على رأسها السؤال الرئيسي: هل يتضمن الأداء القرآني مظاهر صوتية مقتصدة في الجهد؟ وكيف تتجلى مظاهر الاقتصاد الصوتي في الصوائت والصوامت معا؟ وماذا عن البعد الدلالي للاقتصاد الصوتي؟ وفي محاولة الإحاطة بظاهرة الاقتصاد الصوتي حاولت معالجة الأسئلة السابقة من خلال دراسة تحمل عنوان:

الاقتصاد الصوتي في القراءات القرآنية ـ سورة البقرة نموذجا ـ.

فكلمة اقتصاد ارتبطت بميدان المال والأعمال في غالبية الاستعمالات الحديثة، إلاّ أنّها وظفت في ميادين مختلفة يأتي على رأسها الصوت اللغوي لما يحمله من إجهاد على

الجهاز النطقي. وأما الصوت اللغوي فهو الوسيلة الأساسية للأداء، وأما القراءات فهي الكيفيات اللغوية والصوتية من أجل أداء كلمات القرآن الكريم لما نلمسه من تغيرات في الصوائت والصوامت.

انطلاقا من أنّ الأصوات اللغوية تتألف من: الصوامت والصوائت، فكان لزاما علي أن أتتبع الاقتصاد الصوتي المرتبط بالصوائت أولا، ثم أقف على مظاهره مع الصوامت ثانيا. فتوجب تتبع كل هذه المظاهر في القراءات القرآنية من خلال سورة البقرة كنموذج مع محاولة التعرض إلى الدلالة للنماذج المتصفة بالاقتصاد. فتطلب البحث أربعة فصول متقدمة بمدخل ومذيلة بخاتمة.

تعرض المدخل المعنون بـ: **مصطلحات الاقتصاد الصوتي** إلى تعريف الاقتصاد الصوتي لغة بالتأصيل للكلمة في المعاجم العربية، ثم تعريفه اصطلاحا بتقفي ذلك في الدراسات اللغوية العربية والأجنبية مع التعرض إلى أهم المصطلحات الواردة عند علماء اللغة من قدماء ومحدثين على حدّ سواء. حاولت أيضا أن أحصي أهم المصطلحات المستعملة من طرف علماء القراءات المنضوية تحت الوظيفة الاقتصادية للأصوات.

وجاء الفصل الأول الموسوم بـ: **مظاهر الاقتصاد الصوتي في الصوائت** لأطرق من خلاله الظواهر الصوتية المتصفة بالاقتصاد والمرتبطة بالصوائت. تحدثت في البداية عن الصوائت العربية محاولا تحديد مخرجها وطريقة حدوثها وكذلك صفاتها. ثم تطرقت إلى الصوائت في الوقف أثناء الأداء القرآني مع الاستعانة ببرنامج Praat الحاسوبي للتفريق بين مقادير الأصوات في الوصل ثم في الوقف، وأتبعت الحديث عن المماثلة في الصوائت. وفي محطة متأخرة من الفصل حاولت توضيح ارتباط الإمالة بالاقتصاد الصوتي، وفي النهاية أردت أن أبين الدور الاقتصادي لظاهرة الحذف، والقلب، والنقل للصوائت.

ثم أدرجت الفصل الثاني الموسوم بـ: **مظاهر الاقتصاد الصوتي في الصوامت،** لأَبْسُط في صدره تعداد الصوامت العربية انطلاقا من المتقدين وصولا إلى المحدثين، ثم التطرق لخصائصها النطقية والأكوستيكية بالاستعانة من حين إلى آخر ببرنامج Praat وقراءة القياسات المسجلة. وفي مرحلة موالية تناولنا صوت الهمزة وما يتبعه في القراءات القرآنية من حذف وإبدال وتسهيل ... وتناولت بعد ذلك ظاهرة الإدغام بداية بالتعريف، ثم عرضا للأنواع.

ومن أجل ربط الظاهرة الصوتية المقتصدة للجهد بالدلالة جاء الفصل الثالث والفصل الرابع، فعنونت الفصل الثالث بـ: **دلالة الاقتصاد الصوتي في الصوائت،** الذي تناولت في بدايته مفهوم الدلالة ومجالات تطبقها، ثم حصرها من منظور البحث في الدلالة التعليلية في أغلب المظاهر الصوتية المتسمة بالاقتصاد في الأداء. ثم تطرقت لدلالة الصوائت في الوقف، وعند المماثلة، وفي الإمالة، وعند الحذف والنقل والقلب.

وتدرجت الدراسة ببحث مظاهر الدلالة في الصوامت فجاء الفصل الرابع بعنوان: **دلالة الاقتصاد الصوتي في الصوامت،** ركزت الاهتمام فيه على الهمزة وما يعتريها من تخفيف في القراءات وتوضيح علل ودلالة تلك التغيرات، كما أوليت ظاهرة الإدغام باهتمام خاص لما جاء مبثوثا في كتب القراءات وما يعترى ذلك من أبعاد دلالية وظيفية.

في الأخير توجت الدراسة بمجموعة من النتائج تضمنتها خاتمة، والتي بدت لي مؤسسة من حيث الطرح والمعالجة. في حين تزودت بمناهج وإجراءات ساعدتني في إنجاز البحث، يأتي على رأسها المنهج الوصفي المتبع في أغلب مراحل الدراسة لأصف التشكيل الصوتي للأداء القرآني للوقوف على الظواهر الصوتية المقتصدة للجهد من الناحية الكيفية والكمية، ثم الاعتماد على المنهج الإحصائي بتعداد نماذج الاقتصاد الصوتي في سورة البقرة. بينما الوسائل المادية مثلتها مجموعة من المصادر والمراجع يأتي على رأسها مؤلفات

تراثية في اللغة وأخرى في القراءات منها النشر في القراءات العشر، وفي التفسير البحر المحيط، ومعجم القراءات. كما استعنت بدراسات أكاديمية حديثة لها صلة قريبة من بحثنا، وأخيرا اعتمدت على برنامج Praat لتحليل الأصوات من أجل إجراء القياسات اللازمة للدراسة.

وأما الصعوبات التي اعترضت طريقي هي كثرة مراجع القراءات القرآنية والتي لم تصب بشكل واضح في موضوع البحث وخاصة البعد الدلالي للاقتصاد الصوتي في القراءات، الذي كنت أتحرج في طرقه مخافة الزلل لما ارتبط الموضوع بالقرآن الكريم كلام الله المقدس. ومع ذلك حاولت استخراج ما أمكن من التعليلات من كتب التفسير، وكتب الاحتجاج، وكتب الإعجاز للملمة شتات البحث في دراسة متناسقة تفي غرض البحث الأكاديمي.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة لما أسدته لي من توجيهات، ودعم وتشجيع لاستكمال هذا البحث، كما أتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الإخوة على كل ما قدموه لي من اقتراحات ذللت لي مصاعب الدراسة، والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة لما ستقدمه لي من توجيهات بعد عناء قراءة البحث. والحمد لله وحده على توفيقه، ونسأله على الدوام العلم النافع والأعمال المتقبلة.

سيدي بلعباس يوم: 27 ماي 2019.

الطالب مرسلي بغداد

تصدير:

يعيش الإنسان طالبا الاستفادة بأقل الجهود، فهو يميل والعربي على الخصوص إلى الاقتصاد في جل جوانب حياته قاصدا المردودية، فيتحرى الاقتصاد في كلامه لأغراض عديدة تتميز بها اللغة العربية. إنّنا نجد النحاة يهتمون بالاقتصاد من حيث الحذف ويؤولونه بالعلامات الإعرابية. وأمّا رجال البلاغة يولون اهتمامهم لمعاني الكلام في الصيغ البيانية والمحسنات البديعية. ولا يمكن للنقاد كغيرهم من رجال المعرفة أن يتأخروا في تناول الاقتصاد في آليات وإجراءات المناهج النقدية الحديثة.

فالأسلوبية تراعي طرق النظم المختلفة وبذلك يكون من اهتماماتها الاقتصاد في التعبير، والتأويلية تُعْنى بتفسير التراكيب اللغوية فإنّها بذلك تؤول المواضع المقتصدة من الكلام. الاقتصاد ظاهرة صحية في اللغة العربية، فإنّك تجد الإيجاز المفيد سمة شائعة في كلام العرب، والأمثال والحكم خير شاهدين على تلك الرؤية. فالأجناس الأدبية العربية تعمد إلى الاقتصاد الفونولوجي عند تشكيل التراكيب اللغوية المختلفة. وقد عُبِّر عن أنماط الاقتصاد اللغوي بمصطلحات عديدة منها الاختصار والإيجاز والحذف والإضمار... وإلى غير ذلك من المصطلحات.

وبِعَدِّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1]" فمن الصواب التحدث عن الاقتصاد في أصوات اللغة. فالإنسان يحبذ سهولة النطق في كلامه مراعيا الجهد الأدنى الذي يبذله عند إعمال أعضائه النطقية. والأصوات فيما بينها تتأثر بفعل المجاورة، هكذا تتجلى ظواهر صوتية عديدة ينحو بها الأداء إلى السهولة وعبر عن ذلك إستيتية قائلا:

1 ـ ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، المكتبة العلمية، مصر، 1952، ص33.

«ليست السهولة عملا نظريا، إنّها أداء وذوق معا »[1] وعلى ضوء ذلك فالسهولة مبنية على الأداء الصوتي للّغة، فيظهر الاقتصاد عند تجاور الأصوات بفعل ذوقي لدى المتكلم.

يتجلى الاقتصاد في الأصوات اللغوية بجانبين: الجانب الأول يخص الوضع الذي تأخذه الأعضاء النطقية للقناة الصوتية وبالتالي مبدأ الجهد الأدنى، والجانب الثاني يترجم الصوت في ناحيته الفيزيائية فيكشف عن خصائصه المختلفة من حيث المقادير. والسبيل الأوحد لكشف ظاهرة الاقتصاد الصوتي هو تعريفها لغويا واصطلاحا.

التعريف اللغوي لمصطلح اقتصاد:

يظهر المعنى اللغوي لمصطلح الاقتصاد في المعاجم العربية من خلال الجذر (قصد)، والذي ورد في لسان العرب على اللفظ: والقَصْدُ في الشّيء: خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتّقتير. كما أنّ القَصْدُ في المعيشة: ألاّ يسرف ولا يقتِّر. "[2] ولا يبتعد معنى (القَصْدُ) في القاموس المحيط عن سابقه إلاّ أنّه قد جاء اللفظ بفتح الصاد والدال: وقَصَدَ في الأمر لم: يتجاوز فيه الحدَّ، ورضي بالتوسط، لأنّه في ذلك يقصِدُ الأسَدَّ، (كالاقتصاد)، يقال: فلان مُقْتصِدٌ في المعيشة وفي النفقة، وقد اقتصد."[3]

أما المعاجم العربية الحديثة كانت أكثر دقة في تناول لفظ الاقتصاد. فقد جاء في المعجم الوسيط أنّ الاقتصاد: علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع "[4]، وهذا مصطلح تستعمله الحضارة الحديثة للمعاملات المادية المختلفة فتفسر من خلال مؤشراته درجة تقدم الدول أو تخلفها، وهذا يبعدنا عن المعنى المرجو من دراستنا، وعاد بنا المعجم في موضع آخر ليفسر معنى كلمة القَصْدُ، فيورد: « (القَصْدُ): يقال: هو على القَصْدِ، وعلى

1 ـ سمير شريف استيتية، علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2012، ص80.

2 ـ ينظر: ابن منظور لسان العرب، مادة قصد، ص3642.

3 ـ ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج9، مادة قصد، ص36.

4 ـ ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص738.

قصد السبيل: إذا كان راشدا، واستقامة الطريق. يقال: طريق قَصْدٌ: سهلٌ مستقيم. والرجل ليس بالجسيم ولا النّحيف »[1] ويظهر جليا من خلال المعاجم المختلفة أنّ أصل الكلمة هو التوسط بين الكثير والقليل من كل أمر، ويميل المعنى حينها إلى الاعتدال.

التعريف الاصطلاحي:

قد تباينت معاني الاقتصاد لغويا وصبت إحداها في معنى السهولة، وهذا يجعلنا نقتفى المصطلح في استعمال اللغويين، فقد ذكر تمام حسان في معرض حديثه عن خصائص اللغة: « تتناهى الألفاظ والأنماط التركيبية ولا تتناهى المعاني، ومن ثم يصبح على العربية أن تعبر بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي، فإذا تحقق لها ذلك فقد تحقق الاقتصاد بعينه. »[2] وجدوى الاقتصاد هو الحصول على المعاني الكثيرة بقليل من التراكيب الموظفة بقليل من الألفاظ، فهذا جانب يعد من سمات الاقتصاد إلاّ أنّه لا يفي الغرض الحقيقي للاقتصاد وخاصة الصوتي منه.

ذكر عبده الراجحي مصطلح الاقتصاد عند تطرقه للإمالة في اللهجات العربية بقوله: « وهذا الانسجام أقرب إلى السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي »[3] وبهذا الحديث الذي أشار إلى الانسجام كمبدإ لتطور الأصوات في التركيب والأداء، فهو إقرار بأنّ الانسجام ما هو إلاّ ضرب من ضروب السهولة والاقتصاد في الجهد. ومن أهداف الانسجام تحقيق الاقتصاد في الجهد، والسهولة في الأداء"[4].

وقد أورد إبراهيم أنيس في معرض حديثه عن نظرية السهولة ما قوله: « تتأدى هذه النظرية بأن الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي،

1 ـ المعجم الوسيط، ص738.

2 ـ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب ، ج1، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2006، ص292.

3 ـ عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996، ص136.

4 ـ ينظر: مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانية، 2004، ص110.

وتلمس أسهل السبل، مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين»[1] ، وهذه إشارة أخرى تُمَثِل الاقتصاد بالسهولة أثناء إنجاز المنطوق، ثم نجده يفرق بين الاقتصاد في المجهود العضلي والكسل، لأن هذا الأخير لا يؤدي الوظيفة المرجوة من المرء."[2]

أشار إستيتية عند حديثه عن قوانين التطور الصوتي النحوي في باب السهولة والأصالة فقال: «كذلك أهل اللغة في المراحل المتقدمة من تاريخ لغتهم، تجري ألسنتهم بمنهج الاقتصاد اللغوي يختطونه لأنفسهم، وتبنى على أساسه كفايتهم اللغوية من غير أن يعرفوا أنهم يفعلون ذلك معرفة العالم الذي يقابل الصعب بالسهل »[3] وهذه إشارة أخرى واضحة تقر بأنّ الاقتصاد يختزل في السهولة. وهكذا يجنح المتكلم إلى تبديل الصعب بالسهل لتفادي إجهاد جهازه النطقي.

وعدّ حسام البهنساوي هذه الظاهرة بقانون السهولة واليسر أثناء تطرقه لتطور اللغة قائلا: « إنّ من طبيعة اللغة ، أنّها تميل نحو السهولة والتيسير وذلك في أثناء تطورها، ومن ثم فإنّها تحاول أن تتخلص من الأصوات العصية العسيرة، وتستبدل بها أصوات يسيرة لا يبذل فيها المتكلمون جهدا عضليا كبيرا وهذا القانون المسمى السهولة والتيسير »[4]، هذا حديث لا يوجهه صاحبه لقضية الاقتصاد مباشرة إلاّ أنّه ينبهنا إلى التغيير الحاصل في الأصوات قصد التسهيل على الجهاز النطقي.

علل بعض اللغويين التغيرات الصوتية في اللغات المختلفة انطلاقا من الرسم المرئي بما فيها اليونانية بنظريات ذات مبادئ صرفية محضة، وأما آخرون يرون أن هذه التغيرات المرحلية يتعسر نطقها فهي ثقيلة على اللسان ويرى الطيب البكوش: « أنّها لا تتغير إلّا

1 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1999، ص188.

2 ـ ينظر: إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص190.

3 ـ سمير شريف استيتية، علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2012، ص73.

4 ـ حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، القاهرة، 2004، ص221.

لثقلها، فتنتقل من ثقل إلى ما دونه حتى تستقر في صيغة تتطلب أقل ما يمكن من المجهود النطقي طبقا لمبدأ الاقتصاد اللغوي وقانون المجهود الأدنى »[1] فهذا الأمر مرتبط بالتطور اللغوي الحاصل في الصيغ العربية، ولكن ما يهم هنا هو مصطلح الاقتصاد الذي ورد معبرا عن الانتقال من الثقيل إلى الخفيف، وهو بذلك مرادف للخفة.

وبتتبعنا لهذا المصطلح في الدراسات الصوتية الحديثة نجد إبراهيمي بوداود عند حديثه عن خفة الفتحة يقول: « فالخفة بهذا المعنى، من السهولة واليسر والاقتصاد في الجهد اللغوي»[2] فهذا حديث يجعل الاقتصاد في الجهد من دواعي الخفة. وعلى ضوء ذلك يمكننا القول أنّ مصطلح الاقتصاد يصاحب الجهد العضلي الذي يبذله جهاز النطق لدى الإنسان عند الأداء الصوتي.

ويرى أندري مارتيني في مبدأ اقتصاد اللسان قائلا: « يمكن تصور التطور اللساني على أنّه محكوم بالتناقض الدائم بين الحاجات التبليغية للإنسان وسهولة ميله إلى تقليص نشاطه الذهني والجسدي إلى الحدّ الأدنى »[3] فيكون ذلك من صميم نظرية الاقتصاد، لسبب ميل المتكلم إلى سهولة الأداء والحفاظ على طاقته المستعملة في الأداء الكلامي. ويتضح جليا مبدأ الاقتصاد عند تقليص النشاط الجسدي خاصة إلى أدنى مستوياته.

ونبقى مع مارتيني عند إقراره بالجهد الأدنى حين يقول: « وفي هذا المجال كما هو الحال في أي مجال آخر يخضع سلوك الإنسان إلى قانون أضعف الجهد الذي لا يجهد الإنسان نفسه وفقه إلاّ بالقدر الذي يمكن أن يبلغ فيه الأهداف التي ارتسمها لنفسه »[4] وهذه ميزة أساسية يعتمدها الإنسان في حياته بجميع جوانبها، فهو يسعى وراء أكبر الفائدة بأقل

1 ـ الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ط2، تونس، 1987، ص22.

2 ـ إبراهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، رسالة دكتوراه، جامعة السانية وهران، 2012، ص59

3 ـ أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الجزائر، ص153.

4 ـ أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة ، ص153.

بذل للجهد. فالإنسان عند إنتاجه لأصوات الكلام يحاول التقليل من جهوده الفيزيولوجية حتى يتمكن من بلوغ الغاية الإبلاغية في نهاية العملية التواصلية.

وقد أشار من قبل فاردينانند دي سوسير عند تعداده لأسباب التغيير الصوتي قائلا: «
On a fait intervenir la loi du moindre effort , qui remplacerait deux articulations par une seule, ou une articulation difficile par une autre plus commode»[1] فهذه إشارة لموضوع التحول اللغوي التطوري، إلاّ أنّها تذكر مبدأ أقل الجهد الذي يعد أساس الاقتصاد. فيبرز أقل الجهد عنده بإبدال نطق صوتين بواحد، أو نطق صوت صعب بآخر خفيف على الجهاز النطقي.

الاقتصاد الصوتي ظاهرة طبيعية تتكيف فيها أعضاء النطق حتى يتسنى لها إنتاج الأصوات اللغوية بجهد أدنى، كما يتجلى الاقتصاد بمقادير فيزيائية للكميات الصوتية، منها زمن الأداء وشدّة الصوت ودرجته وقيم ترددات الحزم الصوتية. فالاقتصاد عند مستوى إنتاج الأصوات متشعب إذ نجده يرتبط حينا بالنَّفَس، الذي يعد المحرك الأساسي لعملية النطق إذ « كلما طال الزمن طال النّفس، والنّفس هو المادة الأولية الخام لإقامة الصوت، وزيادة الزمن تعني بالضرورة استهلاك وقود حيوي هو النّفس ونقصانه تعني اقتصادا في هذا الوقود »[2] ، وهذه رؤية أخرى تنظر إلى الاقتصاد من زاوية المادة الأولية المستعملة في العملية النطقية.

ظهر أن استعمال مصطلح (اقتصاد) ورد مصاحبا للجانب الفيزيولوجي دالا على عدم إجهاد الجهاز النطقي، كما اقترن كذلك بجانب فيزيائي من خلال تغيير حاصل في مقادير الكميات المختلفة للصوت اللغوي، وارتبط أيضا بالنّفس محققا نقصا في حجمه أثناء الأداء الكلامي. وعلى ضوء ما سبق يصبح التعريف الاصطلاحي للاقتصاد الصوتي هو كل ما ترجم من نقص في الجهد والنفس وتدني بعض مقادير الكميات الصوتية.

1 – Ferdinand De Sausure, Cours de linguistique générale, Editions TALANTIKIT, Béjaia, 2002, P222.

2- صراع محمد، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت الطويلة ـ ديوان ابن هانئ الأندلسي نموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2014، ص87.

مصطلح (اقتصاد) ووجوهه عند اللغويين:

نحاول تتبع مصطلح الاقتصاد الصوتي في الدراسات اللغوية التراثية والحديثة لنتمكن من إحصاء المصطلحات ذات الدلالة المتشابهة، ونستطيع بناء رؤية واضحة وموحدة حول المفهوم. ارتبط مصطلح (اقتصاد) كما يعرفه العام والخاص بالجانب المالي للأفراد والجماعات. ولا شك أنّ المصطلح ألهم دارسي اللغة، فتبنوه في الدراسات اللغوية، إلا أنّه يجب التنويه ببواكير الدراسات التي أشارت إلى هذا المدلول بمصطلحات مغايرة.

تناولت الدراسات التراثية العربية الاقتصاد اللغوي عامة، فبينت تراكيب الحذف، ومواطن التخفيف، والأصوات المسهلة. ونجد مصطلح (تخفيف) مبثوثا في مواضع عديدة من الكتاب لسيبويه (180هـ) حيث أورد في باب الإدغام في حروف طرف اللسان ما قوله: «وقالوا في مُفْتَعِلٍ من صَبَرْتُ: مُصْطَبِرٌ، أرادوا التخفيف حينا تقاربا »[1] ومدلول القول أنّ التخفيف مطلب صوتي يحدث بفعل تجاور مخارج الحروف.

وجاء أيضا في الكتاب قول سيبويه: « فأمّا الذين جرّوا فإنهم أرادوا معنى منْ، ولكنّهم حذفوها ههنا تخفيفا على اللسان »[2] وهكذا يأتي التلميح إلى الاقتصاد في عدم إجهاد اللسان، وكل ذلك في مقابل الثقل الذي يسلط على الجهاز النطقي أثناء الأداء. ذكر سيبويه أيضا التخفيف في باب الهمز قائلا: « واعلم أنّ كلّ همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فإنّك تبدل مكانها ياء في التخفيف »[3] فيبدو أنّ المؤلف تفطن لثقل أداء الهمزة على الجهاز النطقي ولاسيما الوترين الصوتيين، على غرار أمثاله من علماء اللغة في ذلك العصر.

1- أبو بشر عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج4، ط2، القاهرة، 1982، ص 467.

2 - المرجع السابق نفسه، ج2، ص160.

3 - المرجع نفسه، ج3، ص543.

عَمِلَت العرب على التّقليل من مجهودها فيما حدّث به ابن جني (392 هـ) من قوله: « واعلم أنّ العرب مع ما ذكرنا إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد »[1] ، وذلك باختزال الكلام والتقليل من الألفاظ حتى تتم لهم الخفّة في لغتهم بعامة، ويتم لهم التخفيف بصور عديدة، فيضيف ابن جني قوله: « فقد قلبت العرب الحرف للتخفيف »[2] وهذا مظهر شائع في اللغة العربية يعرف بمصطلحين هما القلب والإبدال.

تطرق ابن جني إلى مبدأ التخفيف في مواقع كثيرة من مؤلفاته، فها هو عند حديثه عن الألف يقول: «اعلم أنّ الألف التي في أوّل حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة، وإنّما كتبت الهمزة واوا مرّة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف »[3] وعلى ضوء ما سبق يتضح أنّ بعض الحروف يطرأ عليها التغيير في جرسها طلبا للخفة عند قبائل عربية معينة، في مقابل سواها التي تُبقي على الأصل النطقي مع استثقاله على اللسان.

اجتهدت الدراسات القديمة في صبر أغوار ظاهرة الخفة في اللغة، وبالرغم من ذلك فأنّ اللسانين العرب والغربيين المعاصرين على حد سواء أولوا اهتماما كبيرا إلى أمر التطور اللغوي، الذي تخضع له أي لغة من لغات العالم عبر التاريخ، فيقول سمير شريف إستيتية: «يطلب أبناء لغة – أي لغة – الخفة والسهولة في النطق والكلام. وهذا مطلب صحيح »[4] وهذا يرشدنا إلى كون اللغة تميل إلى الخفة في أساليبها المختلفة، مما يجعلنا نؤكد على الدور الاقتصادي للتراكيب الصوتية للّغة.

وقد اعترى لغات العالم تغيرات نتيجة تطورها منذ نشأتها الأولى، فهي تملك سيمات الخفة في تركيبها الفنولوجي، فيضيف إستيتية في بحث آخر قوله: « وإذا حدث تغيير فربما كان تغييرا يسيرا غير ملحوظ. هذا هو الثابت على حاله من الخفة والسهولة المقبولة لدى

1 - أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص، ج1، المكتبة العلمية، مصر، 1952، ص83.

2 - ابن جني ، المرجع السابق نفسه، ج3، ص93.

3 - أبو الفتح عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب، تح: علاء حسن أبو شنب، ج1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2012، ص63.

4 - سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط2، الأردن، 2008، ص596.

أبناء الجماعة اللغوية »[1]، ويتجلى مبدأ الخفة من جديد ولا شك أنها مقصودة في بعدها الاقتصادي المُخَفِف على الجهاز النطقي، وسلوك الأصوات أكوستيكيا.

ربط بعض الباحثين التخفيف ببعض الظواهر الصوتية وقد جعلوها قوانين يسري عليها الأداء في لغة معينة فقال أحدهم: « لقد سبق أن تحدثت عن قانونين من القوانين الصّوتية هما: قانون المماثلة الصّوتية، وقانون المخالفة الصّوتية، فكانت الغاية من هذين القانونين هي التخفيف »[2] فالخفة هنا مردها إلى ظاهرتين شائعتين في اللغة العربية منهما المماثلة بين أصوات اللغة خاصة، ويرجى منها التيسير والاقتصاد في الجهد.

تتجلى المماثلة بالإدغام بين الأصوات المتقاربة والمتجاورة في التلفظ طلبا لرفع الثقل النطقي على قول أحدهم: "الشيء الذي يبرر تحقيق قصد التخفيف بواسطة الإدغام »[3] ، فيحدث التخفيف على الناطق ويتمكن من الأداء الاقتصادي بعدم تكرار الصوت نفسه بنطقه مرة واحدة، ويرتاح اللسان لهذا الأداء بحركة واحدة لصوتين متتالين. ولا نريد أن نبقى مع ورود هذا المصطلح في جميع الدراسات والأبحاث لنتمكن من إدراج مصطلح آخر لا يقل تناولا عند علماء اللغة وهو التسهيل.

يحتلّ مصطلح (التسهيل) في الدراسات اللغوية بشتى فروعها مرتبة لا تقل أهمية عن تلك التي مثلها التخفيف، فنجد إبراهيم أنيس عند حديثه عن نظرية السهولة يقول: « تنادي هذه النظرية بأنّ الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتلمس أسهل السبل »[4] وهكذا جعل التسهيل نظرية قائمة بذاتها تدخل صميم الاقتصاد الصوتي في بعده العضوي خاصة بما تقلل به الجهد عن الجهاز النطقي.

---

1 ـ سمير شريف استسيتية، علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، دار وائل للنشر، ط 1، الأردن، 2012، ص82.

2 ـ عبد اللطيف الشمايلة، الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ، جامعة مؤتة، 2002، ص46.

3 ـ مصطفى بوعناني، الفونولوجيا التوليدية المتعددة الأبعاد المماثلة والتناغم في اللغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص147.

4 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص188.

كما يقر مكي درار بالاتجاه نفسه عند ذكره للمصطلحين السابقين بقوله: « تحقيق الاقتصاد في الجهد، والسهولة في الأداء والوضوح في الصورة »[1] ، فهذه صيغة قرينة ربطت المصطلحين في قول واحد لأنّهما يؤديان الهدف نفسه في الأداء، فالسهولة عندهم كل ما أتاح للمتكلم الراحة عند التلفظ. فالعرب باختلاف قبائلها تميل سليقة إلى الخفة والتسهيل.[2]

يميل العرب إلى السهولة لأنّهم كما قال إستيتية: « كانوا على وعي بعمل قانون السهولة ومقتضياته »[3] وذلك ما نلمسه في البيئة اللغوية العربية الجدّ متقدمة من ناحيتي الفصاحة والبلاغة. وتحدث العرب في لهجاتهم المختلفة بقوانين صوتية تساعدهم على الأداء السليم كغيرهم على رأي القول: «فالإنسان في نطقه يميل إلى تلمّس الأصوات السّهلة النطق. فنجده يبدل صوتا معينا بصوت آخر في بعض التراكيب »[4]، فيتم لهم بذلك تخفيف عناء النطق.

عُرِف التسهيل في معظم لهجات القبائل العربية إلاّ أنّ بعض القبائل لم تميل إلى تسهيل الهمز، إذ يؤكد فاضل المطلبي في حديثه عن هذه الظاهرة قوله: « اختلفت اللهجات العربية القديمة في الهمز والتسهيل، فقد جنحت طائفة منها إلى الهمز، على حين جنحت أخرى إلى التسهيل »[5]، فقد ذكر مصطلح سهولة أو تسهيل بغرض التخفيف على الجهاز النطقي للمتكلم حتى ينجز الأداء بأريحية تساعده على مواصلة التلفظ دون تعب فالسهولة بهذا المعنى الذي جاءت به في النصوص المختلفة السابقة غرضها الاقتصاد لا غير.

1 ـ مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص110.

2 ـ ينظر: سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2008، ص215.

3 ـ سمير شريف إستيتية، علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، ص 72.

4 ـ وجدان عبد اللطيف موسى الشمايلة، الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ، 2002، ص46.

5 ـ في الأصوات اللغوية دراسة لأصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، 1984، ص179.

حدث هذا التسهيل في اللهجات العربية استجابة لقانون التطور الذي تشهده أي لغة من اللغات الإنسانية، وذلك ما نراه في قضية الهمز على سبيل المثال، إذ يتضح من قول فاضل المطلبي أنّ: « المقارنات السامية توضح أن الهمز طور تاريخي أَذْهب في القدم من طور التسهيل »[1] ، فيتأكد لنا أنّ الاقتصاد مطلب تطوري تستلزمه اللغة في تغيرها بين الأجيال المتلاحقة لأي مجتمع. وأكد إبراهيم أنيس عند تعرضه للهمز في قوله: «التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى التسهيل »[2] فهذه تأكيدات على ورود مصطلح تسهيل بغرض رفع عبئ النطق عن الآلة المصوتة لدى الإنسان. وجاءت أيضا مصطلحات أخرى عبرت عن الاقتصاد الصوتي الذي هدفت إليه المصطلحات السابقة.

يأتي مصطلح (تيسير) في المجال الصوتي في معظم الأحيان مرادفا للفظ تسهيل، ولأجل ذلك عُبِر به عن الاقتصاد الصوتي. وقد جمع سمير شريف إستيتية المصطلحات الثالثة السابقة بقوله: «يفترض علميا أنّ اللغة في أصل الوضع، وفي مراحل نشأتها الأولى أخفّ وأيسر وأسهل»[3] وهذا التعبير يوحي بأنّ الاقتصاد في المجال اللغوي قد يعبر عنه بأحد هذه المصطلحات الثلاثة.

وذكر حسام البهنساوي عند تناوله قانون السهولة واليسر حديثا فسّر به ظاهرة الاقتصاد قائلا: « إنّ من طبيعة اللغة، أنّها تميل نحو السهولة والتيسير وذلك في أثناء تطورها، ومن ثم فإنّها تحاول أن تتخلص من الأصوات العصية العسيرة، وتستبدل بها أصواتا يسيرة لا يبذل فيها المتكلمون جهدا عضليا كبيرا وهذا القانون المسمى السهولة

1 ـ غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية دراسة لأصوات المد العربية، ص179.

2 ـ في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2003، ص67.

3 ـ علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، ص82.

والتيسير »[1] ، ومجمل النص يتعرض إلى قانون تطور اللغات ويحمل في ثناياه الميل إلى الاقتصاد الصوتي ويتوخى التيسير على الجهاز النطقي.

ويبقى التيسير مطلب تطوري للغة، وفي الوقت نفسه يكون التطور طلبا لليسر عند انجاز الآلة المصوتة لدى الإنسان لأصوات اللغة. ويذكر إبراهيم أنيس أمثلة لقلب أحد الصوتين عند المماثلة ويعدها من أقصى مراحل التيسير في الجهد العضلي. [2] وقد يتبادر إلى الذهن، أنّ جميع ما قيل عن التيسير مفاده الاقتصاد ولكن لمطلب تطوري فتصبح اللغة « تطلب الخفة واليُسر والسهولة »[3] وبهذا عُبِر عن الاقتصاد في الدراسات اللغوية بمصطلحات عديدة هدفها واحد. وتبقى مصطلحات أخرى برزت في الدراسات اللغوية القديمة وحتى الحديثة نتعرض لها في الصفحات الموالية.

وهذه المصطلحات تكمل الأخرى في مبدأ الاقتصاد عامة، فالعرب « كانوا وما زالوا يؤثرون الاقتصاد الشامل الإيجاز والاختصار »[4] ، يعد هذان المصطلحان من أبرز وظائف الاقتصاد في المجال اللغوي. والإيجاز لغويا كما جاء في اللسان « وَجُزَ الكلام وَجازَةٌ ووَجْزًا وأوْجَزَ: قلَّ في بلاغة، وَأَوْجَزَهُ: اخْتصَرَهُ. وكلامٌ وجْزٌ: خَفيفٌ، وكلامٌ وجيزٌ، أي خفيفٌ مُقْتَصِرٌ »[5] اقترن هنا اللفظ بمفهومين اثنين أحدهما الاختصار الذي سنعود إليه فيما بعد، والثاني التخفيف وهو جوهر الاقتصاد فيما قد رأيناه من قبل.

ويتحدد الإيجاز في الاصطلاح بكونه يتحقق بتقليل الألفاظ الموحية بكثير من المعاني"[6]" ، فنقول: إنسان أوجز في كلامه إذا قلل من حديثه. وعرّفه أحدهم بكونه الكلام

1 ـ حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص221.

2 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص171.

3 ـ سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، ص598.

4 ـ ليث محمد لال محمد، الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره في العربية، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، 1415، ص6.

5 ـ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مادة: وجز، ص4771.

6 ـ ينظر: ليث محمد لال محمد، الاقتصاد اللغوي وبعض مظاهره في العربية، ص18.

الذي يراد به أداء المقصود من الكلام بأقل قدر ممكن من الألفاظ "[1]"، فقد أجمعت هذه الأقوال على مراد القلة في الأداء عند استعمال ألفاظ اللغة. وهذا جانب مهم في الاقتصاد اللغوي الذي ينحو نحو استعمال أقل الألفاظ في تأليف الكلام لإيراد المعاني القوية، والجرجاني يذهب إلى أبعد من ذلك بقوله: « فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم بيانا إذا لم تبن»[2] وهذا أقصى مراتب الاقتصاد بالإبانة دون الكلام، فصمت المرأة دلالة على قبولها طلب النكاح.

يأتي أيضا مصطلح الاختصار تعبيرا عن الاقتصاد في اللغة، فهو يترادف مع الإيجاز، وجاء في اللسان: «واختصار الكلام: إيجازه. والاختصار في الكلام: أن تَدَعَ الفُضولَ وتسْتَوْجِزَ الذي يَأْتي على المَعْنى »[3] فلا يستعمل من الألفاظ إلا ما كان ضروريا للمعنى، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الكلام اختصارا»[4] فكان النبي عليه الصلاة والسلام يحدث بأوجز الكلام عن المسائل الدينية المتشعبة بما أتاه الله عز وجل من الحكمة.

ويتطور المصطلحان (اختصار وإيجاز) إلى مفهوم أكثر تعبيرا عن القلة في الوحدات الصوتية ألا وهو النحت، الذي يعد ظاهرة لغوية برزت في اللغة العربية قديما وحديثا كنوع من الاختصار أو الإيجاز. ذكر ابن فارس النحت بقوله: « العرب تَنْحَتُ من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار »[5]، فتأتي العرب بالكلمة واحدة تعبيرا عن الكلمتين أو أكثر أكثر محققة الإيجاز والاختصار في الأداء. فأجاز مجمع اللغة العربية أن ينحت من كلمتين

1- ينظر: وردة غديري، سمات الآقتصاد اللغوي في العربية - دراسة وصفية تحليلية -، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2003، ص1.

2 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991، ص149.

3 - ابن منظور، المرجع السابق، مادة:خصر، ص1173.

4 - علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتص: بكري حياني وصفوة الصقا، ج 1، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت 1986، ص371.

5 - أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها في سنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، بيروت، 1993، ص263 -264.

أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة على أن يراعى ما أمكن من الاستعمال الأصلي للحروف دون الزوائد."[1]

يأتي مصطلح آخر يتمّم السابقين، وهو الاقتصار فمقصود اللفظ في اللغة هو: «(قصر) القاف والصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على ألا يبلغ الشّيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس. والأصلان متقاربان. »[2] ودلالة المعنيين أن يكون في الأمر محدودية، وفي لسان العرب مادة (قصر) القَصْرُ والقِصَرُ في كل شيء: خلاف الطّول. "[3] وهكذا قد نُحَمِل المعنى الاصطلاحي شيء من المعنى اللغوي فيكون الاقتصار في التشكيل اللغوي بأقل الألفاظ وهذا من مذاهب الاقتصاد حتما، ويكون معنى الاقتصار حسب علماء النحو: الحذف لغير دليل."[4]

يكون الحذف من المصطلحات الأساسية التي يوظفها الاقتصاد اللغوي عامة، فالمعنى اللغوي لهذا المصطلح ورد في المعاجم العربية المختلفة، فمعنى الحذف في تاج العروس هو: « (حَذَفَهُ، يَحْذِفُهُ)، حَذْفًا: أَسْقَطَهَ »[5] ، وإسقاط اللفظ من الكلام هو جوهر الاقتصاد. وفي اللسان حَذْفُ الشّيء إسقاطه. وفي الحديث: حَذْفُ السّلام في الصّلاة سنّةٌ، هو تَخْفيفُهُ.[6] فالمعنى اللغوي يتأرجح بين الإسقاط والتخفيف، وهما مصطلحان يدلان على الاقتصاد.

1 ـ ينظر: حمزة عبد الله النشرتي، من مظاهر التخفيف في اللسان العربي، مكتبة الاسكندرية، مصر، 1987، ص163.

2 ـ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ج5، مادة قصر، ص96.

3 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة قصر، ص3644.

4 ـ ينظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص224.

5 ـ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، مطبعة التراث العربي، ج 23، ، الكويت، 1986، مادة: حذف، ص21.

6 ـ ينظر: ابن منظور، مادة حذف، ص811.

يتناول إستيتية مصطلح الحذف فيقول: «إنّ الحذف في العربية – بل في كثير من لغات العالم– من أظهر العمليات الصوتية، وأكثرها صيرورة على الألسنة. ربما يكون الميل إلى السهولة واليسر أحد الأسباب التي تجعل أبناء اللغة يميلون إلى الحذف »[1] ربط الكاتب الحذف بالسهولة واليسر، مما يجعله بابا من أبواب الاقتصاد الصوتي. وقد يحدث الحذف لصوت أو أكثر، أو يحذف عنصر من الجملة، أو يحذف تركيب، وكل ذلك لغرض التخفيف."[2] ونجد في كتب اللغويين ألفاظا أخرى مستعملة وظيفيا في الاقتصاد اللغوي كالإضمار.

يأتي الإضمار كمصطلح آخر يوظّف للتعبير عن الاقتصاد، فجاء في اللسان أضمرت الشّيء: أي أخفيته"[3]، وإخفاء الشيء عدم ظهوره، وفي الكلام عدم التصريح باللفظ إلا أنّ معناه متضمن حسب السياق المستعمل ويقول ابن فارس: «من سنن العرب الإضمار. ويكون على ثلاثة أضرب: إضمار الأسماء، وإضمار الأفعال، وإضمار الحروف. »[4] فهو يتمثل بإسقاط عناصر من القول فيصبح على حد الرأي القائل: « يقترن الاقتصاد مع الإضمار من حيث كلاهما يعملان على العمل بمبدأ المجهود الأقل ولا يكونان ظاهرين في النص»[5] فالإضمار يدخل كمصطلح أساسي يعبر به عن الاقتصاد اللغوي وبالتالي الصوتي.

الصوتي.

يُعَبَرُ بمصطلح الاستتار عن الاقتصاد كذلك، فسَتَرَ الشَّيْئُ يَسْتُرُهُ ويَسْتِرُهُ سَتْرًا، وسَتَرًا: أَخْفاهُ."[6] وفي المعجم الوسيط سَتَرَهُ سَتْرًا: أَخْفاهُ، واسْتَتَرَ: تَغَطَّى."[7] ويعد هذا المصطلح أكثر

1 ـ سمير شريف استيتية، علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، ص225.

2 ـ ينظر: محمد ماكني، الخفة والثقل في الأصوات العربية، دراسة في المباني الإفرادية – سينية البحتري أنموذجا ـ، مذكرة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2014، ص54.

3 ـ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضمر، ص2607.

4 ـ أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها في سنن العرب في كلامها، ص232.

5 ـ وردة غديري، سمات الآقتصاد اللغوي في العربية ـ دراسة وصفية تحليلية ـ، ص5.

6 ـ ينظر: لسان العرب، مادة ستر، ص1935.

7 ـ ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004، ص417.

أكثر استعمالا في تأويل بعض الوظائف النحوية للاسم أو الضمير عند استتاره، فكثيرا ما نجد أنفسنا نقدر في جملة الفاعل بضمير مستتر تقديره اسم أو ضمير.

يعد مصطلح إسقاط أو سقوط مظهرا من مظاهر الاقتصاد في اللغة، فمعناه اللغوي في المعاجم العربية، سَقَطَ يَسْقُطُ سُقوطا، فهو ساقطٌ وسقوطٌ: وَقَعَ. "[1]" فسقوط كلمة أو حرف من الكلام أي وقوعه. وعبر عنه بعضهم أنّه: « اختفاء وحدة نطقية (فونيم) أو مجموعة من الوحدات النطقية (الفونيمات) في أثناء النطق »[2] ، وقد يكون سقوط الأصوات بسبب السرعة في الأداء وهذا باب آخر لا نخوض فيه.

نجد أنّ كل هذه المصطلحات تعبر حقيقة في ذاتها عن الاقتصاد في اللغة عموما وفي المستوى الصوتي بشكل خاص، وقد ارتبط الاقتصاد بمصطلحات مماثلة وأخرى قريبة منها في القراءات القرآنية. ولتوضيح الارتباط نقتفى الاقتصاد الصوتي في القراءات القرآنية.

مصطلح الاقتصاد عند القرّاء:

أعجز الله تعالى العرب الذين كانوا يتفاخرون بالأقوال والأشعار في تجمعاتهم، حيث كانوا يقيمون المباريات لأجل الاستماع إلى أبلغ تآليف القول. نزل القرآن الكريم على لهجات القبائل العربية، فكان على سبعة أحرف، ثم اتسعت رقعة الأرض الإسلامية واختلط العرب بأقوام كثيرين فاتسمت اللغة بالغموض، وتفشى اللحن إلى الأداء القرآني ويقر أبو عمر الداني (444هـ) في قوله: « اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاظه مست الحاجة إلى علم يميّز به الصحيح المتواتر والشاذّ النادر »[3]. نهض رجال بدافع حفظ القرآن الكريم، فبرزت القراءات القرآنية التي تعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرها الصحابة الكرام انطلاقا من حديث الأحرف السبعة.

1 ـ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: سقط، ص2037.

2 ـ وردة غديري، سمات الاقتصاد اللغوي، ص6. وينظر: محمود رشاد حمزاوي، المصطلحات الحديثة في اللغة العربية، ص107.

3 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، تص: أوتو يرتزل، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1984، ص ج.

اختلف الأداء بين هذه القراءات وبقي القرآن معجزا في جميع نواحيه، وقد اعتبر الجانب الصوتي من أهم هذه المعجزات. تحدث القراء عن جوانب صوتية كثيرة ميزت القرآن الكريم، فعملوا على توضيح «مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجوهها الصحيحة لتيسير تلاوة كلمات القرآن على أفصح وجه »[1] لأنّ معرفة مخارج الحروف وصفاتها أساس الأداء الصحيح. جعل علماء القراءات أساس العملية التلقينية المشافهة بين المعلم والمتعلم كمعيار يتم به الحكم على الأداء، فظهرت طبقات القراء، منهم من أخذ عن النبي عليه الصلاة وأزكى التسليم، ومنهم من أخذ عن الصحابة، ومنهم من أخذ عن أصحاب القراءات، ومنهم من أخذ عن الرواة حتى تمت الأسانيد.

اهتم القرّاء بالجانب الصوتي فتعرضوا له من جوانب عديدة، فيأتي الاقتصاد الصوتي في مرتبة مهمة من دراساتهم. ولا شك أنّ القرآن معجزٌ في أداءه الصوتي لما يتخلله من هذه ظواهر، فيمكننا تتبع المصطلحات التي أوردها القراء تعبيرا عن الاقتصاد ليكون لنا منطلقا نبحثه في فصول هذا البحث، فأول مصطلح نتطرق إليه هو التسهيل الذي شاع في استعمالات كتب القراءات المختلفة.

ارتبط التسهيل بأحكام الهمزة إلاّ أن ابن الجزري (833 هـ) تناوله في باب مخارج الحروف حين قال: «ولبعض هذه الحروف فروع صحت القراءة بها، فمن ذلك الهمزة المسهلة بين بين فهي فرع عن الهمزة المحققة، ومذهب سيبويه أنها حرف واحد نظرا إلى مطلق التسهيل»[2] ، استعمل لفظ التسهيل للدلالة على صوت يقع بين الهمزة المحققة والألف المدية الخالصة.

1 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، ط2، ص ج.

2 ـ النشر في القراءات العشر، عناية: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2006، ص155.

جاء في كتاب التيسير عند ذكر مذهب حمزة وهشام في الوقف أنّ: « الهمزة إذا توسّطت وسكنت فهي تبدل حرفا خالصا في حال تسهيلها »[1] وهذا التوجه نفسه الذي سبق مع ابن الجزري حيث تصير الهمزة صوتا مخالفا لها. وأورد غانم قدوري الحمد نصا يقول فيه: "وعدّ الهمزة المسهّلة بين بين ثلاث أحرف »[2] اعتمادا على ما جاء عند سيبويه في الكتاب، والقصد من ذلك الهمزة المتبوعة بواو المد، والهمزة التي تليها الكسرة المدية، والهمزة قبل الألف، فهي بذلك ثلاث أحرف مختلفة.

وقد ورد في كتب المصطلحات أنّ "التسهيل عبارة عن تغيير يدخل الهمزة، كأن تجعلها بين بين، أي بينها وبين حرف المد »[3] فيبقى مجال استعمال مصطلح التسهيل مرتبطا بجزئية أحوال الهمزة أثناء الأداء في القراءات المختلفة. فهي تخفف إلى حرف مد من طبيعة حرف المد الذي يليها. ويأتي مصطلح آخر لا يقل أهمية في الدراسات القرآنية وهو التخفيف.

تناول السيوطي (911هـ) التخفيف عند حديثه عن الهمز حيث قال: "واعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقا وأبعدها مخرجا تنوع العرب في تحقيقه بأنواع التخفيف وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا »[4] ويأتي هذا المصطلح مزاحما للتسهيل في أحكام الهمز. ويذكر الزركشي (794هـ) عند تعريفه لعلم القراءات بقوله: "والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما »[5] وبهذا يُعَدُ التخفيف أساس القراءات في الأداء القرآني كونه لا يخرج عن ما ألفته العرب في لهجاتها.

1 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، ص39.

2 ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 2007، ص151.

3 ـ أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فنّ الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 2001،ص174.

4 ـ الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، بيروت، 2008، ص209.

5 ـ البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهر د ت، ص318.

عرّف صاحب الإضاءة الحذف لغويا واصطلاحا فقال: « وقد يراد به حذف الصلات من الهاءات وترك التشديدات أي فك الحرف المشدد القائم عن المثلين ليكون النطق بحرف واحد من الضعفين خفيف الوزن عاريا من الضغط عاطلا في صناعة الخط »[1] وبالتالي ركز المؤلف على المواقع التي يأتي فيها التخفيف، من صلات وتشديد، وربطه بالحذف الذي يقع على هذه الأخيرة.

يأتي الحذف كلفظ يستعمله القرّاء لغرض الاقتصاد، وبالتالي يقع من الأداء في أصوات معينة، حيث إذا حذفت: صلات الضمير وميم الجمع، وتنوين المرفوع والمجرور، والياءات الزوائد سكنت الحرف قبل المحذوف ووقف عليه بالسكون. [2] وربط مؤلف البرهان مصطلحات عديدة يستعملها مبدأ الاقتصاد، فجاء من بينها الحذف حين أورد: « أنّ الزيادة بإزاء الحذف، هذا الاختصار والتخفيف »[3] فجعل الحذف بوظيفة الزيادة، وكل له مزايا، ثم قرن المصطلح بآخرين يستعملهما الاقتصاد اللغوي.

تحدث القرّاء عن الحذف بلفظ يماثله في الدلالة وهو الإسقاط، فقد قال محمد علي الضباع: «وأما الإسقاط ويقال له الحذف فهو لغة "الطرح والإزالة"، وعرفا عبارة عن إعدام إحدى الهمزتين المتلاصقتين بحيث لا تبقى لها صورة »[4] ويكون ذلك بحذف الهمزة وحركتها، ولأجل ذلك يدخل تحت مفهوم الحذف، الذي سبق وأن قلنا أنّه الاقتصاد بعينه إذ يخفف في الأداء ولاسيما كون الهمزة شديدة متعسرة على النطق.

1 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، د ت، ص 34.

2 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، ص62.

3 ـ البرهان في علوم القرآن، المرجع السابق، ص305.

4 ـ الإضاءة في بيان أصول القراءة، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ص 31.

يستعمل القرّاء لفظ الإخفاء كثيرا، فمعناه اللغوي « وأخفيها، أي أُسِرُّها من الإخْفاء »[1] فهو الستر، وفي الاصطلاح: النطق بالحرف بين الإظهار والإدغام بدون تشديد. "[2] وبذلك يأتي الصوت حفيفا غير قوي وذلك مبدأ الاقتصاد. كما يأتي مصطلح آخر يعبر به عن الإخفاء، وهو الاختلاس:« فهما مترادفان، وقيل الاختلاس عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعا يحكم السامع أنّ الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن »[3] فيخفف الأداء على المتكلم مما يسمح له بالاقتصاد في جهده.

يتكلم القراء عن الاختلاس، الذي يقترن بمصطلحين آخرين هما: الروم والإشمام.
وفي اللغة رام الشّيء يرومه روما مَراما: طَلَبَهُ، "[4] وفي اصطلاح القراء أنّه: «إضعافك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك التضعيف معظم صوتها »[5] وقد عُرِفَ بين القرّاء أنّه الحركة الخفية التي لا يسعها إلا القريب. وفي التيسير ذكر الداني ما قوله: « تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها فتسمع لها صوتا خفيا يدركه الأعمى بحاسة سمعه»[6] فهي إشارة إلى كمية الحركة التي يذهب معظمها ولا يتبقى منها إلا جزء بسيط يكاد يسمع.

عرّف القرّاء الإشمام بأنّه: «هو ضمك شفتيك بُعيد سكون الحرف بدون صوت فلا يدرك إلا بالبصر »[7] وهذه حالة قد لا يظهر فيها الاقتصاد بصفة جلية، إلا أنّ الإحجام عن النطق من أبلغ صور الاقتصاد. ونجد للإشمام عند القراء حالتين اثنتين غير السابقة هما:"[8] هما:"[8]

1 ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003 ، ص 428.
2 ـ أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص232.
3 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص40.
4 ـ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة روم، ص1782.
5 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المرجع نفسه، ص58.
6 ـ التيسير في القراءات السبع، ص59.
7 ـ أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، ص177.
8 ـ ينظر: المرجع السابق. الصفحة نفسها.

ـ خلط حرف بحرف لمتطلبات صوتية ناجمة عن المجاورة.

ـ خلط حركة بحركة في مثل أن تشم الكسرة ضمة.

ولا يكون ذلك كله إلاّ طلبا لتسهيل النطق، وهذا تعبير حقيقي عن الاقتصاد الصوتي.

تناول جمع من القرّاء مصطلح الإقلاب أو القلب، فمعناه اللغوي هو تحويل الشيء عن وجْهِهِ"[1]، ويطلقه القراء عند تغيير حرف بحرف آخر. جاء معنى الإقلاب في كتاب الإضاءة من القول: « جعل حرف مكان آخر وقد اشتهر أنّه الحكم المعرف من أحكام النون الساكنة والتنوين الأربعة وهو إبدالهما عند ملاقاتهما الباء ميما خالصا تعويضا صحيحا لا يبقي للنون والتنوين أثرا. »[2] يختص مصطلح القلب بالنون والتنوين لتسهيل تجانس الأصوات الأصوات في الأداء الذي يمثل بابا من أبواب الاقتصاد الصوتي.

يظهر مصطلحا آخر عند القراء لا يقل أهمية في دراسة الاقتصاد الصوتي وهو الإبدال، ففي اللغة أبدل الشّيء من الشّيء وبَدَّلَهُ: تَخِذَهُ مِنْهُ بَدَلاً. [3] وفي اصطلاح القرّاء هو جعل حرف مكان آخر ويكون في موضعين: المنصوب المنون، وفي نون التوكيد الخفيفة بعد فتح. "[4] وبعض الإبدال لحن جلي غير مرغوب فيه في قراءة القرآن ومثل ذلك إبدال الضاد بالظاء، أو الذال بالزاي.

اهتم القرّاء بظاهرة صوتية ذات أهمية في الأداء عندما تناولوا الإدغام، الذي يعني لغة إدخال الشيء في الشيء. وجاء في لسان العرب أنّ الإدغام إدخال حرفٍ في حرفٍ. "[5] وذكر ابن الجزري رحمه الله في قوله: « الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا

1 ـ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قلب، ص3716.

2 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص16-17.

3 ـ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة بدل، ص231.

4 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص62.

5 ـ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة دغم، ص1391.

وينقسم إلى كبير وصغير »[1] ولا نبالي في هذه المرحلة بالتقسيم الحاصل في الإدغام، ونهتم بالظاهرة الصوتية المعدودة في الاستعمال لغرض الاقتصاد في الأداء.

تنبه القرّاء لظاهرة الإدغام فتناولوها بالشرح والتفصيل في القراءات القرآنية. وذكر صاحب الإضاءة شارحا للإدغام قائلا: « وسمي هذا المعنى إدغاما لخفاء الساكن عند المتحرك فكأنّه داخل فيه حقيقة لأنّ الحرفين ملفوظ بهما على الصحيح »[2]، فهذا تعريف يتناول فقط التقاء الساكن بالمتحرك فيفنى الأول في الثاني إلاّ أنّه يوّضح وجود الحرفين. ولا شك أنّ هذه ظاهرة مهمة نرجع لها في حينها لإضاءة جوانبها المختلفة المستعملة لغرض الاقتصاد.

يقع الإدغام بين الأصوات المتشابهة، فهو يقع مع المتماثلين والمتقاربين من الأصوات، كما يقع بين المتجانسين منها. فالتجانس في عُرْف القرّاء يحدث بين حرفين اثنين أي بين صوتين، وهما الصوتان اللذان اتفقا مخرجا، واختلفا صفة. "[3] فهذا مصطلح اقتصادي إلاّ أنّه مرتبط بظاهرة اقتصادية أخرى ويبقى بذلك مجرد وصف لحالة موجودة أصلا. وبهذا لا نطيل الحديث عن هذا المصطلح، وننتقل إلى مصطلح آخر يدخل في صميم الاقتصاد الصوتي وهو الإمالة.

الإمالة مصطلح صوتي بامتياز ينتج بوضع فيزيولوجي ويترجم على شكل فيزيائي، فمقصودها اللغوي جاء في اللسان أنّ: « الميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه »[4] ، وأما في الاصطلاح فهي "تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه »[5] فهذا وصف لكميتين صوتيتين تقعا بين الفتحة والكسرة، وأخرى تقع بين الألف والياء. وكون هذا التحويل يقع في كمية الفتحة والألف للتخفيف على القناة الصوتية

1 ـ النشر في القراءات العشر، المكتبة العصرية، ص208

2 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص13.

3 ـ ينظر: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، ص205.

4 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة: ميل، ص4309.

5 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص35.

باتخاذها وضعا يستقل فيه اللسان وينحدر جذره، يجعل من هذا المفهوم مبدأ يدخل في محض ظاهرة الاقتصاد الصوتي.

تمس هذه المظاهر المختلفة من الاقتصاد الصوتي نوعي الأصوات، فبعضها تتسم به الصوائت دون غيرها، وبعضٌ ثان تختص به الصوامت، وبعض آخر يرتبط بهما معا. وجاء في القراءات القرآنية مظاهر عديدة جلية التنوع بين الصوائت والصوامت، فالإمالة ترتبط خاصة بالصوائت، وأما التقليل فتتميز به الصوامت لا غير. ونحاول إحصاء هذه المظاهر بداية مع الصوائت ثم مع الصوامت في الفصول التالية إن شاء الله.

تصدير:

ترتكز الدراسات اللغوية على مستويات عديدة قد اختلف حولها علماء اللغة، إلاّ أنّ أساسها هو المستوى الصوتي. يعد هذا المستوى بالأهمية بما كان، فحوله تتمحور العملية التواصلية للغة. وتطور الدراسة اللغوية العربية وخاصة الجانب الصوتي منها يعود إلى الشرف الذي أصبغه الله عليها إذ جعلها لغة القرآن الكريم، فجاءت بواكير الدراسات الصوتية حماية للأداء الصحيح لكلام الله عز وجل، فكانت البداية مع نصر بن عاصم الليثي في نقطه للمصحف الشريف.

يتضح من تتبع مسار الصوت اللغوي انطلاقا من إنتاجه داخل الجهاز الصوتي إلى وصوله إلى أذن السامع، ثم يتبع برد فعل هذا الأخير أنّه على أقسام مختلفة، يرتبط كل قسم بوظيفة معينة. فبداية يأتي إنتاج الصوت الذي تحدده وضعيات أعضاء النطق المختلفة، فيطلق عليه علم الأصوات النطقي. وأما المحطة الثانية فتأتي بعد خروج هذا الصوت من فم المتكلم فيصبح مقدارا فيزيائيا يمكن إجراء القياسات عليه حتى تحدد أبعاده، فيطلق عليه علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي. وتأتي المحطة الأخيرة للصوت، التي يتم فيها استقبال الصوت من طرف أذن السامع فيظهر الدور النفسي للصوت، ويطلق على ذلك علم الأصوات السمعي.

تنقسم الدراسات الصوتية بحسب المجالات والموضوعات على رأي مكي درار الذي يقول: "يحتاج الدرس الصوتي قبل البدء فيه والتعامل معه إلى تعريف وتقسيم، وتحديد المستويات والمجالات والموضوعات "[1] وهكذا ينتهي به المطاف إلى التقسيم الذي سبق. ولكن هناك تقسيم يتناول الأصوات مفردة، وأخرى في التركيب، ويؤكد كمال بشر التقسيم الأخير ويذكر المصطلحين بقوله: " بظهور المصطلحين Phonetics (الفوناتيك)

1 ـ مكي درار وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، 2007، ص18.

و Phonology (الفنولوجيا) وكثرة استعمالهما جنبا إلى جنب في الدرس الصوتي، وقف الباحثون منهما مواقف مختلفة فيما يتعلق بمفهوم كل منهما »[1] فلكد المؤلف على التقسيم الأخير إلا أنّه أقر على الاختلاف الذي وقع بين الدارسين.

ثم استخلص صاحب القول السابق أنّ: « الفوناتيك خطوة ممهدة الانتقال إلى الفنولوجيا, فالأول يجمع المادة الخام والثاني يُخضِع هذه المادة للتقعيد، باستخلاص القواعد والقوانين الكلية من هذه المادة »[2] ، فيظهر أنّ القسم الأول يُعْنى بدراسة الأصوات مفردة فيهتم بالجانب الفيزيائي والفزيولوجي للصوت اللغوي، وأما القسم الثاني فيهتم بالأصوات في تركيبها أثناء الكلام. والدراستان متكاملتان فيما بينها، وهما تشتركان في دراسة الصوت اللغوي كمادة أساسية.

الأصوات اللغوية في أي لغة تنقسم إلى قسمين رئيسيين، الأول منهما هي الصوائت أما الثاني فهي الصوامت. وفي تقسيمها يقول إبراهيم أنيس: « لقد كان من نتائج تحليل المحدثين للأصوات اللغوية أن قسموها إلى قسمين رئيسيين سموا الأول منهما Consonants والثاني Vowels، ويمكن تسمية القسم الأول بالأصوات الساكنة والثاني بأصوات اللين.»[3] ، فهذا التقسيم ذهب إليه جميع علماء اللغة قديما وحديثا، ويحدث ذلك التباين في طبيعة ووظيفة كل نوع من الأصوات.

تختلف التسميات والوظيفة واحدة، فيطلق مصطلح الصوائت أو الحركات أو أصوات اللين والغرض واحد، فهي تختلف عن غيرها من الأصوات بطبيعتها وخواصها النطقية. وخواص الصوائت نلخصها في النقاط التالية:"[4]

1 ـ علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص9.

2 ـ المرجع السابق نفسه، ص10.

3 ـ الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1999، ص26.

4 ـ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص218.

- مرور الهواء من الفم حرا طليقا أثناء النطق بها، دون عائق أو مانع يقطعه أو ينحو به نحو منافذ أخرى، أو دون تضييق لمجراه فيحدث احتكاكا مسموعا.
- الصوائت غالبا ما تكون مجهورة في كل اللغات.
- الصوائت أقوى الأصوات وضوحا في السمع.

وبهذه المميزات يمكن فيما بعد حصر الصوائت في أي لغة، واللغة العربية لها صوائت أصلية وأخرى فرعية لا يمكن إحصاءها.

الصوائت العربية:

تتميز الصوائت كما سبق ذكره بخصائص مشتركة فيما بينها وخاصة المخرج وطريقة الحدوث، والصفات المميزة وعلى رأسها الجهر. وقد تفطن الدرس الصوتي العربي القديم لهذا النوع من الأصوات، فتناوله بداية أبو الأسود الدؤلي، ثم سيبويه ومن بعده ابن جني. وأما حديثا تناوله الدرس الغربي بالحصر، فوجدوا أنّ الصوائت تختلف من لغة إلى أخرى. فقام دانيال جونز بوضع مقاييس تحدد الصوائت في لغات العالم فاهتدى إلى أنّ الحركات تختلف باختلاف وضع اللسان، فوجد منها الأمامية والخلفية، وأيضا الضيقة والواسعة.

وبهذا يكون دانيال جونز « أول من عنى بهذه المقاييس، إذ استطاع بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة أن يخرج لنا تلك المقاييس العامة لأصوات اللين، وسجلها فوق اسطوانات هي الآن في متناول كل من يبغي تعلمها. »[1] ، وبشكل معياري وجدها تبدأ بالصائت (i) وتنتهي بالصائت (u)، فجميع الصوائت تتغير بين هذين الأخيرين. ولا يمكن إغفال وجود أصوات فرعية للصوائت تمثل كمية بينية قد تجعل تعداد هذه الصوائت يفوق العدد المصرح به عند دانيال جونز.

1 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص30-31.

يظهر أنّ للعربية ستة صوائت واضحة منها القصيرة والطويلة، فتظهر الفتحة في مقابل الألف، والكسرة في مقابل الياء، والضمة في مقابل الواو. والاختلاف الحاصل بينهما ليس في الطبيعة، بل في الزمن فقط، فالثانية كميات امتداد للأولى. وتفطن علماء اللغة القدامى مثل سيبويه وابن جني إلى الصوائت الفرعية حيث يقول الأخير: « وأمّا ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث. وهي الضمّة والكسرة والفتحة. ومحصولها على الحقيقة ستّ. وذلك أنّ بين كل حركتين حركة. فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة، نحو فتحة عالم، وكاف كاتب »[1]، وهنا تنبيه إلى وجود صوائت بين الصوائت الأصلية قد تزيد أو تنقص من لغة إلى أخرى، وبذلك يزداد عددها عن الظاهر للعيان.

وما محاولة تحديدنا لعدد الصوائت إلاّ لارتباط هذا الأمر بالاقتصاد الصوتي، إذ يُعَدُ العدول عن صائت وتغييره بآخر قريب منه إلاّ لمتطلبات صوتية محضة. فيوجد مظاهر اقتصادية عديدة مرتبطة بالصوائت في الأداء برمته، والأداء القرآني على وجه الخصوص. تزخر القراءات القرآنية بمظاهر اقتصادية في الأداء تخص الصوائت، فنحاول تتبع هذه المظاهر في القراءات المختلفة لعلنا نتمكن من إحصائها والوقوف على دلالة كل أداء منها فيما يلي من البحث.

الصوائت في الوقف:

تعريف الوقف ورد في المعاجم العربية والوقف يراد به: «وقف. الوقوف: خلاف الجلوس. وإذا وَقَّفْتَ الرّجل على كلمة قلت: وقّفته توقيفا »[2]، ولا يتأتى لنا من هذا المعنى اللغوي التعريف الذي نرومه للوقف. وجاء في معجم مقاييس اللغة « الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدلّ على تمكّث في الشيء ثمّ يقاس عليه. »[3] فهذا قريب من المعنى

1 ـ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج3، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952، ص120.

2 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة: وقف، ص4898.

3 ـ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص135.

الاصطلاحي الذي نبحث عنه، فالمكث يعادل الوقف، وورد في معجم العين « وقف: الوقف: مصدر قولك: وَقَفْتُ الدّابّة ووقَفْتُ الكلمة وقفا، وهذا مجاور، فإذا كان لازما قلت: وَقَفْتُ وُقُوفاً. فإذا وَقَّفْتَ الرّجل على كلمة قلت: وقّفته توقيفا. »[1] فوقف الرجل على كلمة إذ أمسك عن الكلام.

ولفظ الوقف في اصطلاح القرّاء كما أورده ابن الجزري رحمه الله في قوله: « والوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله »[2] فهو بذلك اختفاء للصوت وانعدامه لسبب اقتصادي. وفي السياق نفسه رأى بعضهم أنّ الوقف: « هو القطع (قطع الكلمة عما بعدها مقدارا من الزمن مع التنفس واستئناف القراءة) ويكون في آخر السورة، وفي آخر الآية وفي أثنائها، ولا يكون في وسط الكلمة »[3] ، فهو توقف عن أداء كلمات القرآن الكريم لبرهة قليلة ليتم بعدها مواصلة القراءة وذلك يتم مع عملية التنفس. وقد عُرِّفَ بأنّه « عدم الحركة، ووقفت فلانا على دينه، أطلعته. والوقف في الكلام هو إلغاء الحركة في آخره »[4] وبهذا يتضح جليا أنّ الوقف هو عَدْمٌ للحركة من آخر الكلمة.

ولما كان الأداء مرتبطا بِنَفَس القارئ، توجب على مريد الوقف للاستراحة تحري السياق المناسب لعدم الإخلال بالمعنى، ويقول في هذا الصدد ابن الجزري: « وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد »[5] فالوقف علم قائم بذاته فيتوجب على مريد ذلك الدراية بعلم الوقف والابتداء.

1 ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ص392.

2 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، عناية: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، ص183.

3ـ أحمد محمود الحفيان عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، ص218.

4 ـ رشيد عبد الرحمان العبيدي، معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكتبة مروان العطية، ط1، العراق، 2007، ص219.

5 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، عناية: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، ص172.

الوقف بالسكون:

أشار القدامى من علماء اللغة إلى الوقف بالسكون على آخر الكلمة بشكل مقتضب، لأنّ ذلك بديهي وهو الحاصل في لغة العرب. نجد سيبويه يتطرق إلى ضروب الوقف المختلف دون أن يخص الوقف بالسكون بالتفسير أو الإطناب إلا في معرض التطرق لوقف آخر، وأما ابن جني فقد ذكر في باب الساكن والمتحرك قوله: « أمّا إمام ذلك فإنّ أوّل الكلمة لا يكون إلا متحركا، وينبغي لأخرها أن يكون ساكنا »[1] وهذا يخص الوقف والابتداء لأنّ الكلمة لا تبدأ إلا بحركة، ولا يقف عليها إلا بالسكون.

يسير المحدثون من دارسي اللغة العربية على نهج أسلافهم، فنجدهم عند التعرض للوقف لا يتناولون الوقف بالسكون إلا بشكل متصل بالأنواع الأخرى للوقف فنذكر أنّ: « للوقف وسائل متعددة غير الإسكان »[2] ، وما ذِكْر هذا القول المقتضب إلا دليل لما سبق من قول. والإشارات السريعة للوقف بالسكون لا تعدم دوره الاقتصادي في الأداء، كون الوقف استراحة عن الكلام. ومن المحدثين عبده الراجحي الذي يقول: « إذا كانت الكلمة غير منونة، كأن تكون اسما معرفا بالألف واللام، أو اسما ممنوعا من الصرف، أو فعلا، فإننا نقف على آخره بالسكون »[3] وبهذا يوقف على بعض الألفاظ بالسكون دون تعليل ذلك لأنّهم يعدونه من سليقة العرب.

ذهب أهل الأداء من القرّاء إلى أنّ السكون هو الأصل في الوقف على قول ابن الجزري: « فأما السكون فهو الأصل في الوقف على الكلم المتحركة وصلا »[4] فيعد القول تصريحا بأسبقية السكون لأنّه يحل محل الحركة المتروكة لأجله في الوقف. ويقول الإمام

1 ـ الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2، ص328.

2 ـ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص271.

3 ـ التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، 2009، ص182.

4 ـ المرجع السابق نفسه، ص452.

الحصري رحمه الله: « والأصل في الوقف أن يكون بإسكان الحرف المتحرك آخر الكلمة، لأن لغة العرب ألاّ يوقف على متحرك، ولأنّ السكون أخف من الحركة، والوقف موضعُ تخفيف واستراحة. »[1] وما التخفيف إلا مطلبا اقتصاديا يتوخاه الأداء، وعلى ذلك يعد تنازل الحركة للسكون عن محلها مطلبا اقتصاديا عند أداء الأصوات اللغوية. وقد ورد في متن الدرر اللوامع بيت يشير للوقف بالإسكان:"[2]

قِفْ بِالسَّكُونِ فَهْوَ أَصْلُ الوَقْفِ دُونَ إِشَـــارَةِ لَشَكْلِ الْحَـــرْفِ

يخص الناظم بالذكر في هذا البيت الوقف بالسكون دون الأوجه الأخرى المتداولة بين أهل الأداء من القراءات. وقدّم شراح الدرر تفسيرات لهذه المسألة بأنّ: « السكون هو أصل الوقف لأنّ الوقف معناه لغة الكف والترك، والواقف يترك حركة الحرف الموقوف عليه فيسكن، ولأن الواقف في الغالب يطلب استراحة وسلب الحركة أبلغ في تحصيل الراحة »[3] وما الراحة إلا تخفيف على القارئ، والتخفيف اقتصاد، فالوقف بالسكون مذهب متداول لدى جميع القراء مع العلم أنّ: « من عادة القرّاء أن يقفوا على أواخر الكلم المتحركات في الوقف بالسكون لا غير لأنّه الأصل »[4]. ولا يتَوَقَفُ أمر الوَقْفِ على السكون فقط بل يتعداه إلى وجوه أخرى.

توصل كمال بشر عند تناوله لظاهرة السكون في اللغة العربية إلى نتيجة مفادها: «أنّ السكون في العربية عنصر لغوي لا ينبغي إغفاله على الرغم من عدم تحققه في النطق

1 ـ محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ضبط: محمد طلحة منيار، المكتبة الملكية ودار البشائر الإسلامية، ط 4 ، 1999، ص232.

2 ـ ابن بري، الدّرر اللّوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، تح: أبي عبد الله نور الدين بن محمد الشريف إفرحاتن، دار الإمام مالك، ط 3، الجزائر، 2013، ص66.

3 ـ إبراهيم المارغيني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص122.

4 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، عناية أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1996، ص54.

المادي وخلوه من أي أثر سمعي. »[1] وما نستنتجه هو عدم وجود أثر سمعي للسكون، وبالتالي يقف المؤلف على حقيقة اقتصادية تتمثل في اختفاء التصويت عند أداء السكون، وبالتالي يتحقق المبدأ الاقتصادي للسكون.

ولأجل الوقوف على اقتصادية السكون في الأداء نستعين بدراسة مخبرية تطرقت إلى الحركة أو السكون المصاحب لصامت، فقد أورد عبد المهدي كايد أبو شقير قائلا: « كشف التحليل الأكوستيكي لنماذج الإسكان والتحريك أن زمن الصامت متحركا برواية ورش أطول منه ساكنا برواية قالون، وهذه النتيجة تؤكد ما ذهب إليه علماء السلف في أن إسكان المتحرك من مسالك التخفيف »[2] فإذن تبديل الحركة بالسكون مظهر من مظاهر التخفيف وبالتالي اقتصادٌ في الأداء.

القياسات السابقة أجراها صاحبها في حالة حركة الضمة ثم السكون وسط الكلمة، وهذا لا يمنع أن تكون النتائج نفسها في حالتي الحركة والسكون في وضع متطرف من الكلمة من مثل الوقف. ويمكننا إجراء قياسات مماثلة على حركات مختلفة في حالة الوصل ثم الوقوف عليها بالسكون، ولأجل هذه القياسات نستعمل برنامج (Praat) الذي يمكننا من الحصول على التمثيلين الذبذبي والطيفي.

نبدأ القياسات أولا بالحرف المضموم، ونأخذ على سبيل المثال عدة كلمات نسجل في كل مرة تردد وشدّة الصوت. فالقياسات الأولى تكون للفظة غير موقوف عليها، ثم بالوقف عليها، ثم نعزل الصامت الأخير مضموم ثم موقوف عليه بالسكون ونسجل القيم على جداول، مرتبط كل منها بلفظة. والأمثلة ألفاظ التي نوردها كلها من سورة البقرة، وهي: **يُفْسِدُ** (البقرة/30) ـ الجدول 1ـ ، **نُسَبِحُ** (البقرة/30) ـ الجدول 2ـ ، **يُوخَذُ** (البقرة/48) ـ الجدول 3ـ ، **يَخْطَفُ** (البقرة/20) ـ الجدول4ـ .

1 ـ كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998، ص190.

2 ـ تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2006، ص208.

الصوت / المقدار	يُفْسِدُ	دُ	صامت الدال	يُفْسِدْ	دْ
التردد(Hz)	1,383016	0,40182	0,073705	1,097483	0,121258
الشدة(Db)	64,589	64,037	54,037	62,789	59,936

جدول -1-

الصوت / المقدار	نُسَبِحُ	حُ	صامت الحاء	نُسَبِحْ	حْ
التردد(Hz)	1,740614	0,355493	0,127613	1,41792	0,116268
الشدة(Db)	62,093	64,865	50,072	63,471	50,897

جدول -2 –

الصوت / المقدار	يُوخَذُ	ذُ	صامت الذال	يُوخَذْ	ذْ
التردد(Hz)	1,277460	0,324870	0,044525	1,007182	0,106633
الشدة(Db)	63,481	61,963	58,333	63,531	61,868

جدول - 3 –

الصوت / المقدار	يَخْطَفُ	فُ	صامت الفاء	يَخْطَفْ	فْ
التردد(Hz)	1,455310	0,385127	0,076044	1,094713	0,06935
الشدة(Db)	63,206	61,636	50,650	62,077	47,73

جدول -4 –

عمدنا إلى تنويع الصوامت لأجل التنويع في صفات الصوامت المتطرفة للفظة، وأول ما نقرأه هو الزمن الذي يصاحب أداء اللفظ في الوصل ثم بالوقف عليه بالسكون. فسجلنا أن زمن أداء اللفظ الموقوف عليه يكون أقل، وكذا زمن الصامت الساكن وبالتالي مظهر اقتصادي في الأداء، كما نلاحظ أنّ الشدة تتدنى قيمتها مع اللفظة الموقوف

عليها بالسكون وهذا دليل على الاقتصاد في هواء الزفير الموظف أثناء الأداء، ويتكرر الأمر مع الألفاظ الأربعة الأخرى.

نعاود المحاولة بالخطوات نفسها مع مفتوح الآخر من الألفاظ، ونأخذ الأمثلة من سورة البقرة، والتي هي: **أُنْزِلَ** (البقرة/4)، **قَبْلِكَ** (البقرة/4)، **يَضْرِبَ** (البقرة/26)، **فَتَحَ** (البقرة/76)، ثم نسجل القياسات على الجداول:5، 6، 7، 8.

الصوت / المقدار	أُنْزِلَ	لَ	صامت اللام	أُنْزِلْ	لْ
التردد(Hz)	1,401243	0,336938	0,084531	1,235618	0,197667
الشدة(Db)	66,645	65,025	66,063	64,793	61,953

جدول – 5 –

الصوت / المقدار	قَبْلِكَ	كَ	صامت الكاف	قَبْلِكْ	كْ
التردد(Hz)	1,45241	0,295562	0,058870	0,927866	0,151390
الشدة(Db)	67,304	65,673	57,405	66,585	52,291

جدول – 6 –

الصوت / المقدار	يَضْرِبَ	بَ	صامت الباء	يَضْرِبْ	بْ
التردد(Hz)	1,245502	0,408985	0,091387	0,971550	0,140219
الشدة(Db)	64,604	64,715	60,103	64,520	58,370

جدول – 7 –

الصوت / المقدار	فَتَحَ	حَ	صامت الحاء	فَتَحْ	حْ
التردد(Hz)	0,947164	0,369695	0,1070442	0,777009	0,165283
الشدة(Db)	64,607	63,860	56,870	64,866	54,268

جدول – 8 –

الملاحظة نفسها نجدها مع الفتحة، فالقياسات المختلفة مع الألفاظ الأربعة تضعنا أمام حقيقة الاقتصاد في الأداء، وذلك بملاحظة تدني زمن أداء اللفظة مع السكون في مقابل الفتحة. ونجد أنّ الشدّة تنخفض عند توظيف السكون مما يقلل الهواء الموظف وبالتالي اقتصاد في مجهود توفير الوقود الحيوي لعملية الكلام. ولا يتوقف الأمر على الضمة أو الفتحة بل نجده أيضا مع الكسرة.

ولأجل الوقوف على الظاهرة مع الكسرة نختار أمثلة من سورة البقرة دائما ونعاود القياسات السابقة بالخطوات نفسها مع الألفاظ التالية: **بَشِّرِ** (البقرة/25)، **البَاطِلِ** (البقرة/42)، **قَوْمِهِ** (البقرة/67)، **المَسْجِدِ** (البقرة/144). نتبع المنهجية السابقة بقياس الزمن ثم الشدّة مع كل صوت، ونسجل القياسات على الجداول: 9، 10، 11، 12.

الصوت / المقدار	بَشِّرِ	رِ	صامت الراء	بَشِّرْ	رْ
التردد(Hz)	1,275431	0,315327	0,034321	0,931766	0,102217
الشدة(Db)	63,746	62,083	61,660	63,549	62,746

جدول – 9 –

الصوت / المقدار	البَاطِلِ	لِ	صامت اللام	البَاطِلْ	لْ
التردد(Hz)	1,963363	0,376268	0,079238	1,754032	0,221412
الشدة(Db)	64,694	65,339	65,667	64,437	63,458

جدول – 10 –

الصوت / المقدار	قَوْمِهِ	ـهِ	صامت الهاء	قَوْمِهْ	ـهْ
التردد(Hz)	0,952055	0,255648	0,077184	0,680480	0,080334
الشدة(Db)	69,308	67,380	58,978	68,552	64,052

جدول – 11 –

الصوت / المقدار	المَسْجِدِ	دِ	صامت الدال	المَسْجِدْ	دْ
التردد(Hz)	1,921916	0,588687	0,125718	1,516066	0,205048
الشدة(Db)	66,402	65,490	60,916	64,744	51,819

جدول – 12 –

قيم القياسات المختلفة للألفاظ مكسورة الآخر توحي بالظاهرة المقتصدة في الهواء الموفر لعملية الأداء، إذ نجده يتدنى مع السكون دون الحركة. كما يتضح أن زمن أداء اللفظ الساكن أقل من الزمن المناسب للفظة المتحركة بالكسر. وفي نهاية المطاف يمكن استخلاص أنّ الميل للتسكين هو مطلب الاقتصاد عند حدوث الأصوات ولاسيما حين الأداء القرآني.

الوقف بالإشمام:

أصل الوقف في الأداء القرآني حذف الحركة، وقد يوقف بتقليل زمن الحركة. فالعرب تقف على أواخر الكلم في بعض المواقف بالإشمام إذ يذكر سيبويه: « فأمّا المرفوع والمضموم فإنّه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك والتضعيف »[1] ، والإشمام معناه اللغوي كما ورد في معجم مقاييس اللغة: "وبيناهم في وجه أشمّوا، أي عدلوا، لأنّه إذا باعد شيئا قارب غيره، وإذا أشمّ عن شيء قارب غيره. »[2] فالمعنى اللغوي هو العدول عن الحركة إلى غيرها، أما في الاصطلاح يعتبر الإشمام حالة من حالات الوقف على الصوت في الكلمة المضمومة أو المرفوعة، وهي أن تقف على الصوت دون إتباعه حركة الضمة، وإنّما تضم شفتيك فقط."[3]

1 ـ الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1982، ص168.

2 ـ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3، القاهرة، 1979، ص175.

3 ـ ينظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، 1998، ص226.

جاء الإشمام ككمية صوتية يقل زمن تأديتها عن زمن الحركة، ويرى القرّاء أنّه عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت. [1] وكون الإشمام إشارة بالشفتين مع حذف حركة الحرف فذلك مدعاة إلى عده من الاقتصاد الصوتي. ويرى محدثون أنّ الإشمام كمية تتجسد بثلثي الحركة[2]، فهي في الحالتين تقصير لزمن الحركة. ويضيف ابن الجزري توضيحا أدق للإشمام فيقول: « أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمّة وكلاهما واحد، ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحروف.»[3]

وبما أنّ السكون هو أصل الأداء في الإشمام، فإنّه يحل مكان الحركة التامة ويعد اقتصادا صوتيا بامتياز، وقد ذكر سيبويه في قوله: « وأمّا الذين لم يشمّوا فقد علموا أنّهم لا يقفون أبدا إلاّ عند حرف ساكن، فلمّا سكن في الوقف جعلوه بمنزلة ما يسكن على كلّ حال، لأنه وافقه في هذا الموضع »[4] ، وبذلك يعزز مقولة أصل الإشمام السكون، فالحديث في الوقفين يخص السكون لا غير.

الوقف بالروم:

يتجسد روم الحركة بكمية تقل عن كمية الحركة التامة من حيث زمن تأديتها. جاء في اللسان أنّ الروم: « حركة مختلسة مختفاة لضرب من التخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنّها تسمع، وهي بزنة الحركة »[5] يؤكد المؤلف على الوظيفة الاقتصادية للروم لسبب خفته وقلة زمن تأديته مقارنة بالحركة التامة. ويضيف ابن جني أنّ الروم هو: « كالإهابة بالساكن

1 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص452.

2 ـ ينظر: مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية في الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، ص 101.

3 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، ص452.

4 ـ الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1982، ص168.

5 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة روم، ص1782.

نحو الحركة»[1] وأداة التشبيه تجعل الروم حركة تامة ولكن سريعة الأداء مستعملة في الوقف مثلها مثل الساكن.

ذكر القرّاء الروم كوقف فحددوا كميته انطلاقا من الحركة التامة الوزن فرأوا أنّ حقيقة الروم هو:« تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها فتسمع لها صوتا خفيا يدركه الأعمى بحاسة سمعه »[2] وما تضعيف الصوت إلا تخفيف على جهاز النطق البشري حتى يتمكن من الأداء في راحة، ويتحقق الاقتصاد الصوتي في الأداء لضعف الطاقة وقلة النفس المستعمل.

عرف ابن الجزري الروم بقوله: "هو عند القرّاء عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم: هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها وكلا القولين واحد وهو عند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي. »[3]، وبهذا اتفق القرّاء على أنّ الروم جزء من الحركة يسمعه القريب دون البعيد. وما يهم هو أنّ الروم يمثل جزء من الحركة عند الوقف، وبذلك يقلل زمن أدائها فيخف حينئذ، وما ذاك إلا سمة من سيمات الاقتصاد الصوتي في الأداء القرآني.

اختلاس الحركة:

جاء مصطلح الاختلاس في لسان العرب من مادة خلس: " خلست الشيء واختلسته وتخلّسته إذا استلبته. والتّخالس: التّسالب. والاختلاس كالخلس، وقيل: والاختلاس أوحى من الخلس وأخص »[4] ومفاد القول أنّ الاختلاس من السلب أي الأخذ. وقد ورد المعنى الاصطلاحي في معجم الصوتيات بأنّه: " عدم الإشباع في تصويت الحركة فلا تشبع

1 ـ الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2، ص145.

2 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، المرجع السابق، ص54.

3 ـ النشر في القراءات العشر، المرجع السابق، ص452.

4 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة خلس، ص1226.

فتتحول إلى صائت طويل، وإنّما يختلس اختلاسا، فلفظة: (دية): (النساء/ 93)، لا تشبع كسرة الدال فيها، وإنّما تلفظ كسرة سريعة خفيفة »[1] وبالتالي أداء الحركة المختلسة يكون بسرعة وخفة يقل بها زمنها.

تبنّى سيبويه التسريع بالحركة عند اختلاسها بقوله: « وأمّا الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، يسرعون اللفظ »[2] ، ولأجل تحديد دقيق لكلمة الاختلاس نذكر أنّ «الاختلاس، إزاحة صوتية سريعة للصائت بتقصير مدّته وتقليل شحنته الصوتية »[3] فيتبين أنّ الاختلاس سريع في الأداء زمنيا، وقليل الشحنة وبالتالي شدّته ضعيفة لا تتطلب تيارا هوائيا مهما.

تطرق القرّاء إلى الاختلاس معبرين به عن الروم تارة، وعن الإشمام تارة أخرى، فيقر ابن الجزري قائلا: « الروم عندهم إخفاء الحركة فهو بمعنى الاختلاس »[4] وعلى كل حال هذا مطلب اقتصادي في الأداء. وجعلوا الاختلاس أيضا مرادفا للإخفاء، فعرّفه الضباع بقوله: «الاختلاس عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعا يحكم السامع أنّ الحركة ذهبت وهي كاملة في الوزن»[5]، ثم أضاف أنّه: « عبارة عن النطق بثلثي الحركة »[6] وهكذا يتقاطع التعريف الأخير مع تعريف الروم، والحديث عن الأداء الجزئي للحركة ظاهرة مقتصدة للصوت.

تستطيع الدراسات الصوتية المعاصرة باستعمال الأجهزة المتطورة أن تقف على حقيقة زمن الاختلاس وخصائصه الصوتية المختلفة وأقر إستيتية أنّه: « إذا أردنا أن نحدّد مفهوم الحركة المختلسة قلنا إنّها أقل من الحركة القصيرة في الطول، فقد تكون بمقدار ثلثيها أو

36 ـ رشيد عبد الرحمان العبيدي، معجم الصوتيات، ص22.

2 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص202.

3 ـ مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص35.

4 ـ النشر في القراءات العشر، ص456.

5 ـ الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص39 و40.

6 ـ المرجع السابق نفسه، ص40.

نصفها أو ثلثها أي بحسب طريقة النطق. وتختلس في القراءات القرآنية حتى يبقى منها مقدار ثلث الحركة القصيرة أو ثلثاها»[1]، وما تبنّي القرّاء للاختلاس إلاّ لمطلب اقتصادي.

نبقى مع استعمال القرّاء للاختلاس فيضيف إستيتية أنّ: « الاختلاس موجود في قراءة ابن كثير مقرئ مكة المكرمة لقوله تعالى: ﴿ **وأرِنا مناسكنا** ﴾ (البقرة 128)، قرأ باختلاس كسرة الراء. »[2] ويقع الاختلاس في وسط الكلمة وهذا أمر لم نشأ التحدث عنه في هذه المرحلة من البحث ولكن اقتران الاختلاس بكميات الروم والإشمام جعلنا ندرجه في مبحث الوقف، وما يهم هو أنّ الاختلاس يمثل تسريع الأداء الحركة وبالتالي مظهر اقتصادي في الأداء.

وأجرى المؤلف قياسات لكسرة الراء في كلمة "**أرِنا**" على البرنامج الحاسوبي CSL فوجد تردد الكسرة المحققة والتامة في الوزن 0.560 من الثانية، وكان تردد الكسرة المختلسة 0.167 من الثانية. "[3]" وبالتالي يتضح من القياسات أنّ مقدار الفرق بين الحالتين يمثل القيمة 0.393 من الثانية، فالاختلاس تقريبا ثلث الحركة التامة، والزمن السريع للاختلاس من متطلبات سرعة الأداء. ولم يربط اللغويون الاختلاس بالوقف فقط، فهو يتعداه عندهم إلى الوصل في الآداء.

يتضح الاقتصاد في الاختلاس من الناحية الفيزيولوجية بوضع اللسان داخل الفم، إذ يراه بعضهم مرتبطا بالضم والكسر وليس مع الفتح، متكئين على "الحركة الانبساطية التي يأخذها اللسان، والانفتاح الوسطي الذي تتخذه الشفتان »[4] وذلك مقارنة مع الضمة التي يجهد يجهد اللسان حين تأديتها بتحدبه من مؤخره وتراجعه إلى الخلف، ومقارنة مع الكسرة التي يرتفع معها اللسان نحو مقدم الحنك الأعلى، وبالتالي يصبح الاختلاس مطلب اقتصادي.

1 ـ علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، دار وائل للنشر، ص 182.

2 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

3 ـ المرجع نفسه، ص183.

4 ـ إبراهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، ص 57.

المماثلة في الصوائت:

تعريف المماثلة:

ورد في لسان العرب وتاج العروس ما قوله: « الفرق بين المماثلة والمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتّفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأمّا المماثلة فلا تكون إلاّ في المتّفقين »[1] ويقع هذا الاتفاق في الأصوات. ويراد بالمماثلة في اصطلاح علماء الأصوات: تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام."[2]

تقع التأثيرات المتبادلة في المتجاور من الأصوات، وبذلك تعد المماثلة نوعا من الاقتصاد الصوتي إذ يقول محمد علي الخولي: « هدف المماثلة تسهيل اللفظ، كما أنّ المماثلة تكون غالبا نتيجة لأوضاع أعضاء النطق. »[3] ، وبالتالي تعد المماثلة مطلبا عضويا يحتاجه الجهاز النطقي لتأدية الأصوات المتقاربة. وفي محاولتنا تقديم الغرض من المماثلة نورد هذا القول: «المراد بذلك إنتاج الأصوات اللغوية بجهد مريح للأعضاء النطقية في انتقالها من وضع إلى آخر، ومن مخرج إلى مخرج. »[4]، فالمنشود من المماثلة إذًا هو راحة الجهاز النطقي للإنسان.

تتيح إذا المماثلة الانسجام بين الأصوات فالهدف منها « هو تعاون أعضاء النطق في خلق نوع من الانسجام الصوتي أثناء النطق، فلا يكون هناك صوت شاذ عن صوت آخر، ولا حركة مناقضة لحركة أخرى، فيؤدي ذلك إلى نوع من التوازن والتوافق، فييسر

1 ـ ينظر: ابن منظور لسان العرب، مادة مثل، ص4132، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج30، ص380.

2 ـ ينظر: أحمد طه حسانين سلطان، قراءة يحي بن وثّاب في ضوء التشكيل الصوتي، مكتبة وهبة، ط 1، القاهرة، 2004، ص17.

3 ـ محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1982، ص162.

4 ـ زيد خليل القرالة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004، ص63.

عملية النطق، ويقتصد في الجهد العضلي الذي يبذله الإنسان في أثناء النطق »[1] وهذا مبدأ الاقتصاد الصوتي في الأداء.

تطرق علماء اللغة قديما إلى مسألة الانسجام بين الأصوات، فاصطلح سيبويه على الظاهرة بالمضارعة في محطة أولى، ثم في محطة ثانية دعا المماثلة بين الحروف بالإدغام. وأمّا ابن جني فقد اصطلح على المماثلة بين الحركات بمصطلح الإتباع، ومن المعاصرين من ربط المماثلة بالمشابهة حين يقر إبراهيم أنيس في قوله: « والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج. ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة. »[2]، فيعتبر المؤلف الاندماج بين الأصوات بفعل تقارب صفاتها مطلب للانسجام الصوتي.

يرى إبراهيم أنيس أنّ: « تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ليس مقصورا على الأصوات الساكنة، بل قد يكون أيضا في أصوات اللين وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين»[3]، فجاءت المماثلة تجسيدا للانسجام الصوتي الحاصل بين الحركات أيضا، ويشاطره الرأي نفسه حسام الدين البهنساوي في قوله: « وهذا التوافق يحدث فيما بين الأصوات الصامتة وكذا فيما بين الحركات، وأيضا فيما بين الصوامت والحركات. »[4] فتتأكد المماثلة مرة أخرى مع الصوائت.

ويرى بعضهم أنّ « احتمال توالي المتنافرات من الحركات مما يدعو إلى التخلص منه بإيجاد قدر من التناسب بين حركات الكلمة المنطوقة ومن ثم يبدل الصوت إلى صوت آخر

1 ـ فدوى محمد حسّان، أثر الانسجام في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص41.

2 ـ الأصوات اللغوية، ص145.

3 ـ المرجع السابق نفسه، ص148.

4 ـ علم الصوات، ص194.

بحثا عن التناسق والانسجام »[1] وبالتالي تبدل الحركة القبلية أو التالية إلى الحركة نفسها حتى يتخذ الجهاز النطقي الوضعيات نفسها، فتصير ضمتين أو كسرتين أو فتحتين. يقر فندريس قائلا: « في كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فهي تكون نظاما متجانسا مغلقا، تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها، هذه أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى»[2] ولا يكون هذا الانسجام إلا سعيا لتحقيق عامل الاقتصاد في الجهد العضلي."[3]"

يعدّ ما سبق، إشارات لوجود المماثلة بين الصوائت، وتوجد دراسة بعنوان "المماثلة في الحركات" من كتاب اللهجات العربية في التراث تعرضت للظاهرة بشكل مستفيض معتمدة على ما جاء في القراءات القرآنية من أمثلة صوتية انسجمت صوائتها المتلاحقة في كلمة أو كلمتين. ويؤيد عبد الغفار أحمد هلال وجود المماثلة في الحركات بقوله: « الموافقة بين الحركات ضرب من تجانس الصوت، وانسجامه ليؤدي إلى الإسراع والخفة، وهو منسوب لأهل البادية الذين يقتصدون في الجهد العضلي، ويعمدون إلى سهولة إخراج الأصوات »[4] وهذه إشارة جلية لوجود تماثل صوتي بين الحركات حيث تعد من صميم الاقتصاد الصوتي.

نرجع مرة أخرى إلى ما ذهب إليه ابني جني عندما تحدث عن إتباع الحركات، فمقصوده اللغوي اللحاق، والإتْباعُ في الكلام: مثل حَسَن بَسَن. [5] وأما في الاصطلاح فنورد ما أقره عبده الراجحي حين قال: « الإتباع الذي نقصده هنا هو ما نجده من تأثر الصوائت القصيرة بعضها ببعض، إذ يحدث أن يتجاور أو يتقارب صائتان قصيران في كلمة أو

1- علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2004، ص55.

2 - ج فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 62.

3 - ينظر:أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، علي عبد الله علي القرني، ص 55.

4 - أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1979، ص177.

5 - أنظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: تبع، ص419.

كلمتين فيتأثر أحدهما بالآخر وينقلب إلى جنسه »[1] فهذا الذي يحدث من صميم ظاهرة المماثلة.

ولا يتم الأمر إلاّ لغرض الاقتصاد حيث يقر عبده الراجحي أنّ الإتباع يؤدي إلى: "الانسجام في الأصوات، وهذا الانسجام كما ذكرنا يؤدي إلى السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي عند الكلام »[2] ويمكننا تصور ذلك بأن يعمل اللسان عملا واحدا بنطقه لحركتين متماثلتين تماما. وتقع المماثلة بين الحركتين بفعل تشابه الحركة لحركة أخرى، ولا يكون ذلك بتجاور كامل إذ يحول بينهما صامت. فلابد أن يكون منفصلا على قول براجستراسر: "لأنّ بين الحركتين حرفا صامتا فارقا بينهما »[3] فهذه ملاحظة مهمة لأنّه لا يمكن أن تتجاور حركتان في الأداء.

جاءت إشارات لظاهرة المماثلة بين الصوائت العربية في القراءات القرآنية والدراسات اللغوية. ولعل ابن جني أبرز من تحدث عن الموضوع، وذلك عند تطرقه لإتباع الحركات في مثل " الحَمْدُ لُلَّه والحَمْدِ لِلّه وقِتِّلوا وفِتِّحوا »[4] فالحركة تطلبت حركة مثلها في الدال واللام حتى يتم التخفيف، وقد قرأ أبو عبلة (الحمدُ لُله) فأتبع حركة اللام لحركة الدال لأنّ الضم مع الضم أخف عليهم من توالي الضم والكسر[5].

ويورد عبد الصّبور شاهين من قراءة عمرو بن العلاء أنّ هذا الأخير قرأ قوله تعالى:﴿إِلاَّ مَنِ إِغْتَرَفَ غَرْفَةً بِيَدِهِۦ﴾[6] في حين قرأ حفص بضم الغين فقال: " فالواضح فالواضح أنّ هذا الاختيار يظهر فيه انسجام الحركات، المشهور عن تميم لأنّهم أهل بداوة

1 ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، ص143.

2 ـ عبده الراجحي، المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

3 ـ براجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، تص: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 2003، ص62.

4 ـ ابن جني، الخصائص، ج2، ص333 والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، ص110.

5 ـ ينظر: علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، ص 61.

6 ـ البقرة/249.

ينزعون دائما إلى إحداث هذا الانسجام في أصوات اللين »[1] ، فتتبع الفتحة فتحة أخرى ليتم الإبقاء على وضع اللسان نفسه. ويعلل سبب ذلك أحمد طه حسانين سلطان بقوله: « إنّ جهاز النطق يتعثر في التفوه بها، وهنا يلزم نوع من التغيير في بعض تلك الصور، ليتمكن النطق بها دون معاناة أو نفور »[2] وهذا التصرف ينم عن مطلب الاقتصاد الصوتي.

ترجع أسباب المماثلة على حد قول بعض اللغويين إلى أمرين مهمين هما:[3]

ـ العامل العضوي: وهو تعثر الجهاز النطقي في التفوه بالأصوات المتجاورة.

ـ العامل النفسي: وهو الإسراع والجنوح إلى ما هو أخف، وذلك مألوف في طبيعة أهل البادية، دون قصد منهم إلى شيء من ذلك.

جاءت قراءة قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾ في قراءة أبو جعفر يزيد بن القعقاع من رواية ابن جماز ومن غير طريق هبة الله وغيره عن عيسى بن وردان بضم تاء حالة الوصل إتباعا.[4] ولا يكون ذلك إلا مطلبا صوتيا بإتباع الضمة الأولى إلى الثانية بتأثر رجعي وذلك رغم الفصل بين الحركتين بألف الوصل.

المماثلة في صيغ عربية:

وردت المماثلة في صيغ صرفية مختلفة في القراءات القرآنية متأثرة بلغات القبائل العربية، ففي جمع (فُعْلَة) يورد سيبويه ما قوله: « و أما ما كان (فُعْلَة) فإنّك إذا كسرته على بناء أدنى العدد ألحقت التاء وحرّكت العين بضمّة، وذلك قولك رُكْبَةٌ ورُكُباتٌ، وغُرْفَةٌ

1 ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ـ أبو عمرو بن العلاء ـ، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1987، ص313.

2 ـ قراءة يحي بن وثّاب في ضوء التشكيل الصوتي، ص21.

3 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها. وعبد الصابور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 232.

4ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص517. والواسطي، الكنز في القراءات العشر، تح: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، ص126.

وغُرُفاتٌ، وجُفْرَةٌ وجُفُراتٌ »[1]. ووردت قراءة قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، إذ قرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم (خُطُوات) مثقّلة أي بضم الطاء إتباعا لضمة الخاء.[4]

تقع المماثلة في الصيغتين (فَعِيل وفَعِل) إذا كانت عين الصيغة من حروف الحلق الستة والفاء مفتوحة، فيقر سيبويه أنه: « إذا كان كذلك كسرتَ الفاء في لغة تميم وذلك قولك: لِئِيمٌ وشِهِيدٌ، وسِعِيدٌ ونِحِيفٌ، ورِغِيفٌ، وبِخِيلٌ وبِئِيسٌ، وشِهِدٌ، ولِعِبٌ، وضِحِك، ونِغِلٌ، ووِخِم »[5] ، وبتجذر هذه المماثلة في لغات العرب، نجدها متأصلة في القراءات القرآنية، ففي قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[6]، يقول مكي بن أبي طالب أنّ صيغة (نِعِمّا) (نِعِمّا) قرأها: « ابن كثير وحفص وورش بكسر النون والعين »[7] فيتم كسر النون إتباعا لكسرة العين وهي لغة هذيل.[8]

تتم هذه المماثلة كمطلب اقتصادي بين أصوات الصيغتين ولاسيما حركتي الفاء والعين، وحملهم ذلك على حد قول ابن جني: « ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق »[9] ، وتقريب الأصوات بعضها من بعض حتى يتسنى الأداء السهل والمريح

1 ـ سيبويه، الكتاب، ج3، ص579.

2 ـ البقرة /194.

3 ـ البقرة/207.

4 ـ أنظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، دت، ص 174.

5 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص107.

6 ـ البقرة/271.

7 ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، ج 1، مؤسسة الرسالة، ط3 ، بيروت، 1984، ص316.

8 ـ أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح: شعبان محمد إسماعيل، ج 1، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1987، ص455.

9 ـ ابن جني ، الخصائص، ج2، ص143.

على أعضاء النطق. ويتجه سيبويه إلى الفكرة نفسها فيذكر أنّه: « كسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخفّ عليهم، حيث كانت الكسرة تشبه الألف، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد»[1]، فوجه التخفيف أن يعمل اللسان عملا واحدا في الكسر المتتالي.

يتطرق عبد الصبور شاهين إلى تقريب الحركات من بعضها البعض إذ يرى أنّ البدو« لا يحسنون إلّا توافق الحركات، فإما أن ينطقوا: فِعِيل، وأما أن ينطقوا: فَعَيْل، ولقد آثروا الأولى لعدم وجود الثانية في الفصحى، وكذلك آثروا فِعِل دون فَعَل »[2] وهذا سهل على الناطق العربي عندما يبدل الفتحة بالكسرة. ويضيف المؤلف: « أنّ العرب لا ينطقون فَعِل، لما فيه من المخالفة بين الحركات، وهو أمر لم تتعوده ألسنتهم »[3] والعادة الأدائية مطلب للسهولة وبالتالي يعد صميم الاقتصاد الصوتي.

يقع الإتباع في جمع صيغة (فِعْلة) فيصير فِعِلات من نحو سِدْرة وسِدِرات، ويقول سيبويه: « وما كان (فِعْلةً) فإنّك إذا كسّرته على بناء أدنى العدد أدخلت التاء وحرّكت العين بكسرة، وذلك قولك: قِرِباتٌ وسِدِراتٌ وكِسِراتٌ »[4] ويبقى الهدف الأسمى من عملية المماثلة أو الإتباع على حد تعبير القدامى هو تخفيف النطق بتوالي الكسرتين في صيغة الجمع.

تماثل الصوائت في هاء الكناية:

ورد تعريف لهاء الضمير في كتب القراءات، وكتب اللغة على حدّ سواء فيطلق «مصطلح (هاء الكناية) في كتب القراءات على هاء الضمير الذي يعود على المفرد الغائب، وتسميته بالكناية مصطلح (كوفي) على حين يسميه البصريون ضميرا »[5] ، واتفق الجميع على أنها مضمومة إذ يقول سيبويه: « اعلم أنّ أصلها الضمّ وبعدها الواو، لأنها في الكلام

1 ـ الكتاب، ج4، ص108.

2 ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، ص290.

3 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

4 ـ سيبويه، الكتاب، ج3، ص580-581.

5 ـ أحمد محمد عبد الرّاضي، الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة ابن عامر، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 2011، ص46. وانظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح: شعبان محمد إسماعيل، ص150.

كلّه هكذا، إلاّ أن تدركها هذه العلّة التي أذكرها لك. فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة.[1] وينطبق الأمر نفسه على الضمائر الأخرى من مثنى وجمع ومؤنث والأصل أن يكون على قول أحدهم: « المفرد المذكر مضموما (ـهُ) وكذلك الحال في المثنى(هُما) وفي الجمع المذكر (هُم) وفي جمع المؤنث (هُنّ) »[2].

تأتي المماثلة في هاء الضمير بتوافق تقدمي حيث يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول فالضمة « تتأثر بما قبلها، فإن سبقت بكسرة قصيرة أو طويلة أو ياء ساكنة فإنها تقلب كسرة لتتوافق مع الصائت السابق لها »[3] ، وجاء في القرآن الكريم أمثلة عن ذلك منها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوٓاْ﴾[6]، وقوله عز وجل: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[7]. في هذه النماذج وقعت هاء الكناية بعد كسر أو بعد ياء فحدث التماثل بينهما وأصبحت حركة الهاء كسرة إتباعا. ويقع التماثل بشكل نسبي حين يميل الصوت إلى صوت آخر طلبا للتخفيف على الجهاز النطقي.

الإمـالـــــة:

ورد في لسان العرب أنّ «الميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه »[8] ، وهنا يظهر توظيف الميل إلاّ في اتجاه واحد فقط، فالميل إلى الشيء توجه نحوه مما يبطن الابتعاد عن

1 ـ سيبويه ، الكتاب، ج4، ص195.

2 ـ فدوى محمد حسّان، أثر الانسجام في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص175.

3 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

4 ـ البقرة/22.

5 ـ البقرة/7.

6 ـ البقرة/20.

7 ـ البقرة/197.

8 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة ميل، ص4309.

غيره. فهكذا الإمالة تحمل في معناها التضاد، بما فيها الاقتراب والابتعاد "[1]. ومن القاموس المحيط " مال إليه ميلا: عَدَلَ "[2] ، وجاء في مقاييس اللغة أنّ: " (ميل) الميم والياء واللام كلمة صحيحة تدلّ على انحرافٍ في الشيء إلى جانب منه. "[3] فالمعنى اللغوي للإمالة يقصد منه الابتعاد عن الشيء والاقتراب من آخر.

يتحدث سيبويه عن الإمالة ويضع تعليلا لها في أكثر من موضع من الكتاب يقول في أحدها: " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور. وذلك قولك عابِد، وعالِم، ومساجِد، ومفاتِيح. وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها "[4] والنص يوضح علة الإمالة التي استدعتها الكسرة البعدية المستفلة حين جاورت الألف، فمطلب الانسجام الصوتي بين الكسرة والألف يفرض تقريب الأخيرة من الأولى.

ولا تكون الإمالة بسبب الكسرة البعدية فقط بل تكون معها إذا سبقت الألف على قول سيبويه: " وإذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك، والأول مكسور (نحو عِماد) أملت الألف "[5] فإمالة الألف أو الفتحة يستوجبها وجود الكسر في محيطهما، ويقع بذلك الانسجام بين الأصوات.

تطرق ابن جني كسلفه سيبويه للإمالة فنجده في الخصائص يورد نصوصا مطولة في شأن الحركات إذ يقول:"أمّا ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث. وهي الضمّة والكسرة والفتحة. ومحصولها على الحقيقة ستّ. "[6] ويشير المؤلف إلى وجود حركات فرعية تحدث بإمالة الحركات الأصلية وخاصة الألف والفتحة.

---

1 ـ ينظر: مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص112.

95 . الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مادة مال، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 8، بيروت، 2005، ص1059.

3 ـ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة،كتاب الميم، تح: عبد السلام محمد هارون، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص290.

4 . المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

5 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص 117.

6 . ابن جني، الخصائص، ج3، ص120.

يعرف ابن جني الإمالة فيقول: « إنّما هي أن تنحوَ بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف الّتي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصّوت، فكما أنّ الحركة ليست فتحة محضة، فكذلك الألف الّتي بعدها ليست ألفا محضة »[1] فهو كغيره يحصر في هذا النص الإمالة في الفتحة والألف اللتين تقتربان من الكسرة أو الياء المدية ويقع بذلك الانسجام في الأصوات.

يضيف ابن جني أيضا قائلا: « بين كل حركتين حركة، فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة؛ نحو فتحة عين عَالم، وكاف كَاتب. فهذه حركة بين الفتحة والكسرة؛ كما أنّ الألف التي بعدها بين الألف والياء »[2] يستشف من النص وجود لكميات فرعية بين كل حركتين تتصدرها التي بين الفتحة والكسرة أو الألف والياء المعروفة عند القراء خاصة بالإمالة. ويقر ابن جني بأنّ الإمالة : « إنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت»[3] فيكون التقريب لغرض الانسجام بين الأصوات، وهو اقتصاد صوتي محض.

عرف المبرد (285هـ) الإمالة بقوله: « هو أن تنحو الألف نحو الياء. ولا يكون ذلك إلاّ لعلّة تدعو إليه»[4]، فالنص يهتم فقط بالألف التي تميل إلى الياء لتقترب منها في الصفات الصفات بحيث تتخذ أعضاء النطق الوضعيات المتماثلة. ونجده يلمح إلى البيئة الصوتية التي وقعت فيها الألف فيقول: « فكلّ ما كانت الياء أقرب إلى ألفه أو الكسرة فالإمالة له ألزم. وكلّ ما كثرت فيه الياءات أو الكسرات فالإمالة فيه أحسن »[5]، فيظهر أنّه كلما كانت الياءات وجبت الإمالة.

1 ـ ابن جني ، سر صناعة الإعراب، تح: علاء حسن أبو شنب، ج1،المكتبة التوقيفية، القاهرة، 2012، ص83-84.

2 . ابن جني، الخصائص، ج3، ص120.

3 ـ المجع السابق نفسه، ج2، ص141.

4 ـ المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ج3،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994، ص42.

5 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

وذكر ابن الجزري في قوله: « والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحض»[1] وقد اختزل الإمالة في جزئية واحدة وجعلها في اتجاه الكسرة والياء فقط. وأما أبو عمرو الدّاني يتناول الإمالة من حيث ارتباطها بالفتح في قوله: «الأصل هو الفتح وإنّما عَدل عَنه مَن اختار الإمالة من القراء والعرب، رغبة في أن يتناسب الصوت بمكانها ولا يختلف فيخف على اللسان، ويسهل في النطق، فلذلك نحا بالفتحة نحو الكسرة، فمالت الألف التي بعدها نحو الياء»[2] فالتخفيف والسهولة من مطالب الاقتصاد الصوتي.

تطرق حسام البهنساوي إلى الإمالة من الناحية العضوية فقال: «هي تقع بين موضع الفتحة والكسرة بالنسبة لوضع اللسان، أي بين وضعه مستويا في قاع الفم ووضعه مرتفعا من مقدمته نحو وسط الحنك »[3] فالإمالة كمية يأخذ اللسان فيها وضعا متوسطا بين موضعه مع الفتحة والكسرة، فيتسفل اللسان بانبساطه وهبوطه نحو قعر الفم "[4]. تقع الإمالة طلبا للخفة في أداء الألف والفتحة إذ يقول الجندي: « الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب أسفله، فتنافرا، ولهذا جنحت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، وبهذا زال الثقل وحلّ محله الانسجام والتماثل.»[5]، وما الانسجام والتماثل والخفة إلاّ مظهر من مظاهر الاقتصاد.

أوضحت الدراسات الحديثة كمية الإمالة فقدروا أنّها: «أية حركة واقعة بين أعلى حركة وأدنى حركة، (سواء أكانت الحركة أمامية أم خلفية). فأعلى حركة أمامية هي الكسرة (والكسرة الطويلة وهي ياء المد). وأدنى حركة أمامية هي الفتحة المرققة (والفتحة الطويلة وهي الألف) »[6] وبالتالي تتضح درجة الإمالة بتوسطها الفتحة والكسرة أو الألف والياء دون

1 . النشر في القراءات العشر، ص387.

2 ـ الفتح والإمالة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ،بيروت، 2002،ص13.

3 ـ علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2004،ص125.

4 ـ ينظر: عبد العزيز علي سفر، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون، ج1، التراث العربي، الكويت، 2001، ص232.

5 ـ أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1، الدار العربية للكتاب، 1983، ص276-277.

6 ـ عبد المهدي أبو اشقير، تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، ص 49-50.

تحديدها بدقة. وقد ورد نص آخر من دراسة أخرى يهتم بدرجة الإمالة من القول: « يرتفع اللسان بمقدار الثلث، أو الثلثين، من المسافة الكائنة بين أسفل حركة في الأمام، عند نطق الفتحة والألف المرققين، وأعلى حركة في الأمام عند نطق الكسرة وياء المد »[1] فالثلث أو الثلثان يوحي بوجود إمالتين مختلفتين.

ورد في القراءات تسميات مختلفة للإمالة ولكن بعضها استعمل للتفريق بينها من حيث الكمية، فنجد ابن الجزري يذكر نوعيها في قوله السابق الذي نورده هذه المرّة مفصلا: «الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر أيضا. وقليلا وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين، فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضا إلى قسمين: إمالة شديدة وإمالة متوسطة »[2] ومع ذلك يبقى الهدف واحد وهو انسجام في البيئة الصوتية وبالتالي الاقتصاد في الجهد.

وفشت الإمالة في لهجات قبائل عربية معروفة يذكرها إبراهيم أنيس: «وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة العربية وشرقيها، وأشهرها: تميم وأسد وطيء وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب. »[3] وهذه القبائل انتشرت في مناطق مختلفة من العالم العربي الحالي بعد الفتح الإسلامي، فظهرت القراءة بالإمالة بهذه الأمصار. ولم تكن الإمالة آخر مظهر بل نجد أخرى تتعلق بالحركات وعلى رأسها حذف الصوائت.

حذف الصوائت:

رأينا مع الوقف من قبل أنّ الحركة القصيرة تَضْعُفُ مدّتها وتحذف بالكامل لغرض التخفيف. ويطرأ حذف الحركة في البنية العربية مما يسمح بتسهيل أداء الأصوات والاقتصاد

1 ـ سمير شريف إستيتية، علم الأصوات الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، ص 245.

2 ـ النشر في القراءات العشر، ص387-388.

3 ـ في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003، ص53.

في الجهد، فيقول زيد خليل القرالّة: « يعد قانون الحذف من القوانين الفاعلة في بناء الكلمة، ويقع حذف الحركة في مواطن عدة في بناء الكلمة العربية»[1] وهذا ما نسعى إلى توضيحه من خلال الفقرات التالية.

تنفر البنية العربية من توالي الحركات، فعند الانتقال من البنية ذات المقاطع القصيرة الثلاثة إلى بنية تتطلب أربعة مقاطع قصيرة، فيظهر السكون عوض الحركة وتتغير المقاطع. فيأتي السكون لرفع الثقل الحاصل بتوالي الحركات. عند إسناد الفعل الماضي إلى الضمير الغائب مثلا تأتي البنية العربية التي تختلف مقاطعها ويظهر السكون. ويكون الأمر ذاته عند صياغة الفعل المضارع من الفعل الثلاثي (فَعَلَ) فتسكن فاء الصيغة (يَفْعَلُ).

يتطرق تمام حسان للبنيات التي سبقت بقوله: « أنّنا أمام صورة من الصور التي قررها نظام اللغة مما تتوالى فيه أربعة حروف متحركة وهذه مشكلة من مشاكل التطبيق على نظام اللغة من هنا يلجأ الذوق الاستعمالي العربي إلى إسكان لام الفعل التي عليها علامة البناء فيصبح الفعل مبنيا على السكون »[2]، فالمؤلف يتناول الفعل الماضي المسند إلى الضمير وبهذا تتفادى اللغة توالي أربعة حركات. وليس هذا الضرب الوحيد من التسكين الذي تتبناه اللغة العربية، بل يتعداه إلى أخرى.

ويقع الإسكان في وسط الكلمة لضرب من التخفيف، وهو مظهر اقتصادي في الكلام. وقد « يثقل على اللسان أن تتوالى في الكلمة ضمّتان، كما يثقل عليه أيضا أن تتوالى كسرتان، فالضمة والكسرة كلتاهما ثقيلة في النطق، فإذا وليت الضمة ضمة والكسرة كسرة اشتد الثقل وازداد »[3] فهذه مسلمة فيزيولوجية مرتبطة بتشكل اللسان في الفم، إذ يرتفع مقدمه مع الكسر ويرتفع جذره مع الضم، وبالتالي يزداد الجهد ويطلب التخفيف.

1 ـ الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، ص111.

2 ـ اللغة العربية معناها ومبناها ، ص299.

3 ـ حمزة عبد الله النشرتي، من مظاهر التخفيف في اللسان العربي، مكتبة الاسكندرية، مصر، 1986، ص12.

يتحقق مطلب الخفة بالتسكين «فلما كانت اللغة العربية تميل دائما إلى الخفة فإنّ العرب في مثل هذه الحالات يميلون إلى التسكين بحذف الحركة فيخفف اللفظ ويصبح مستساغا بعد أن كان ثقيلا. »[1] ويقع الحذف عند توالي حركتين أو أكثر خاصة التي اتصفت بالثقل من مثل الضمتين والكسرتين.

وقع أيضا الحذف في الاستعمال العربي، وأسقطت الصوائت في صيغ معينة مما شاع في اللهجات المختلفة للقبائل العربية. ذكر سيبويه في باب ما يسكن استخفافا وهو في الأصل متحرك قوله مما اتصل بالصيغة (فُعُل): «وذلك قولهم في فخذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفي عَضُدٍ: عَضْدٌ، وفي الرَّجُل: رَجْلٌ، وفي كَرُمَ الرّجُلُ: كَرْمَ، وفي عَلِمَ: عَلْمَ، وهي لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم. »[2]، فتضطر بعض اللهجات العربية إلى التخفيف بحذف الصوائت.

يكون حذف الصوائت كراهة في توالي الحركات ولاسيما إن كانت المتواليات حركتين مختلفتين، حيث يقر سيبويه بقوله: « وإنّما حملهم على هذا أنّهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخفُّ عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخفّ إلى الأثقل، وكرهوا في عُصِرَ الكسرة بعد الضمّة، كما يكرهون الواو بعد الياء في مواضع »[3] فهذه صعوبة عضوية تعترض تشكل اللسان، كما تكون الكراهة نفسها في الحركتين المتواليتين المتفقتين.

يضيف سيبويه في قوله: « وإذا تتابعت الضمّتان فإنّ هؤلاء يخفّفون أيضا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين. وذلك قولك: الرُّسْل، والطّنْب، والعُنْق تريد (الرُّسُل، والطُّنُب، والعُنُق) »[4] فهذه صعوبة يطرحها تكرار تشكل اللسان مع الضّم فتلغى عملية التشكل الثانية بحذف حركة الضّمة وتعويضها بالسكون. ويقع الأمر نفسه مع توالي الكسرتين إذ يضيف سيبويه قوله:

1 ـ حمزة عبد الله النشرتي، من مظاهر التخفيف في اللسان العربي، 12.

2 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص113.

3 ـ المرجع السابق نفسه، ص114.

4 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، 114.

«وكذلك الكسرتان تُكرَهان عند هؤلاء كما تكرهان الياءان في مواضع. وذلك في قولك في إِبِل: إِبْلٌ. »[1] وهكذا تجنح بعض اللهجات إلى تعويض الكسرة الثانية بالسكون حتى يتسنى التخفيف بعدم بذل جهد إضافي مع الحركة الأخرى.

وردت قراءات معينة بالذي سبق من حذف الحركة بتسكينها في لهجات عربية معينة تأتي على رأسها قبيلة تميم. فقد قرأ ابن كثير بحذف الحركة في دال لفظ (**القُدُسِ**) وتعويضها بالسكون في قوله تعالى: ﴿ **وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ** ﴾[2]، وكما قرأ الحسن وإبراهيم ويحي بن وثاب (**حُرْم**)[3] في قوله تعالى: ﴿**وَأَنتُمْ حُرُمٌ** ﴾. ولم تقتصر الظاهرة على قراءة واحدة بل تعددت عند القرّاء.

وأما قوله تعالى: ﴿**ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** ﴾[4] قرأه الحسن وأبو السَّمَّال: "وتركهم في ظُلْمات" ساكنة اللام.[5] ويرد حذف الصائت أو بعبارة أخرى التسكين في صيغ معينة منها ما ذكر آنفا ومنها ما سيرد. وقد لخص غالب فاضل المطلبي قوله: « ويلحظ أنّ هذا التخفيف يطرد في صيغة (فعل) فيسكنون عين الكلمة من غير أن ينظروا إلى الحركات»[6] فيقع تغيير في مقاطع الصيغة ويحدث التخفيف في البنية، إذ يضيف يضيف المطلبي قوله: « هذه اللهجات لا تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة معا، فتتحايل على ذلك بأن تحولها إلى مقطعين الأول منهما مقطع طويل مغلق، والثاني مقطع

1 ـ سيبويه، الكتاب، ج4، ص115.

2 ـ البقرة، الآية 87.

3 ـ ينظر: علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، ص246.

4 ـ البقرة، الآية 18.

5 ـ ينظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص136.

6 ـ غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد، ص175.

قصير مفتوح»[1]، وذلك في مثل تحويل (فُعُل) إلى (فُعْل)، و(فَعُل) إلى (فَعْل)، و(فِعَل) إلى (فِعْل)، و(فِعِل) إلى (فِعْل)، و(فَعِل) إلى (فَعْل).

وردت أمثلة من القرآن الكريم مسكنة العين على صيغة (فَعُل)، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[2] إذ قرآها يزيد بن علي (رَحْبَت) بسكون الحاء."[3] تعددت هذه الظاهرة في القرآن الكريم وعزيت كما سبق الذكر إلى قبائل عربية بدوية من مثل تميم وبكر بن وائل وربيعة "[4]، وأفراد هذه القبائل يقول عنهم أحمد علم الدين الجندي: «إنّهم يميلون إلى السرعة في النطق الذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، ولا شك أنّ حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد »[5] فالهدف الأسمى الذي تسعى إليه هذه اللهجات هو الاقتصاد عند الأداء.

ولم يتوقف الأمر على الإسكان السابق، بل نجده في الصيغة (فَعِل) على قول سيبويه: « وذلك قولهم في فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ »[6]، إذْ ورد في شأنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسُرَةٍ﴾"[7] إذ قرأ الحسن وأبو رجاء ومجاهد: **(فَنَظْرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ)**"[8]، ولم يقتصر الأمر على هذه النماذج فقط بل تعددت، فقد وردت أمثلة ذلك مع صيغ ذكرت سابقا ومع الحركات الطويلة أيضا.

1 ـ غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد، ص175.

2 ـ التوبة، الآية 25.

3 ـ ينظر: علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، ص251.

4 ـ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص113.

5 ـ أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية، ج1، الدار العربية للكتاب، 1983، ص246.

6 ـ سيبويه، الكتاب، ج4،، ص113.

7 ـ البقرة، الآية 280.

8 ـ أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: محمد عبد القادر عطا، ج 1، ص237.

تحذف الصوائت الطولية أيضا وذلك في باب الحذف للإعلال الذي ذكر في متون كتب اللغة القديمة والحديثة على حد سواء، فهذه ظاهرة صوتية تقلل الجهد العضلي المبذول وتخفف نطق الألفاظ. والإعلال بالحذف نعني به حذف الصوائت الطويلة (الألف والواو والياء) لغرض اقتصادي على قول فدوى محمد حسّان: "هذا الحذف يكون ناتجا عن وجودها ضمن منظومة معينة تسبب الثقل والجهد العضلي في أثناء النطق بها، لذلك تحذف حتى يتم التخلص من هذا الثقل"[1] ويكون في مواطن معينة من البنية الصرفية.

يحذف حرف العلة وهو الصائت الطويل عند التقاءه بساكن بعده من مثل: قمْ التي أصلها قوم، وخفْ التي أصلها خاف، وبعْ التي أصلها بيع. [2] وعلّة الحذف هي التقاء ساكنين. ويحدث الأمر نفسه مع (قلْت) التي أصلها قولْت التي اجتمع بها ساكنان، وكي لا يفسد المعنى تعذر حذف اللام، فقصرت الواو بحذف جزء منها وبقاء الضمة الدالة عليها. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُل مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلَ أَفَٱتَّخَذتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾[3].

ويحدث الحذف في الفعل الأجوف إذا صيغ منه اسم المفعول، ومن ذلك مقول ومصون التي الأصل فيهما مقوول ومصوون، وتعلل ظاهرة ذلك من القول: " نقلت ضمة الواو إلى الصحيح الساكن قبلها، فاجتمع ساكنان متماثلان، مما أدى إلى حذف الواو الثانية، وكذلك الحال في الأجوف اليائي "[4] وأمثلة اليائي مبيع ومكيل، فالأصل فيهما: مَبْيُوع ومَكْيُول، نقلت ضمة الياء إلى الصحيح الساكن قبلها، فالتقى ساكنان الياء والواو، فحذفت الواو، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء ودمجت فيها فأصبحت: مبيع ومكيل." [5] ويمثل

1 ـ أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص106.

2 ـ ينظر: أحمد حملاوي، شذا العرف في فن الصرف، المكتبة العصرية، بيروت، 2012، ص184.

3 ـ الرعد/ الآية 17.

4 ـ فدوى محمد حسّان، المرجع السابق، ص114.

5 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، ص114.

على ذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَوَ آنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[1]

يحذف الصائت الطويل إذا كان الفعل معتل الآخر فيحذف آخره في أمر المفرد المذكر والمضارع المجزوم وذلك في مثل:اِخْشَ، ولم يَخْشَ. [2] وهكذا يحذف الصائت تخفيفا عن صعوبة النطق، فقد ورد أنّ: « المضارع المعتل الآخر ينتهي بحركة طويلة طارئة في الكسر والضم، وعند دخول عامل الجزم فإنّ علامة الجزم في هذه الأفعال هي حذف الحركة. وهو هنا حذف جزئي، حيث تقصر الحركة الطويلة»[3]

ويكون الحذف جزئيا كذلك عند إسناد الفعل الناقص إلى تاء التأنيث نحو: رمى وغزا، فعند إلحاق تاء التأنيث بهذه الأفعال تصبح: رمت وغزت، بدلا من رمات وغزات. [4] والجزء الباقي من الصائت الطويل هو الفتحة التي قصرت من الألف. ولا يقتصر أمر الاقتصاد الصوتي بالحذف الصوائت، بل يقع كذلك بنقل الصائت من موقعه إلى آخر بغية التخفيف.

نقل الصائت:

وردت مادة (نقل) في معجم لسان العرب من القول: « النّقل: تحويل الشّيء من موضع إلى موضع»[5] ، وأما في الاصطلاح: فهو جعل حرف مكان حرف. [6] ونقول عنه أنّه أنّه نقل حركة إلى أخرى حتى تحل محلها بغية التخفيف في الأداء والاقتصاد في الأصوات.

1 - البقرة، الآية 103.

2 - ينظر: عزيز خليل محمود، المفصل في النحو والصّرف، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، دت، ص 80-81.

3 - زيد خليل القرالّة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، ص 117.

4 - ينظر: زيد خليل القرالّة، المرجع السابق نفسه، ص113.

5 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقل)، ص4529.

6 - رشيد عبد الرحمان العبيدي، معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، ص57.

أما كتب الصرف ربطت المصطلح بالإعلال واختص بالصوائت الطويلة لا غير والتي يطلق عليها أصوات العلة.

تُجْمِعُ الدراسات العربية على أنّ النقل يكون في صائتي الياء والواو، إذ ينقل «الصائت القصير من أنصاف الصوامت (الواو والياء) إلى الصامت الصحيح الساكن قبلها»[1] وبالتالي تنقل حركة شبه الصائت إلى الصامت الصحيح الساكن قبله إذ يقول أحد الباحثين:« وفيه تنقل حركة العين المعتلة إلى الصحيح الساكن قبلها، فإن كانت العين مجانسة للحركة اكتفى بالنقل والتسكين »[2] ويُمَثل على ذلك في (يَقُول) التي أصلها (يَقْوُل)، وفي (يَبِيع) التي أصلها (يَبْيِع).

قدّم عبده الراجحي في تناوله للإعلال بالنقل، تعريفا له من قوله: « ومعناه نقل الحركة من حرف علة متحرك إلى حرف صحيح ساكن قبله، وهو لا يحدث إلاّ في الواو والياء»[3] ثم فسر ما حدث مع الواو والياء بأمثلة نورد منها من قوله: « ولنأخذ الفعل (قَالَ) الذي عرفت أن أصله (قَوَل)، بدليل مصدره (قَوْل)، فإذا أردنا أن نصوغ منه فعلا مضارعا قلنا (يَقْوُلُ). ومثل هذا الضبط فيه شيء من الثقل »[4] والثقل يستوجب البحث عن السهولة بتعديل في البنية الصرفية الصوتية للصيغة.

نقلت حركة الواو والياء من المثالين السابقين إلى الصامت الصحيح قبلهما، وبهذا أزيلت صعوبة أداء الصامت الصحيح الساكن وبعده شبه الصائت المتحرك. وقد اجتمع في الأمثلة السابقة صائت وشبه صائت متماثلان (الضمة والواو في يقول، والكسرة والياء في يبيع) فحدث ثقل في الصيغة، ولأجل السلاسة في الأداء ورفع الثقل نقلت حركة العين إلى

1 ـ فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية العربية في القرآن الكريم، ص100.

2 ـ علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، ص317.

3 ـ عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص166.

4 ـ المرجع السابق نفسه، ص166 – 167.

الصامت الساكن القبلي، فأصبح الأداء فيه نوعا من الإشباع وليس فقط بقاء الشبه الصائت في حالة سكون.

علل صراع محمد الظاهرة بقوله: «ولما كان الثّقل بيّنا حذف المقطع المعتل (وُ) فصار التركيب هكذا (يَصْ/ مُ) ولإقامة الوزن نحتاج إلى إشباع ضمة عين الصيغة (يَفْعُل)»[1] ومن صواب هذا التعليل أنّ الألفاظ (يقول ويصوم ويبيع) يظهر في بنية صيغتها الصائت الطويل، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلأَرْضَ وَلاَ تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلآنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾[2]، ومن ظاهرة نقل الصوائت إلى ظاهرة القلب فيها.

قلب الصائت:

جاء في اللسان « ـ قلب ـ القَلْبُ: تحويل الشيء عن وجهه »[3] ومن معجم الصوتيات يقصد بقلب الحرف« تحويله إلى صوت آخر، وذلك يحدث في العلل كالواو والياء والألف »[4]، وأما سميرة رفاس قالت في شأنه: « إنّ القلب صورة صوتية هدفها تقريب الأصوات من بعضها، وتحقيق الانسجام فيما بينها. »[5] وما الانسجام إلا صورة من الاقتصاد الصوتي.

وأما القرالّة يرى أنّ: « القلب بمعناه الدقيق ليس مجرد إحلال صوت مكان صوت آخر، بل قلب صوت إلى صوت آخر بمعنى إحالته إليه، وذلك لوجود علاقة صوتية وثيقة بين الصوتين، ومن هنا انحصر القلب في الحركات وأشباه الحركات »[6]. ومن دواعي القلب ميل « اللغة في سيرها نحو السهولة والتيسير من أجل أن تتخلص من الأصوات العسيرة

1 ـ صراع محمد، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت الطويلة ديوان البحتري ابن هانئ الأندلسي نموذجا، ص 75.

2 ـ البقرة، الآية 68.

3 ـ ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة (قلب)، ص3713.

4 ـ رشيد عبد الرحمان العبيدي، معجم الصوتيات، ص139.

5 ـ سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص183.

6 ـ الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، ص100.

لتستبدلها بأخرى لا تتطلب صعوبة أو جهدا عظيما كبيرا في النطق »[1] ويطرأ القلب كما سبق مع المظاهر الأخرى لغرض الاقتصاد الصوتي، وذلك ما يقره القول: « تلجأ العربية إلى عدة طرق لإزالة هذا الثقل من أهمها القلب، فالإعلال بالقلب سببه عدم التجانس بين أصوات العلة عند اجتماعها في كلمة واحدة»[2]

بعيدا عن العلل قد تحل الحركة مكان أخرى في بعض الأبنية وذلك ما يقره القرالّة بقوله: « وتقلب الحركة حركة في بعض أبنية جمع التكسير ومن أمثلة ذلك سلطان، ومفتاح، ومنشار التي تجمع على سلاطين، ومفاتيح، ومناشير، فقد رأى بعض القدماء أنّ الألف تقلب ياء عندما تكون مسبوقة بكسر »[3] وما يهم هنا ليس تعليل القلب، بل الظاهرة في حد ذاتها من حيث وجودها في اللغة التي تقلب فيها الألف كسرة ليحدث الانسجام في صيغة الجمع.

وسبب قلب الحركة في الأمثلة السابقة ناجم عن ثقل وجود ألفين وليس بوجود الكسر وذلك ما يعلله قول القرالّة: «وأحسب أنّ علة القلب هي وجود غير حركة طويلة في كلمة واحدة من جهة، وأنّ هذه الحركات من جنس واحد، فتخلصت من تشابه هذه الحركات بقلب الفتحة الطويلة الثانية كسرة طويلة »[4] ومدعاة قلب الصائت إلى آخر هو مطلب الخفة والاقتصاد في الأداء، إذ انطلاقا من المفرد في المثال (مصباح) يجمع على (مصاباح) وهذا لا يفي غرض دلالة الجمع فتقلب الألف الثانية ياء.

ويرى القرالّة أنّ الحركة تقلب في بعض مواضع التصغير حيث قال: « ففي تصغير: مصباح، وسلطان، ومفتاح على: مصيبيح، وسليطين، ومفيتيح، تقلب الفتحة الطوية كسرة

1 ـ فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص76.

2 ـ المرجع السابق نفسه، ص77.

3 ـ زيد خليل القرالّة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، ص101.

4 ـ المرجع السابق نفسه، ص102.

طويلة بعد دخول ياء التصغير على بنية الكلمة »[1] لأنّه يتعذر وجود ياء التصغير مع ألف في البنية الأصلية للصيغة وكذا وجود الكسرة بها.

ارتبط مصطلح القلب ارتباطا وثيقا بأصوات العلة، فيقع قلب بينهما حيث يأخذ كل صوت مكان الآخر لغرض الخفة واليسر والتسهيل والانسجام. وأصوات العلة هي شبه صوائت طويلة مع أنها تتصرف في بنية الكلمة على أنها صوامت، التي سنتناولها في الفصل الموالي ببعض مظاهرها الاقتصادية في الأداء الصوتي.

1 - زيد خليل القرالّة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، ص103.

تصدير:

الصوامت في أي لغة كانت لها الصدارة في التشكيل اللغوي، فهي تمثل النسبة الأعلى من الأصوات مقارنة مع الصوائت. فالعربية تملك عددا مهما منها فنجد الدراسات العربية القديمة وجّهت اهتماماتها إلى هذا النوع من الأصوات. وجاء أول كتاب تناول الأصوات اللغوية العربية معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ) حين رتبه على حسب مخارج الحروف انطلاقا من أقصى الحلق، وهو يرى أنّ عدد الأصوات في العربية: "تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيازا ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف والهمزة"[1].

يرى الخليل أنّ الصوامت العربية هي بتعداد خمسة وعشرين صوتا ويخرج الهمزة ويعدها ضمن أحرف الجوف التي يعدها صوائت حسب بقية قوله: "وسمّيت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللّسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلاّ الجوف "[2] ويستشف من الطرح خروج الهمزة من الصوامت ولحاقها بالصوائت.

ويرى تلميذه سيبويه الرأي نفسه من حيث تعداد هذه الأصوات فيقول: "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: " الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشّين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو. "[3] وقد اتفق التلميذ مع أستاذه في عدد الأصوات وهو العدد تسعة وعشرون ولكنه اختلف في طرحه لها إذ لم يفرق بينها في هذه المرحلة من حيث المخارج أو حسب مرور الهواء.

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج 1، ص41.

2 - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

3 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص431.

يذكر سيبويه الخلافات بين هذه الأصوات ويصل إلى محطة يقول فيها: « ومنها (اللّيّنة)، وهي الواو والياء، لأنّ مخرجهما يتّسع لهواء الصوت أشدّ من اتّساع غيرهما. ومنها (الهاوي) وهو حرف اتّسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع مخرج الواو والياء. »[1] فهو يصنف هذه الأخيرة ضمن الصوائت وشبه الصوائت لتبقى الأخرى ضمن صوامت اللغة وهي بعدد خمسة وعشرين يضاف لها صامتي الواو والياء.

ذكر ابن الجزري رحمه الله عند تناوله لمخارج الحروف، معلومات كافية عن تصنيف الأصوات، فبدأ بالصوائت عندما قال: المخرج الأول: « الجوف ـ وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين»[2] فهو بذلك يرى أنّ هذه الثلاثة صوائت طويلة وشبه صوائت بدون الألف. ويبطن قوله أن بقية الحروف هي صوامت قسمها على ستة عشرة مخرجا آخر، بدأها من الهمزة والهاء منسوبة إلى أقصى الحلق ومنتهيا بالخيشوم الذي رآه مخرجا للنون والميم.[3]

لم يختلف المحدثون كثيرا عن غيرهم من القرّاء أو اللغويين في تعداد الصوامت العربية، فهاهو كمال بشر يتناولها بقوله: « والأصوات الصامتة المجهورة في اللغة العربية كما ننطقها اليوم هي: ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن والواو في نحو (ولد، وحوض) والياء في نحو (يترك وبيت) »[4] وبذلك يبلغ عدد الصوامت المجهورة فقط خمسة عشر صوتا.

ويتضح عدد الصوامت المتبقية من قوله: « والأصوات المهموسة في اللغة العربية كما ينطقها مجيدو القراءات اليوم أو كما ينطقها المختصون في اللغة العربية اليوم هي: ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك ه »[5] وبإضافة الصوامت المهموسة إلى المجهورة المذكورة من

1 ـ سيبويه الكتاب، ج4، ص435- 436

2 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص153.

3 ـ ينظر المرجع السابق نفسه، ص154- 155.

4 ـ كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للنشر والتوزيع، ص174.

5 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

قبل، ليصبح عددها في اللغة العربية سبعة وعشرين صامتا. ولم يختلف إبراهيم أنيس عن سابقيه في تصنيف الحروف فيقول: «والأصوات الساكنة consonants المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي ثلاثة عشر: ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن. يضاف إليها كل أصوات اللين Vowels، بما فيها الواو والياء. »[1] فهذه خمسة عشر صوتا صامتا يضاف إليها الأصوات المهموسة التي هي «اثنا عشر: ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك هـ»[2]، وعليه يتضح العدد نفسه للأصوات الصامتة عند الغويين المحدثين.

ويظهر عدم ذكر صوت الهمزة الذي اختلف حوله المحدثون إذ يقر بخصوصه بسام بركة قائلا: «وقد اختلف العلماء في كون الهمزة مجهورة أو مهموسة، إلاّ أن الرأي الراجح هو أنها لا بالمهموسة ولا بالمجهورة. »[3] تعد الهمزة حبسة حنجرية إذ ينغلق الوتران الصوتيان تماما مما يمنع مرور الهواء لفترة ثم يتحرران فيسمع صوتها. ويعلل إبراهيم أنيس ظاهرة حدوث الهمزة بقوله: «أما مخرج الهمزة المحققة فهو من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة. »[4]

يرى غالبية علماء الأصوات اللغوية من المحدثين بالرأي السابق في وصف الهمزة وعدها من الصوامت ولكن مع اختلاف في طريقة حدوثها، التي تمثل إجهادا كبيرا على الجهاز الصوتي. ويصف إبراهيم أنيس وقوع الهمزة بقوله: « انحباس الهواء عند المزمار انحباسا تاما ثم انفراج المزمار فجأة، عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات »[5] وهذا ما يفسر تناول القدماء

1 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص22.

2 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

3 ـ بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، دت، ص117.

4 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص78.

5 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

من القرّاء للهمزة بالتخفيف والتسهيل لغرض الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول عند تأديتها. وليست الهمزة الصامت الوحيد الذي يستدعي تصرفا خاصا لغرض الاقتصاد، بل الصوامت عامة تمتاز بخصائص نطقية وأكوستيكية تجعلها تتفاوت من حيث خضوعها لقانون الاقتصاد في الجهد المصاحب لإنتاج الصوت.

الخصائص النطقية والأكوستيكية للصوامت:

عالجت الدراسات القديمة والحديثة خصائص الأصوات اللغوية فتباينت الاختلافات. ولا نريد في هذا المقام الخوض في هذه الاختلافات، ولا نحاول أن نؤيد أحدا عل الآخر، بل نأمل طَرق الموضوع بجعل هدفنا الأسمى سهولة الصوت، ثم بعد ذلك إبراز الخصائص التي جعلته كذلك. وانطلاقا من إنتاج الأصوات اللغوية وتشكل أعضاء النطق معها، تتضح صور درجات صعوبة الأداء مع الوضعيات الفيزيولوجية المرافقة.

تختلف الأصوات اللغوية فيما بينها من حيث طريقة التشكل الفيزيولوجي للأعضاء المصوتة، ووفق مقدار الهواء الموفر لكل صوت. ويتجلى هذان الأمران بدرجة اهتزاز الوترين الصوتيان فهي مهموسة أو مجهورة، وبنقطة اعتراض الهواء ودرجته فمنها الشفوية والأسنانية والحلقية والشجرية واللثوية. أما مقدار الهواء الموظف فيحدد شدّة الصوت، وأما اللسان فله الدور الأساسي في حدوث أغلب الأصوات ولذلك نسبت اللغة إليه.

يحقق اللسان أصواتا مطبقة بارتفاعه وتقعر وسطه، ويستفل في قاع الفم لينتج الأصوات المنفتحة، كما يهبط ويتجه إلى الأمام مع ارتفاع مقدمه مع الكسرة، فهكذا تتضح أهمية اللسان في إنتاج الأصوات اللغوية. ويصنف العلماء الأصوات وفق معايير مختلفة،

فمنها ما يرتبط بوضع الأوتار الصوتية، ومنها ما تعلق بكيفية مرور الهواء، ومنها ما يقسّم حسب المخارج والأحياز."[1]

أخذ علماء الأصوات لتحديد صفتي الجهر والهمس الأوتار الصوتية على هرم تقسيماتهم. فانقباض فتحة المزمار تجعل الوترين الصوتيين يقتربان من بعضهما البعض، وإذا اندفع هواء الزفير خلالهما اهتزا بشكل منتظم ليحدث صوتا له خصائص تجعله مجهورا."[2] وجملة الأصوات الصامتة المجهورة باتفاق المحدثين هي: ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن و ي. "[3] ولا شك أنّ هذه الأصوات تتولد بتوفير طاقة هوائية مهمة مندفعة من الرئتين مقارنة بالأصوات المتبقية، وذلك يصاحبه جهد مهم يناسب الجهر.

وفي مقابل الجهر تأتي صفة الهمس التي يحدث فيها انفراج «الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه، ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان »[4] ولاشك أنّ انسياب الهواء بسهولة ودون عائق يعترضه، يوحي بضآلة الجهد المبذول لإنتاج هذا النوع من الصوامت، وقد قال سيبويه: «وأما المهموس، فحرف أضعف الاعتماد في موضعه»[5].

اتفق علماء الأصوات أنّ الصوامت المهموسة للغة العربية هي: ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك هـ. [6] وعدم تذبذب الوترين الصوتيين مع الصوامت المهموسة يبقى يحتاج إلى التكملة وعلى ضوء ذلك يقول إبراهيم أنيس: «وليس معنى هذا أنّ ليس للنفس معه ذبذبات مطلقا وإلا لم تدركه الأذن، ولكن المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين

1 ـ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص173.

2 ـ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص21.

3 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، ص22 وكمال بشر، علم الأصوات، ص174.

4 ـ حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص49-50. وينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص174.

5 ـ سيبويه، الكتاب، ص434.

6 ـ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص23 وكمال بشر، علم الأصوات، 174 و حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص50.

الصوتيين»[1] فالاختلاف بين الهمس والجهر هو الاختلاف في درجة تذبذب الوترين الصوتيين. فإذا زاد تردد الصوت اللغوي عن 10.000 هرتز فيكون الصوت مجهورا، وأما إذا قل عن القيمة الأخيرة فيكون مهموسا."[2]

وقد تقع الأصوات بين قيمتين إحداهما دنيا وأخرى عليا، وعليه الأذن الإنسانية لا تدرك الأصوات التي يصل تواترها أو يفوق 20.000 هرتز، كما لا يمكنها سماع الأصوات التي يساوي ترددها أو يقل عن 16 هرتز."[3] وبالحديث عن ترددات الأصوات نجد نوعا ثالثا منها يحدث عندما يقترب الوتران الصوتيان فيتطابقان فيمنعا مرور الهواء بشكل تام، ثم يزول منع النفس فجأة ليخرج صوتا انفجاريا باندفاع الهواء المحبوس من قبل وهو ما يمثل همزة القطع.

الهمزة شائعة الاستعمال في اللغة العربية وهي صامت لا بالمجهور ولا بالمهموس، فاعتبرت وقفة حنجرية تتطلب جهدا كبيرا حين أدائها فتناولها الدرس اللغوي القديم بالاهتمام، فقال السيوطي: "اعلم أنّ الهمز لما كان أثقل الحروف نطقا، وأبعدها مخرجا، تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا »[4] والثقل يتطلب التخفيف الذي يدخل ضمن الاقتصاد في الجهد، وللصوامت صفات عديدة تميزها عن بعضها البعض.

وَسْمُ الهمزة بالانفجار يقودنا إلى صفات ثانوية أخرى للصوامت تصاحب الجهر حينا كما تصحب الهمس حينا آخر. وقد اتفق علماء الأصوات على تقسيم يكون مرتبطا بحسب كيفية مرور الهواء، مع اختلافهم في المصطلحات الموظفة. فيقر كمال بشر بما سلف ذكره في قوله: " يختلف الدارسون فيما بينهم اختلافا نسبيا في تفاصيل هذا التقسيم وفي

1 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص22.

2 - ينظر: مكي درار وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية، ص 98.

3 - ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

4 - الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ص209.

مصطلحاته، وإن كانت المعايير عند الجميع متفقا عليها »[1] والمعيار الأساسي درجة انحباس مجرى النفس عند مخرج الصوت، وأما الاختلاف المصطلحي نتجاوزه لأننا سنستعمل منها ما شاع في التراث ولاسيما القراءات القرآنية.

نبدأ بالصوامت الشديدة التي يذكرها سيبويه بقوله: « ومن الحروف (الشدّيد)، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه »[2] وما مصدر الصوت إلا نفسٌ خارج من الرئتين في عملية الزفير فلا يكون المنع إلا له. وإذا أردنا العودة إلى ما ذهب إليه المحدثون من أنّ هذه الأصوات «التي يحدث في أثناء النطق بها وقوف الهواء وقوفا تاما في نقطة من نقاط النطق في الجهاز النطقي بدءا من الحنجرة حتى الشفاه. »[3] يحدث الانحباس في نقطة مخرج الصامت ثم إذا زال المنع ينطلق الصوت بشدّة.

يقع مع الصوامت الشدّيدة انحباس تام للهواء مدّة قصيرة من الزمن عند نقطة مخرجه، ثم يزول العائق فجأة فَيُحْدِث «النفس المنحبس صوتا انفجاريا »[4] وعملية الانحباس ثم التحرير المفاجئ للهواء يكونان مصحوبان بجهود على مستوى الجهاز النطقي، وهذه الصوامت الشديدة ستتميز لا محالة بخصائص أكوستيكية واضحة المعالم تختلف عن خصائص نظيراتها الرخوة، والقياسات خير دليل على ذلك.

للوقوف على الاختلافات بين أبعاد الأصوات الصامتة نجري قياسات على أصوات متقابلة الصفات، فنأخذ صوتا مجهورا وآخرا مهموسا، وصوتا شديدا يقابله صوت رخو، وكذا صوت الهمزة لما يمثله من تميز بين الأصوات الصامتة. وفي كل مرّة نسجل قياسات الأبعاد التي تناسبنا.

1 ـ علم الأصوات، 196.

2 ـ الكتاب، ج4، ص434.

3 ـ كمال بشر، الأصوات اللغوية، ص169-197.

4 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص24.

نختار من بين الأصوات الصامتة صوت الباء الذي يعد صوت شفوي شديد مجهور."[1]" كما نختار في المقابل صوت التاء الأسناني الشدّيد المهموس. نجري القياس على مقطع الصامت والحركة القصيرة وهي الفتحة، ونسجل التردد الأساس على جدول بعد فصل الصامت عن الحركة الذي يميز تردد الوترين الصوتيين.

	الصامت من المقطع **بَ**	الصامت من المقطع **تَ**
درجة الصوت (Hz)	**123,791**	**أقل من 75 (Hz)**

الجدول – 13 –

نقف أمام حقيقة عدم تسجيل القياس لقيمة للتردد في حالة التاء، وهذا لخصوصية برنامج برات الذي لا يكشف عن الترددات الأقل من 75 هرتز وبالتالي دليل على عدم اهتزاز الوتران الصوتيان لضعف اهتزازهما في المهموس من الأصوات مما يقلل إجهادهما مقارنة بالصوت المجهور، الذي يظهر أنّ تردده الأساس سجل قيمة واضحة تدل على قوة الشدّ وبالتالي إجهاد على مستوى الوترين الصوتيين.

وإذا رمنا الاستزادة عن ظاهرة الإجهاد على مستوى الوترين الصوتيين نتناول صوت الهمزة بإجراء قياس لتردده الأساس على صامت الهمزة من لفظة (سَأَلَ)، بعد فصل المقطع الثاني من الكلمة. ويمثل الشكل (. 1 .) التمثيلين الذبذبي في الأعلى والطيفي في الأسفل لمقاطع الكلمة سَأَلَ، حيث يظهر المقطع الثاني للهمزة المفتوحة بمظهر مظلل. وجاءت قياسات درجة وشدّة وزمن تأدية صوت صامت الهمزة ممثلة على الجدول التالي:

	الزمن (الثانية)	**الدرجة (Hz)**	**الشدة (Db)**
صامت الهمزة	**0,210325**	**310,387**	**60,133**

جدول – 14 –

1 ـ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات،ص248. وحسام البهنساوي، علم الأصوات، 62، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص43.

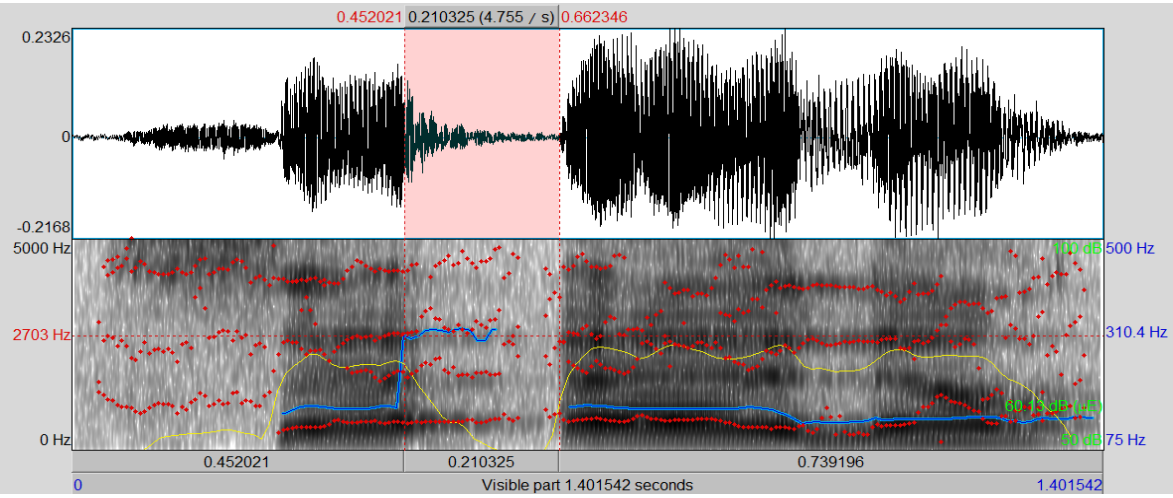

شكل –1 –

نقرأ قيمة مقدار درجة الصوت المرتفعة لصوت الهمزة التي بلغت 310,38 هرتز، وهي قيمة مرتفعة لتردد الوترين الصوتيين التي تترجم قمة الإجهاد على مستواهما وقوة شدهما مما يتطلب اللجوء إلى تخفيف ذلك.

للكشف عن التأثيرات التي يتعرض لها الجهاز النطقي في حالة الصفات الثانوية، أجرينا قياسات لمقطعين منفصلين أحدهما لصوت شديد ويمثله الدال، والرخو يمثله الذال. وضعنا قيمة الشدّة المقاسة على الجدول (– 15 –) ، فتبين أنّ الشدة في حالة صوت رخو أكبر من نظيرتها مع الصوت الشدّيد، وبالتالي طلب إضافي للوقود الحيوي لعملية التواصل وهو الهواء. وهكذا يظهر أنّ الصوت الشدّيد مقتصد لهواء الزفير اللازم لعملية التواصل والأداء مقارنة بالرخو الذي يتطلب كمية أكبر.

	الشدّة (Db)
صامت الدال من (دَ)	**55,579**
صامت الذال من (ذَ)	**58,957**

الجدول – 15 –

عَمَدَ علماء الأصوات المحدثين إلى اصطلاح آخر للصوت الشدّيد فيقول كمال بشر: «فإن صاحب هذه الوقفات انفجار سريع مفاجئ بمعنى خروج الهواء منفجرا فجأة وبسرعة، سميت وقفات انفجارية»[1] وهذا الاصطلاح لم يوضح ماهية الظاهرة في اللفظ التراثي. ويتفق هؤلاء العلماء على تعداد هذه الصوامت فيقول حسام البهنساوي: "وهذه الأصوات الانفجارية في اللغة العربية هي: (الباء والتاء والدال والضاد والطاء والكاف والقاف والهمزة) وعددها ثمانية أصوات»[2] وفي التقسيم نفسه تأتي أصوات أخرى.

وفي مقابل مصطلح الشدّة تأتي الرخاوة كمصطلح يعبر به الدرس الصوتي القديم عن الأصوات التي تحدث بصفة احتكاكية، وهي التسمية الحديثة لهذا النوع من الصوامت. وإذا كانت الفرضية القائمة التي أوصلنا إليها القياس المخبري مع الصامت الرخو هي الطلب الكبير على وقود العملية التواصلية الذي يصاحب حدوث الصوت، فإن الرخاوة تكون على قول سميرة رفاس: "واتصفت هذه الأصوات بالرخاوة، لانبساطها وجريانها، داخل الجهاز النطقي وخارجه ونظرا لسهولة النطق بها »[3] وتعبير السهولة مطلب اقتصادي حين الأداء الصوتي، إلا أنّ الجريان لا يكون إلا لهواء الزفير الذي سيكون لا محالة مضاعف وبالتالي إجهاد في توفير النفس.

وترى الدراسات الحديثة أنّ هذه الأصوات هي: الفاء والثاء والذال والظاء والزاي والسين والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين والهاء فعددها ثلاثة عشرة صوتا. "4"
والفرق بين نوعي الصوامت الشدّيدة والرخوة طريقة حدوثهما ودرجة صعوبة أداء كل منهما. وتوجد أصوات بينية لا هي بالشدّيدة ولا بالرخوة، فهي تتوسط الاثنين من حيث الاحتكاك

1 - الأصوات اللغوية، ص197.
2 - علم الأصوات، ص52.
3 - نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص101.
4 - ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص53.

حيث يضيق معها مجرى النفس، فهو لا متسع ولا منحبس بالتمام. "[1] هذه الصوامت هي كل الأصوات المتبقية عن الشدّيدة والرخوة، كما نجد صفات فارقة أخرى تتمايز بها الأصوات تقابليا فيما بينها.

تحدث علماء الأصوات عن تقسيم يُعْنى بارتفاع أو انخفاض مؤخر اللسان "[2]، فنجد الاستعلاء في مقابل الاستفال، والإطباق في مقابل الانفتاح. والمجموعة الأولى تضم الثانية، والعكس غير صحيح. فأما الأصوات المستعلية فهي: « تلك الأصوات التي يرتفع فيها مؤخر اللسان نحو اللهاة»[3] وهذه وضعية فيزيولوجية تتطلب جهدا إضافيا يؤمن تراجع اللسان إلى الخلف مع ارتفاعه، والصوامت المستعلية تقابلها أخرى مستفلة وهي: «التي ينخفض فيها اللسان نحو الحنك الأسفل »[4] وبالوضع الذي يأخذه اللسان تعد الصوامت المستفلة محققة للاقتصاد في الجهد المبذول حين أدائها.

يأتي الإطباق والانفتاح كحالتين خاصتين من صفتي الاستعلاء والاستفال، فيرتفع مؤخر اللسان مع الإطباق ناحية الطبق [5] فيتجلى أداء الصوامت المناسبة بإجهاد يتعرض له الجهاز الصوتي ولاسيما اللسان بحركة مؤخره ناحية الطبق. والأصوات المطبقة في العربية الفصحى كما ذُكر عند القدماء والمحدثين هي: الصاد والضاد والطاء والظاء، وتتميز كلها بالصفة التفخيم التي يكشف عنها تردد الحزمة الثانية من الترددات التوافقية. وفي مقابل الإطباق يأتي الانفتاح.

1 ـ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص24.

2 ـ ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص55.

3 ـ المرجع السابق نفسه، ص59.

4 ـ سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص105.

5 ـ ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص56. و سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص103.

الانفتاح يعني: «سعة اتساع المجرى الهوائي بانخفاض اللسان مسترخيا صوب الحنك الأسفل»[1]، والتسفل وضع مريح للسان يقل فيه إجهاده ويترجم بخصائص أكوستيكية مُميزَة، يأتي على هرمها قيم تردد الحزمة الثانية. وعملية النطق عند الإنسان تمتزج فيها الأصوات، فلا يمكن الحديث عن مظاهر الاقتصاد في الصوامت إلا إذا تناولها الدرس الصوتي في بعدها التشكيلي، ونستهل ظاهرة الاقتصاد في الصوامت بتخفيف صامت الهمزة.

تخفيف الهمزة:

تناول علماء اللغة والقرّاء على حدّ سواء الهمزة ببالغ الأهمية والحرص الشديدين لغرض إتقان الأداء القرآني. واختلف علماء الأصوات في تحديد صفة الهمزة، فمنهم من عدها صوتا مجهورا إذ يرى ابن جني في قوله: «اعلم أن الهمزة حرف مجهور »[2] كما وصفت بعدّة صفات منها «حرف مجهور، بعيد المخرج، شّديد »[3] وكل توصيف يوحي بقوّة هذا الصامت وما يصاحبه من صعوبة في أدائه.

يرى غالبية المحدثين أنّ صوت الهمزة يحدث عندما « تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقا تاما فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، بضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا. »[4] فهذا التوصيف الفيزيولوجي يجعلنا أمام حقيقة وهي صعوبة أداء صوت الهمزة. وفي قول إبراهيم أنيس: « فالهمزة صوت شدّيد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء

1 ـ مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، وهران، السانيا، 1986، ص253.

2 ـ سر صناعة الإعراب ، تح: علاء حسن أبو شنب، ج1، ص90.

3 ـ أبو عمرو عثمان سعيد الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط1، عمان، 2000، ص118.

4 ـ محمود السعران، علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي ـ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص157.

بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار »[1]، فتُنفى عن الهمزة صفة الجهر أو الهمس إلا أنّها تعد من الصوامت الشدّيدة التي تتطلب عناية خاصة.

والعناية الأخيرة تجعلنا نكرر مقولة السيوطي المذكورة آنفا ومفادها: « اعلم أنّ الهمز لما كان أثقل الحروف نطقا، وأبعدها مخرجا، تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف »[2] ومطلب التخفيف مبدأ اقتصادي في جهد الأداء. ويرى المحدثون أنّ اللهجات العربية في العصور الإسلامية على قول إبراهيم أنيس: « مالت إلى تخفيف الهمزة والفرار من نطقها محققة، لما تحتاج إليه من جهد عضلي. »[3] وتتجلى مظاهر التخفيف في القراءات القرآنية بالنقل والحذف والإبدال.

ويرى الدرس الصوتي الحديث الأمر نفسه حين يتطرق عبد الصبور شاهين لصوت الهمزة فيقول: «فالهمز علم على مشكلة من أعقد مشكلات الأصوات العربية، ويرجع ذلك إلى الاختلاف في ماهيته وفي علاقته، أعني تصور القدماء لطريقة إنتاجه »[4] وبذلك يقر المؤلف على صعوبة أداء الهمزة واختلاف دارسي الأصوات حول طريقة نطقها، واختلافهم حول تحديد نوع هذا الصوت وصفاته.

اعتبرت الدراسات الحديثة الهمزة وقفة حنجرية يلتقي أثاء حدوثها الوتران الصوتيان فيمنعا مرور الهواء لفترة، ثم يتحرران فجأة ليحدث أثناءها صوتا انفجاريا، ويرى حسام البهنساوي أنّ الهمزة: « صوت حنجري انفجاري مهموس »[5] ويرى غيره أنّ هناك من يصف

1 ـ الأصوات اللغوية، ص78.

2 ـ الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، ص209.

3 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص78.

4 ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1966، ص17.

5 ـ علم الأصوات، ص81.

«الهمزة بأنّها مهموسة، أو بأنّها لا مهموسة ولا مجهورة »[1] فتتجلى الاختلافات بين المحدثين ويبقى اتفاقهم حول الهمزة كونها صوتا يجهد أعضاء النطق حين أدائها.

تعد الهمزة صوتا انفجاريا يصحب بإجهاد على مستوى الأعضاء النطقية مما يتطلب رفعه أو تخفيفه، فيمثل العلاج المناسب اقتصادا صوتيا، إذ« التخلص من الهمزة أي إسقاطها من النطق، هو ظاهرة من ظواهر قانون الاقتصاد في الجهد، فالذين مالوا إلى التخلص منها، كانت غايتهم من ذلك طلب الخفة وإيثار السهولة في النطق ليس غير. »[2] وفي القراءات أحكام ارتبطت بالهمزة المفردة والهمزتين في الكلمة أو الكلمتين، فيقول ابن بري (733هـ) رحمه الله:"[3]

وَالْهَمْزُ في النُّطْقِ بهِ تَكَلُّفُ فَسَهَّلُوهُ تَارَةً وَحَذَفُوا

وَأَبْدَلُوهُ حَرْفَ مَدٍّ مَحْضَا وَنَقَلُوهُ لِلسُّكُونِ رَفْضَا

الهمز المفرد:

الهمز المفرد: هو همز القطع الذي لم يلاصق مثله. "[4] فهي همزة واحدة تقع فاء وعينا ولاما من الصيغة، وهو على ضربين: ساكن ومتحرك. "[5] خففت الهمزة عند القرّاء على على أربعة أوجه وهي: الإبدال، والتسهيل بين بين، الحذف من غير نقل، والحذف مع النقل."[6]

1 ـ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص345.

2 ـ فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1 ، الأردن 2004، ص455.

3 ـ أبو الحسن علي بن محمد الرباطي، الدّرر اللّوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، تح: أبي عبد الله نور الدين بن محمد الشريف إفرحاتن، ص50.

4 ـ ينظر: محمد بن موسى الشرويني الجراري، تجويد القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع بطريق الأزرق، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2012، ص122.

5 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص292.

6 ـ ينظر:عبد الله بن محمد عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي، الكنز في القراءات العشر، تح: هناء الحمصي، ص 61.

إبدال الهمز المفرد:

فالهمزة الساكنة تبدل حرف مدّ مجانس للحركة التي قبلها «فتبدل بعد الفتح ألفا، وبعد الكسر ياء وبعد الضم واوا »[1] وهذا هو النمط الأول من تخفيف الهمزة. تأتي الهمزة الساكنة وما قبلها مضموم في مثل: يُؤْمنون، ويُؤْتى، ورُؤْيا، ولُؤْلُؤ، ويَسُؤْكم، وفي المكسور من نحو: بِئْس، وجِئْت، وشِئْت، ورِئْياً، ونبِئ، وفي المفتوح على نحو: فَأْتوهن، فَأْذنوا، وأْمر أهلك، ومَأْوى، وقرَأْ."[2]

اختلفت اللهجات العربية، فاختلف معها حكم الهمز في القراءات القرآنية، فمنها من حققت، ومنها من خففت، فيقول الرعيني: «اعلم أن القرّاء يجمعون على تحقيق الهمز إلا ورشا وأبا عمرو وهشاما وحمزة فإن لهم مذاهب مختلفة »[3] وانطلاقا من هذه الاختلافات نجد أبا جعفر في الأمثلة السابقة على ما يقول ابن الجزري: « يبدل الهمزة حرف مد بحسب حركة ما قبله إن كانت ضمة فواو، أو كسرة فياء، أو فتحة فألف »[4] ويقع ذلك في الأسماء والأفعال.

أبو عمرو لم يهمز الهمزة الساكنة سواء كانت فاء أو عينا أو لاما من الصيغة، ويبدلها على حركة ما قبلها. "[5] وأورد بعضهم أنّه فعل ذلك إذا أدرج في القراءة أو قرأ في الصلاة وعللوا ذلك «أنّه آثر التخفيف عند إدراج القراءة وعند الصلاة بالقرآن، فخفّف الهمزة،

1 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص30.

2 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص292.

3 ـ أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000، ص47.

4 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص292.

5 ـ أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، الإقناع في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيد، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1999، ص253.

إذ التخفيف أبين في اللفظ من التحقيق »[1] وهذا تعليل آخر يورده المؤلف ليبين لنا أهمية إبدال الهمزة عند أبي عمرو.

ورد عن ورش الإبدال إذا وقعت الهمزة فاء الكلمة وكانت ساكنة "فإنّها تبدل حرف مدّ من جنس الحركة التي قبلها فتبدل بعد الفتح ألفا، وبعد الضم واوا ولم يرد في القرآن شيء منه بعد حرف مكسور غير الهمزة »[2] وأمثلة هذا التخفيف في سورة البقرة من الألفاظ التالية: ﴿**فَاتُواْ**﴾ (الآية 23)، ﴿**لا تَاخُذُهُ و**﴾ (الآية 255)، ﴿**فَاذَنُواْ**﴾ (الآية 279)، ﴿**يُوت**﴾ (الآية247). وقد كان الأمر نفسه في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما وقع ذلك مع الهمزة التي جاءت عين الكلمة.

ورد في كتاب الإضاءة أنّ ورشا: "أبدل أيضا الهمز الساكن إذا كان عينا في ثلاث كلمات بئر وبئس والذئب»[3]، والأمر سيان مع لفظة (**بيسما**)، ونجد أمثلة ذلك من المصحف برواية ورش من طريق الأزرق وهو قوله تعالى: ﴿**بِيسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ**﴾ (البقرة/90)، وقوله عز وجل: ﴿**قُلْ بِيسَمَا يَامُرُكُم بِهِۦٓ** ﴾ (البقرة/ 93)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَبِيسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة/ 102) وقوله تعالى: ﴿**وَلَبِيسَ ٱلْمِهَادُ** ﴾ (البقرة/206)، ويستثنى من ذلك كلمات لا نريد إدراجها، ونهتم بالظاهرة الصوتية الممثلة للاقتصاد الصوتي.

يبدل ورش الهمزة المفتوحة إذا وقعت فاء للكلمة واوا مفتوحة إذا سبقت بضم في مثل: ﴿**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوَ اَخْطَأْنَا**﴾ (البقرة/286) ، كما يقرأ بعض الكلمات بحكم

1 ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين، ص 84.

2 ـ محمد بن موسى الشرويني الجراري، تجويد القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع بطريق الأزرق، ص122.

3 ـ علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص139.

الإبدال في الهمز من قوله تعالى: ﴿**سَالَ**﴾(المعارج/1)، وقوله عز وجل: ﴿ **ألنَّسِيءُ** ﴾ (التوبة/37)، وقوله تعالى: ﴿ **لِيَلاَّ** ﴾ (البقرة/150) وحيثما وقعت من السور الأخرى. فأما اللكلمة الأولى تم إبدال الهمزة ألفا، وفي الثانية والثالثة أبدلت ياء، ووقع حكم الإبدال عند قرّاء آخرين.

ذهب حمزة في قراءته إلى تخفيف الهمزة فيقول صاحب التيسير: "اعلم أن الهمزة إذا توسطت وسكنت فهي تبدل حرفا خالصا "[1] وذلك نحو الألفاظ الموالية من القرآن الكريم: ﴿**يأكلون**﴾، ﴿**الذئب**﴾. تأتي ظاهرة إبدال الهمزة حركة طويلة تخفيفا على الناطق ليؤدي هذه الألفاظ فيقتصد في جهده، فأداء الصائت الطويل أيسر على القارئ من الهمزة من الناحية الفيزيولوجية.

ورد لحمزة وهشام أيضا مذهب خاص في الوقف على الهمزة، فجاء في التيسير تأكيد ذلك من القول: "اعلم أنّ حمزة وهشاما كانا يقفان على الهمزة الساكنة والمتحرّكة إذا وقعت طرفا في الكلمة بتسهيلها"[2] ومصطلح التسهيل يوحي في دلالته عن الاقتصاد الصوتي الذي تسعى إليه بعض اللهجات العربية، ويقول صاحب الإقناع: "فهي في ذلك حيث وقع تبدل ألفا وياء على حركة ما قبلها. ولم تأت في القرآن مضموما ما قبلها. "[3]، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم: ﴿**إِقْرَا** ﴾ (العلق/1)، و﴿**وَهَيِّءْ لَنَا**﴾ (الكهف/10).

فهشام رحمه الله كان يخص الهمزة المتطرفة فقط بالتخفيف التي تأتي في آخر اللفظ فعُلِل مذهبه عند الوقف على الهمزة في الكشف بالقول: "وعندها تقع الاستراحة والسّكت، وإليها تنتهي قوة اللافظ، وعندها ينقطع نفس القارئ، فخصها بالتخفيف لصعوبة اللفظ بها

1 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، عن: أتو يرتزل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، ص40.

2 ـ المرجع السابق نفسه، ص39.

3 ـ أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، الإقناع في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيد، ص257.

محققة»[1] ويقطع المؤلف بصعوبة نطق الهمزة وبذلك جنح المقرئ إلى تخفيف الهمزة المتطرفة في الوقف.

فبسقوط الهمزة تلتقي حركتان قصيرتان متماثلتان، فيعوضهما صائت طويل من جنسهما."[2] وهذا عبّر عنه المبرد في قوله: «واعلم أنّ الهمزة إذا كانت ساكنة فإنّها تقلب إذا أردت تخفيفها على مقدار حركة ما قبلها »[3] فمن حيث الكمية الهمزة مسبوقة بصائت قصير، وبالإبدال تتحول الهمزة إلى صائت قصير مثله وبالتالي تتحقق حركة طويلة يبدو أنّها عوضت الهمزة.

يؤكد إستيتية ما ذهب إليه المبرد من قوله: «تتحول الهمزة الصامت الوقفي الحنجري إلى الحركة التي تماثل الحركة التي تسبقها »[4] فإن كانت الحركة السابقة فتحة تحولت الهمزة إلى فتحة، وإن كانت ضمة تحولت إلى ضمة، أما إذا كانت كسرة أبدلت كسرة. وينشأ من ذلك التحول في الحالة الأولى ألفا، وفي الحالة الثانية واوا، وفي الحالة الثالثة ياء. وللهمزة المفردة أحكام تخفيفية أخرى.

تخفيف الهمزة بالنقل:

النّقل لغة: هو تحويل الشّيء من موضع إلى موضع، "[5] وفي الاصطلاح تحريك الحرف بحركة الهمز الذي بعده ثم حذف الهمز من اللفظ. "[6] ويقول ابن الجزري رحمه الله: «هو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد لبعض العرب »[7] فقد عرفته بعض اللهجات العربية

1 ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: أحمد فريد المزيد، ص 98.

2 ـ أنظر: فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص457.

3 ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ج1، ص294.

4 ـ سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية – منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث، أربد، 2005، ص110.

5 ـ أنظر: لسان العرب، مادة نقل، ص4529.

6 ـ أنظر: إبراهيم المارغيني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 67.

7 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص305.

وخاصة تلك التي تنتمي للبيئة الحجازية. وقد اشتهر من القرّاء ورش بظاهرة النقل فجاء في التيسير: « أنّ ورشا كان يلقي حركة الهمزة على الساكن قبلها فيتحرّك بحركتها وتسقط هي من اللفظ»[1] وسقوطها من النطق أيسر في الأداء وأخف على أعضاء النطق.

ويذهب مكي القيسي (437هـ) رحمه الله إلى القول: «فلمّا كثرت الهمزة في الكلام، وأمكن أن تلقى حركتها على ما قبلها، فتقوم حركتها مقامها، وتذهب صعوبة لفظها، آثر ذلك ورش، فهو إذا ألقى حركة الهمزة على ما قبلها لم يخّل بالكلام، وخفف الثقل الذي في الهمزة»[2] وهذه شهادة من أحد أقطاب القراءات القرآنية يرى أنّ الهدف من عملية نقل الحركة هو التخفيف.

ورد النقل على مبدأ ورش في القرآن الكريم بشرط أن يكون الحرف المنقول إليه ساكنا ولا يكون حرف مدّ ويقع آخر الكلمة التي تسبق الهمزة، سواء كان ذلك الساكن تنوينا أو لام تعريف أو غير ذلك. [3] ومن بعض أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ آلِيمٌ ﴾ (البقرة/10)، وقوله عز وجل: ﴿وَالآخِرَه﴾ (البقرة/217)، وقوله جل جلاله: ﴿ وَإِذَ ـاتَيْنَا﴾ (البقرة/53). وقد ورد أنّ «الهمزة إذا كانت مسبوقة بصامت ساكن، أو نصف حركة ساكنة، فإنّها تسقط عند ورش، وتبقى حركتها »[4] وبالتالي تتحقق خفة اللفظ ويتجلى الاقتصاد في الجهد الفيزيولوجي.

انفرد ورش عن سواه من القرّاء بالنقل، فجاء ذلك في كلمتين منفصلتين على النحو الذي ذكرنا من قبل، وأما الكلمات المفردة نحو (ا لآخِرة) فهي بحكم المنفصل لسبب لام

1 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، تح، أوتو يرتزل، ص38.

2 ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ص89.

3 ـ ينظر: عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط7، مصر، 2011، ص85.

4 ـ سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية – منهج لساني معاصر، ص172.

التعريف. وهناك كلمات مفردة جاء فيها همز مسبوق بساكن من مثل قوله تعالى: ﴿ مِّلْءُ ٱلأَرْضِ﴾ (آل عمران/91) اختلفوا فيها عن ورش، فروى النهرواني هذا بالنقل عن أصحابه عن ابن وردان، وقطع به بن وردان الحافظ أبو العلاء.

وقرأ بالنقل ابن كثير والكسائي وخلف وحدهم في نحو: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ ﴾ (النساء/32)، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ (الأعراف/163)، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف/82، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلذِينَ ﴾ (يونس/ 94)، ﴿وَسْـَٔلُوهُنَ ﴾ (الأحزاب/ 53). فهذه ظاهرة أخرى من مظاهر تخفيف الهمز تدخل في باب الاقتصاد الصوتي حين الأداء ولم يتوقف الأمر هنا بل تعداه لمظاهر أخرى.

إسقاط الهمز للتخفيف:

وقع إسقاط الهمزة من رواية ورش في كلمتين هما "[1]": قوله تعالى: ﴿وَالصَّـٰبِيِن﴾ (البقرة/62)، وقوله عز وجل: ﴿وَالصَّـٰبُون ﴾ (المائدة/69)، قرأ ذلك بحذف الهمزة وكسر الباء قبل الياء وضمها قبل الواو، وأصل الكلمتان (**الصابئين، الصابؤون**). وأما الكلمة الثالثة فهي من قوله تعالى: ﴿يُضَـٰهُون﴾ (التوبة/30) فقرأها ورش بحذف الهمزة وضم الهاء قبل الواو، وأصل الكلمة (يضاهئون). وللتخلص من صعوبة نطق الهمزة جنح إلى حذفها محققا بالتالي اقتصادا في جهد الأداء الصوتي.

وتتسم قراءة أبي جعفر بحذف الهمز إذا كانت مضمومة بعد كسر وجاء بعدها واو ويقر ابن الجزري في قوله: "فإنّ أبا جعفر يحذف الهمزة ويضم ما قبلها من أجل الواو نحو

1 ـ ينظر: محمد بن موسى الشرويني الجراري، تجويد القرآن الكريم، ص126.

مستهزُون، والصابُون، ومتكُون، ومالُون، وليواطُوا، ويطفُوا، وقل استهزُوا وما أتى من ذلك»[1]. ويفعل الأمر نفسه مع الهمزة المكسورة بعد كسر وبعدها ياء وهو ما يؤكده ابن الجزري رحمه الله في قوله: «فإنّ أبا جعفر يحذف الهمزة في متكئين، والصابئين، والخاطئين، وخاطئين، والمستهزئين حيث وقعت »[2]، فنجد أبا جعفر يميل إلى هذا النوع من التخفيف بإسقاطه للهمزة، ولا يتوقف الأمر عند القراء على الهمز المفرد بل يتعداه إلى المزدوج.

الهمز المزدوج:

رأينا أنّ العرب جنحوا إلى تخفيف الهمزة المفردة لصعوبة أدائها، فكان أحق عليهم أن يعاملوا المزدوجتين بالمذهب نفسه، فنجد صاحب الكشف يصرح قائلا: «فإذا تكرّرت كان ذلك أعظم، فإذا لزمت كل واحدة منهما الأخرى كان ذلك أشد ثقلا، فرفضوا استعمال التحقيق للثانية في هذا النوع»[3]، والهمز المزدوج: هو همز القطع الملاصق لمثله وينقسم إلى قسمين ما وقع منه في كلمة واحدة وما وقع في كلمتين. "[4] ونبدأ أولا بالهمزة الموجودة في كلمة واحدة وما يعتريه من تغيير لأجل التخفيف.

الهمز المزدوج في كلمة واحدة:

أقر القرّاء أن الهمزة الأولى لا تكون إلا مفتوحة، وأما الثانية فتكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة "[5]"، وهو بذلك ثلاثة أنواع: مفتوحتان، ومفتوحة فمضمومة، ومفتوحة فمكسورة. ونتطرق للحالة الأولى والتي تتمثل في الهمزتين المفتوحتين في كلمة واحدة.

1 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص296- 297.

2 ـ المرجع السابق نفسه، ص297.

3 ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ص70.

4 ـ ينظر: محمد بن موسى الشرويني الجراري، تجويد القرآن الكريم، ص113.

5 ـ ينظر: الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح عبد الغني القضي، ص69.

الهمزتان المفتوحتان:

وردت الهمزتان المفتوحتان في مواضع عديدة من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿ءَآنذَرْتَهُمْ﴾ (البقرة/6)، وقوله عز وجل: ﴿ءَآنتُمْ﴾ (البقرة/140)، فغلب على هذا النمط اتفاق القرّاء في قراءتها. يحدثنا ابن الجزري قئلا: "فسهل الثانية منهما بين بين ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وقالون ورويس وهشام من طريق ابن عبد الله وغيره والحلواني، وكذلك ورش من طريق الأصبهاني، وكذلك من طريق الأزرق عند أبي الحسن بن غلبون وابن بليمة وصاحب العنوان وغيرهم "[1] والتسهيل بين بين كما يراه القرّاء هو جعل الهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها وهو الألف في هذه الحالة.

وروي الاختلاف عن الأزرق في الهمزة الثانية، فأبدلت ألفا خالصة كما جاء في النشر: "أما الأزرق فأبدها عنه ألفا خالصة صاحب التيسير وابن سفيان والمهدوي ومكي وابن الفحام وابن الباذش وغيرهم "[2] ورغم اختلاف هذا المذهب، إلا أنّ الأداء القرآني في الحالتين تفادى صعوبة نطق الهمزة، وبذلك تم الاقتصاد في جهد الأعضاء النطقية بالجنوح إلى أصوات تختلف عن الهمزة من ناحية الأداء العضوي عند إنتاجها.

كما ذكرت كتب القراءات مذهبا آخرا يميز أبا عمرو وآخرين مبدأه مبثوث في كتاب الإتحاف من القول: "قرأ قالون، وأبو عمرو، وهشام، من طريق ابن عبدان وغيره عن الحلواني، وكذا أبو جعفر، بتسهيل الثانية منهما بين الهمزة والألف مع إدخال ألف بينهما"[3] وزيادة الألف لا يغير من مظهر الاقتصاد في التسهيل، ويوضحه إستيتية بقوله: "والحكم في هذه الحال أن تسهل الثانية، مع إدخال ألف بينهما هكذا: أأنت ـــأَا ـــَ نت.

1 ـ ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، تح: إبراهيم عطوة، دار الحديث، القاهرة، 2004، ص99.

2 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص272.

3 ـ أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، تح: شعبان محمد إسماعيل، ج 1، ص178.

والذي يسمونه تسهيلا، هو في حقيقته، حذف الهمزة الثانية وإبقاء حركتها »[1] ففي كل الحالات هناك تخلص من الهمزة وتعويضها بما هو أيسر في النطق منها.

الهمزتان المفتوحة والمضمومة:

جاء هذا النوع في أربعة مواضع من القرآن الكريم وهي: ﴿قُلَ آؤنَبِّيئُكُم﴾ (آل عمران/15)، ﴿آءنزِل عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ (ص/8) ، و ﴿آءلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ (القمر/25)، ﴿آءشْهِدُوا﴾ (الزخرف/ 19). اتفق أهل الأداء في المواضع الثلاثة الأولى على قول ابن الجزري: "سهل الهمزة الثانية فيها نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس "[2] والتسهيل هنا جعل الهمزة الثانية بينها وبين الواو فيعوض نطق الهمزة بكمية تقترب من كمية الواو.

وفصل بين الهمزتين السابقتين بألف أبو جعفر بلا خلاف، وأما أبو عمرو وقالون وهشام بخلاف عنهم." [3]" ولا يغير إدخال الألف في الأمر شيئا فالوظيفة الاقتصادية تحققت بعد اختفاء نطق الهمزة. وقد اختلف القراء في الكلمة الرابعة في الآية التاسعة عشر من سورة الزخرف فقرأ "المدنيان أأشهدوا بهمزتين الأولى مفتوحة، والثانية مضمومة مسهلة على أصولهما مع إسكان الشين. "[4] وأما أبو جعفر وقالون فصلا بينهما بألف" [5]"، وهكذا يتحقق التخفيف في الهمزة الثانية.

الهمزتان المفتوحة والمكسورة:

ورد في كتاب الله عز وجل مواضع عديدة بها همزتان في كلمة واحدة الأولى منهما مفتوحة والثانية مكسورة نذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿أَيِنَّكُم﴾ (الأنعام/ 19،

1 ـ سمير شريف إستيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص110.

2 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص280.

3 ـ ينظر: ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، 104.

4 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص630.

5 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

النمل/55، العنكبوت/29، فصلت/9)، وقوله عز وجل: ﴿أَيِنَّ لَنَا﴾ (الشعراء/41)، وقوله جل جلاله: ﴿أَئِنَّكَ﴾ (يوسف/ 90، الصافات/ 52)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَءِذَا﴾ (الرعد/5، الواقعة/ 47، الإسراء/ 49 و 98، مريم/ 66، المومنون/ 82، السجدة/ 10، الصافات/16 و 53، قاف/3)، وقوله جل شأنه: ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ (النمل/60، 61، 62، 63، 64)، وقوله الحق: ﴿أَءِن ذُكِّرْتُمْ﴾ (يس/ 19)، وقوله الصادق: ﴿أَءِنَّا﴾ (الصافات/ 36، النمل/67، النازعات/ 10)، وقوله العزيز: ﴿أَئِفْكًا﴾ (الصافات/ 86)، وقوله تعالى: ﴿أَئِمَّةً﴾ (التوبة/12، الأنبياء/73، القصص/5 و41، السجدة/24).

جميع الكلمات السابقة الواردة في كتاب الله على رواية ورش من طريق الأزرق، وقع في ذلك كله الاتفاق بأن تقرأ الهمزة الثانية بالتسهيل على ما ورد عند ابن الجزري في قوله: "فسهل الثانية منهما بين بين نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس. وفصل بين الهمزتين بألف في الجميع أبو جعفر وأبو عمرو وقالون وهشام "[1] ، وأما ورش من طريق الأزرق قرأ الهمزة الثانية من كل ذلك بينها وبين الياء، وأبدلها من كلمة (أئمة) ياء خالصة الكسرة."[2] ويتحقق الاقتصاد كذلك مع الهمزة الثانية المكسورة في الكلمة الواحدة في انتظار أحكام الهمزتين من كلمتين.

الهمز المزدوج من كلمتين:

خففت الهمزة الواحدة رغم انفرادها وما بالها إذا تكررت، فيقول صاحب الكشف: "فإذا انضاف إلى ذلك تكريرها كان أثقل كثيرا عليهم، فاستعملوا في تكرير الهمزة من كلمتين

1 ـ ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، ص100.

2 ـ ينظر: محمد بن موسى الشرويني الجراري، ص114.

التخفيف للأولى، والتخفيف للثانية، والحذف للثانية، والحذف للأولى »[1] وهذه مظاهر نراها بعدما نتعرف على معنى هذا النوع من الهمز وحالاته المختلفة.

الهمز المزدوج من كلمتين هو: همزتا القطع المتلاصقتان وصلا، الواقعتان في كلمتين، بأن تكون الأولى آخر كلمة والأخرى أول الكلمة الموالية. "[2] فنجدهما متفقتين ومختلفتين، فالهمزتان المتفقتان قد تكون بالكسر أو الضم أو الفتح. وأما المختلفتان وردت على خمسة أوجه في القرآن الكريم فهي: مفتوحة ومكسورة، ، مكسورة ومفتوحة، مفتوحة ومضمومة، ومضمومة ومفتوحة، ومضمومة ومكسورة،."[3]"

الهمزتان المتفقتان:

جاءت الهمزتان المتفقتان بالكسر في ثمانية عشرة موضعا منها ثلاثة مختلف فيها بين القرّاء، والمفتوحتان فهي في تسعة وعشرين موضعا من القرآن الكريم، وأما الهمزتان المتفقتان بالضم فهي في موضع واحد "[4] وهو قوله تعالى: ﴿ أَوْلِيَآءُ اوْلَٰٓئِكَ﴾ (الأحقاف/32)، ذكر صاحب العنوان: «أنّ قنبل وورش حققا الأولى، ولينا الثانية بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها، وأما أبو عمرو أسقط الأولى وحقق الثانية في المفتوحتين، وفي المكسورتين والمضمومتين لين الأولى وحقق الثانية. »[5]

وقد ورد في كتاب التيسير «أنّ ورشا مع قنبل في المكسورتين يجعلان الثانية كالياء الساكنة، وابن خاقان لورش يجعل الثانية ياء مكسورة»[6] وذلك في قوله تعالى:﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ان﴾

1 ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، ج1، ص72.

2 ـ ينظر: عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص74.

3 ـ ينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبط: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص86.

4 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ص193.

5 ـ ينظر: أبو طاهر إسماعيل بن خلف، العنوان في القراءات السبع، تح: زهير زاهد وخليل العطية، دط، دت ، ص 48.

6 ـ ينظر: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، تح، أوتو يرتزل، ص36.

(البقرة/31)، وقوله عز وجل: ﴿أَلْبِغَآءِ انَ آرَدْنَ﴾ (النور/33)، فهذه ثلاثة أحكام تتحاشى نطق الهمزة فتخفف على الجهاز النطقي. وأما في المفتوحتين يقول صاحب التذكرة: "فقرأ قنبل وورش ورويس بهمز الأولى، وجعلوا الثانية بين بين، فصارت كالمدّة في اللفظ في جميع القرآن. "[1] وهذا مظهر يترك فيه نطق الهمزة وتؤدى على أنها مدّ بين الهمزة والألف.

وأما المضمومتان جاء حكمهما واضحا في كتاب الكافي حين صرّح صاحبه: "أنّ ورش وقنبل يحققان الأولى ويبدلان الثانية واوا، وقد قيل إنهما يجعلانها بين الهمزة والواو، وقالون والبزي يجعلان الأولى بين الهمزة والواو، ويحققان الثانية، وأبو عمر يحذف الأولى ويحقق الثانية"[2] وهكذا يتجلى الاقتصاد مرة أخرى فتخفف الهمزة بتحولها إلى ما هو أسهل في النطق، ولا يحدث التخفيف في المتفقتين فقط، بل يتعداه إلى المختلفتين من كلمتين أيضا.

الهمزتان المختلفتان:

الهمزتان المختلفتان من كلمتين جاءت بأوجه عديدة ذكرناها من قبل، فنبدأ بذكر المفتوحة والمضمومة اللتين لم تقعا إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ امَّةً﴾ (المومنون/44)، فحكمها التسهيل بين الهمزة والواو وذلك في الهمزة الثانية. وإذا كانت الأولى مفتوحة والثانية مكسورة فلها الحكم نفسه وهو التسهيل بين الهمزة والياء ويؤيد صاحب العنوان ذلك بقوله: "وإن كانت الثانية مكسورة، أو مضمومة جعلوها من الهمزة والحرف الذي منه حركتها"[3] فهكذا لا تبقى للهمزة قوة بعد التخفيف الذي حصل.

1 ـ أبو الحسن طاهر عبد المنعم بن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، تح: أيمن رشدي سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدّة، 1991، ص116.

2 ـ أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني، الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، ص45- 46.

3 ـ أبو طاهر إسماعيل بن خلف، العنوان في القراءات السبع، تح: زهير زاهد وخليل عطية، ص46 -48.

ترد الهمزتان من كلمتين في القرآن الكريم فتكون الثانية مفتوحة، وتأتي الأولى مكسورة ومضمومة. فالأولى المضمومة تأتي من مثل قوله تعالى: ﴿ أَلسُّفَهَآءُ أَلَآ ﴾ (البقرة/13)، فالحكم في ذلك على قول صاحب التذكرة: "قرأ الحرميّان وأبو عمرو ورويس بهمز الأولى وجعلوا الثانية واوا مفتوحة في جميع القرآن "[1] ، والأمر نفسه مع الهمزة الأولى المكسورة والتي جاء من مثلها في القرآن في قوله عز وجل: ﴿ مِنَ أَلشُّهَدَآءِ أَن ﴾ (البقرة/282) فحكم هذا النوع في جميع القرآن من كتاب التذكرة: "قرأ الحرميّان وأبو عمرو ورويس بهمز الأولى وجعلوا الثانية ياء مكسورة "[2]. يُزال ثقل الهمزتين بتغيير الثانية وتحولها إلى صوت لا يتطلب جهد على مستوى الجهاز النطقي مقارنة بالهمزة الثقيلة.

يأتي نوع خامس من الهمزتين في كلمتين تمثله المضمومة فالمكسورة والذي جاء منه قوله تعالى: ﴿مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ ﴾ (البقرة/213،142) وقوله عز وجل: ﴿أَلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوٓاْ ﴾ (البقرة/282)، فصح وجهان عن القرّاء حيث ذكر الحكم الأول "تسهل همزته بينها وبين الياء "[3] والوجه الثاني " تبدل الهمزة الثانية المكسورة واوا محضة "[4] وليس هناك أدنى اختلاف في مبدإ الاقتصاد من الوجهين حين عوض نطق الهمزة مرة بالتسهيل ومرة أخرى بالإبدال. ولا يتوقف أمر الاقتصاد الصوتي فقط على الهمز، بل نجد مظاهر أخرى مبثوثة في كتب القراءات تأتي على رأسها المماثلة بين الصوامت والمعروف عند القرّاء بالإدغام.

1 ـ أبو الحسن طاهر عبد المنعم بن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، تح: أيمن رشدي سويد، ص 118.

2 ـ أبو الحسن طاهر عبد المنعم بن غلبون، التذكرة في القراءات الثمان، تح: أيمن رشدي سويد، ص 120.

3 ـ عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص79.

4 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

التخفيف بالإدغام:

سبق التحدث في الفصل الأول عن المماثلة بين الصوائت، وها نحن نرجع إلى المصطلح من جديد فنجد في قول عبد العزيز الصيغ: "يكاد يحتوي تحت عنوانه هذا كل أنواع التأثيرات بين الأصوات، عدا المخالفة"[1]، ويمكن أن نحصي لها أنواع ذكرها في تكملة لقوله السابق حيث قال: "المماثلة إذن تشتمل على أنواع كثيرة من التأثيرات بين الأصوات فهي تشتمل على الإدغام الأصغر، والإدغام الأكبر، والإمالة، والإبدال والإعلال والإجهار والإهماس وغيرها"[2] فهكذا يدخل مصطلح الإدغام كحالة خاصة من المماثلة، وقد ورد هذا المصطلح في الدرس اللغوي العربي القديم وعند علماء القراءات والتجويد بشكل ملفت للانتباه لكثرة استعماله بغية الانسجام الصوتي.

والغاية من مظاهر التأثير والتأثر بين الأصوات على رأي فخر الدين قباوة: "تذليل الأصوات العسيرة وتيسير اللّفظ المتعذّر لتوفير الجهد العضلي، وتحقيق النزعة الاقتصادية"[3] وهذا ما تسعى المماثلة إلى أن تستوعبه بشتى التأثيرات التي يأتي الإدغام على رأسها عند علماء التجويد والقراءات. ولا سبيل لنا إلاّ تعريف المصطلح من حيث اللغة والاصطلاح لنلج إلى عمق الظاهرة.

جاء في معجم مقاييس اللغة من باب الدال والغين ما قوله: "(دغم) الدال والغين والميم أصلان: أحدهما من باب الألوان، والآخر دخول الشيء في مدخل ما."[4] ويضيف صاحب المعجم في الأصل الثاني ما قوله: "والأصل الآخر: قولهم أدغمت اللّجام في فم الفرس، إذ أدخلته فيه. ومنه الإدغام في الحروف"[5] ومن منطلق أنه إدخال شيء في شيء

1 ـ عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، ص280.

2 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

3 ـ فخر الدين قباوة، الا قتصاد اللغوي في صياغة المفرد، الشركة العالمية المصرية للنشر- لونجمان، ط1، مصر، 2001، ص158.

4 ـ أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، ص284.

5 ـ المرجع السابق نفسه، ص285.

آخر يقر كذلك صاحب اللسان قائلا: «والإدغام: إدخال حرف في حرف »[1] وبذلك يصير الحرف كحرف واحد.

الإدغام في الاصطلاح هو: اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا" [2]"، ويقع ذلك بين المثلين أو المتقاربين من الأصوات. ويضيف إبراهيم أنيس عند تناوله لظاهرة الإدغام قوله: «قد يترتب على تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين أن أحدهما يفنى في الآخر، وهو ما اصطلح على تسميته في كتب القراءات بالإدغام. »[3] وبفناء أحدهما في الآخر يخفف النطق ليصير كالنطق بالحرف الواحد وهذا مطلب اقتصادي. والإدغام تناوله الدرس الصرفي أيضا حيث حدد مفهومه في الاصطلاح بأنّه: «الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك، من مخرج واحد بلا فصل بينهما، بحيث يرتفع اللسان وينحط بهما دفعة واحدة »[4] وهذا التصرف يقلل الجهد المبذول من طرف الجهاز النطقي عند الأداء.

وتصف سميرة رفاس الإدغام بأنّه: « تلوين صوتي، وظيفته تقريب الأصوات من بعضها، وتحقيق الانسجام والخفة بينها »[5] فتقارب الأصوات ينجر عنه الانسجام والتخفيف الذي يعد مظهرا من مظاهر الاقتصاد الصوتي في الأداء، وأيّدت هذا الرأي دراسة لقراءة يحي بن وثاب حين جاء قول مفاده: «يحدث الإدغام نوعا من التخفيف والسهولة في النطق، والاقتصاد في المجهود العضلي»[6] ولهذا السبب لجأت القراءات القرآنية انطلاقا من اللهجات اللهجات التي نسبت إليها مما صح عن علماء اللغة إلي ظاهرة الإدغام.

1 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة: دغم، ص1391.0

2 ـ ينظر: ابن الجزري النشر في القراءات العشر، ص208.

3 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص151.

4 ـ أحمد حملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، ص178.

5 ـ سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص179.

6 ـ أحمد طه حسانين سلطان، قراءة يحي بن وثّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي، ص123.

ومصطلح الإدغام جاء في مقابل الإظهار الذي هو أصل، فيعد الإدغام ظاهرة صوتية بين صوتين متجاورين إذ يرى أحد الباحثين أن: "يدغم حرفان أحدهما في الآخر فلا بد أن يكون ذلك لسبب صوتي "[1] وهي في الحقيقة أسباب يأتي على رأسها التماثل الصوتي بين الحرفين من حيث المخرج والصفة، والسبب الثاني هو التجانس بين الأصوات، ويأتي التقارب أيضا من دواعي الإدغام.

اهتم القرّاء بظاهرة الإدغام فحددوا مواقعها في القرآن الكريم وقسموا ذلك إلى كبير وصغير. ويقول إبراهيم أنيس: " الإدغام بنوعيه عبارة عن فناء الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني، وهو لهذا تأثر رجعي. "[2] ونطق صوت ليس مثل نطق صوتين لما فيه من الاقتصاد في الجهد المبذول في الأداء، ووقع الاختلاف في مواقع معينة بين القرّاء فمنهم من أدغم، ومنهم من قرأ بالإظهار. ويبقى الإدغام أبرز صورة من صور تقارب الأصوات والتخفيف حين أدائها، فهو عند القرّاء على ضربين كبير وصغير.

الإدغام الصغير:

بعيدا عن تضارب الاصطلاحات والمفاهيم، ورد الإدغام الصغير في تقسيم أول تناوله بعض القرّاء، فيقول ابن الجزري حياله: "هو الذي يكون الأول منهما ساكنا "[3] ويعني ذلك أنّ الحرف الأول من الحرفين المدغمين يكون ساكنا وأما الثاني فيكون متحركا. ويأتي هذا الإدغام بين المثلين من الحروف، فيقول ابن مهران: "واعلموا أنّ الحرف الساكن إذا لقيه حرف مثله، لا يجوز إظهاره نحو قوله: ﴿**فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ**﴾ "الأنبياء/15" ... وكل ما

1 ـ أحمد محمد عبد الرّاضي، الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة ابن عامر، ص110.

2 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص151.

3 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص208.

أشبه ذلك من المثلين يلتقيان والأول منها ساكن لا يجوز إظهاره، ولا يكون فيه إلا الإدغام»[1]، وهكذا تجنح اللغة سليقة إلى الإدغام.

أقر القرّاء بوجوب الإدغام عند تجاور المثلين، وسنتجاوز الحديث عن حالات الأخرى من الإدغام في هذه المرحلة، فنجد زكريا الأنصاري (926هـ) يقول: «فإن كانا مثلين والأول ساكن ففيه عمل واحد وهو الإدغام فالساكن أقل عملا من المتحرك ومن ثم سمي إدغاما صغيرا»[2] فهذا مبدأ تسلكه اللغة العربية حتى يعمل اللسان فيه عملا واحدا وبذلك يقتصد في الجهد، ويرى صاحب الكشف قائلا: «وعلة ذلك إرادة التخفيف، لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه، ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك، وشبّهه النحويون بمشي المقيد »[3] ولا يكون الإدغام في المثلين فقط، بل يقع مع المتجانسين والمتقاربين أيضا.

يحدث الإدغام الصغير أيضا بين المتجانسين والمتقاربين من الأصوات الصامتة عندما يكون الأول ساكنا، وهنا لا نلتفت إلى الظواهر البينية من حذف للحركة أو قلب للصامت. ويقول ابن مهران حيال المتجانسين: «وكذلك إذا كان مخرجهما واحد والأول ساكن لم يجز إظهاره أيضا نحو قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ ﴾ النساء/ 158، و ﴿إذ ظَّلَمُواْ ﴾ النساء/ 64، و﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ النساء/113 ... وأشباه ذلك، وعلى هذا إجماع القراء وكلام العرب»[4] وحكم الإدغام يدل عليه مرسوم خط الحرف المشدّد.

يجب الإدغام كذلك في المتقاربين حيث يوضحه المهدوي (440هـ) بقوله: «فكل حرفين كانا من مخرج واحد متماثلين كانا أو متقاربين، فالإظهار لا يجوز فيهما، وذلك نحو:

1 ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران، المبسوط في القراءات العشر، تح: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980، ص91-92.

2 ـ شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، مر: أبي الحسن محي الدين الكردي، مكتبة الغزالي، ط4، دمشق، 1992، ص87.

3 ـ مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ص134.

4 ـ المبسوط في القراءات العشر، ص92.

التاء في الطاء في قوله تعالى:(**وقَالَت طَّائِفَةٌ**) آل عمران/ 72 والأحزاب/13 ونحوه، وكذلك الدال في التاء، والتاء في الدال نحو: (**قَد تَّبَيَنَ**) البقرة/ 256، ... وكذلك ما أشبهه من الحروف التي تكون متفقة المخرج، فالإظهار في هذا الجنس غير مستعمل »[1] فهكذا يتصرف الأداء الصوتي لغرض الاقتصاد وتحقيق التخفيف.

تناول علماء التجويد والقرّاء الإدغام الصغير من باب الجائز والواجب والممتنع فنجد أنّ كتب القراءات القديمة لا تفصل بين المتجانسين والمتقاربين، إنما تتحدث عنهما في سياق واحد."[2]" وعلى ذلك نجد القرّاء يتحدثون عن هذا النمط من الإدغام في ما هو جائز أم لا. ويقول ابن الجزري: «فالجائز ما اختلف القرّاء فيه وينحصر في فصول ـ إذ، وقد، وتاء التأنيث، وهل وبل، وحروف قربت مخارجها، والنون الساكنة والتنوين. »[3] وسنعرض كل فصل في الفقرات الموالية.

أطلق مصطلح الجائز لما في حكمه من الاختلاف بين القرّاء، فنجد على قول صاحب الكشف أنه: «اختلف القرّاء في إدغام ذال (إذ) وإظهارها عند ستة أحرف، وهي: السين والتاء والصاد والدال والجيم والزاي »[4] ومنه في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ ٱلذِينَ**﴾ (البقرة/ 166) فحكمها بين القرّاء على ما جاء في قول صاحب التيسير: «فكان الحرميان وعاصم يظهرون الذال عند ذلك كله وأدغم ابن ذكوان في الدال وحدها وأدغم خلف في الدال والتاء وأظهر خلاد والكسائي عند الجيم فقط وأدغم أبو عمرو وهشام الذال في الستة»[5]، ويبقى الحديث عن الحروف المتبقية.

---

1 ـ أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية، تح: حازم سعيد حيدر، ج2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995، ص80-81.

2 ـ ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص337. وعباس بن موسى، الإظهار والإدغام عند القراء دراسة صوتية وصفية تركيبية، مذكرة ماستر، جامعة تلمسان، 2014، ص23.

3 ـ تقريب النشر في القراءات العشر، ص125.

4 ـ مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، ص147.

5 ـ التيسير في القراءات السبع، تح، أوتو يرتزل، ص42.

أما دال (قد) ذكر ابن جزري أنّ القرّاء اختلفوا في حكمها فقال: "عند ثمانية أحرف وهي الدال والظاء والضاد والجيم والشين وحروف الصفير. "[1] ومثّل ذلك في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**قَد ضَّلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ**﴾ (البقرة/108)، و ﴿**قَد ظَّلَمَ نَفْسَهُۥ**﴾ (البقرة/231) فقرأ في ذلك وشبهه لما تم تفصيله في الكافي بالقول: "فأدغمها فيهن أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي. وقد قرأت لهشام أيضا بإظهار في: ﴿**لقد ظلمك**﴾ في سورة (ص)، وأدغمها ابن ذكوان في الذال، والزاي، والظاء، والضاد فقط، وأظهرها عند جميعهن الحرميان وعاصم غير أن ورشا أدغمها في الظاء والضاد فقط "[2] والاختلاف لا ينفي وجود ظاهرة مقتصدة للجهد أثناء الأداء والذي نراه أيضا مع لام هل وبل.

تحدّث صاحب التيسير عن حرف اللام في هل وبل وذكر أنّ القرّاء: "اختلفوا في لام ((هل)) و((بل)) عند ثمانية أحرف عند التاء والثاء والسين والزاي والطاء والظاء والضاد والنون"[3] ومثل هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَتَّبِعُ**﴾ (البقرة/ 170). وبرزت الاختلافات بين القرّاء التي بسطها أبو عمرو الداني في قوله: "أدغم الكسائي اللام في الثمانية وأدغم حمزة في التاء والثاء والسين فقط، واختلف عن خلاد عند الطاء في ﴿بل طبع الله﴾. وأظهر هشام عند النون والضاد وعند التاء في ﴿أم هل تستوي﴾ لاغير، وأدغم أبو عمرو ﴿هل ترى من فطور﴾ "الملك/3"، ﴿فهل ترى لهم﴾ " الحاقة/7" لاغير. أظهر الباقون عند الثمانية"[4] فلقد تأكّد الإدغام في المواقع السابقة لسليقة بعض اللهجات العربية.

كما برز الاختلاف بين القرّاء في إدغام تاء التأنيث المتصلة بالفعل، فذكر ابن الجزري قائلا: "اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف وهي: الثاء والجيم، والظاء،

1 ـ النشر في القراءات العشر، ص368.

2 ـ أبو عبد الله بن شريح الرعيني، الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع، ص55.

3 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، ص43.

4 ـ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

وأصوات الصفير. »[1] ومنه في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**آَنْبَتَتْ سَبْعَ**﴾ (البقرة/261)، وجاء في تقريب النشر ما قوله: «أدغمها في الستة أبو عمرو وحمزة والكسائي وأدغمها ورش من طريق الأزرق في الظاء فقط، وأظهرها خلف في الثاء حسب. وأدغمها ابن عامر في الصاد والظاء وأدغمها هشام في الثاء. »[2] ويعلل مكي بن أبي طالب بقوله: «لأنّ التاء صوت مهموس، وهذه الحروف مجهورة سواء، والصاد والطاء قويتان بالإطباق الذي فيهما والاستعلاء، والزاي حرف قوي، للصفير الذي فيه والجهر »[3] وهذا التعليل صالح من أجل كل إدغام لأنه لا يكون إلا بسبب مخرج الصوت وصفته.

تناول القرّاء ظواهر إدغام متفرقة تحت عنوان "حروف قربت مخارجها"، وهي سبعة عشرة حرفا."[4] نبدأ بحرف الباء الذي اختلف القرّاء حوله في خمسة مواضع من القرآن الكريم وهي: ﴿**أو يغلب فسوف**﴾ "النساء/74"، و ﴿**إن تعجب فعجب**﴾ "الرعد/5"، و ﴿**قال اذهب فمن**﴾ "الإسراء/63"، و ﴿**فاذهب فإن لك**﴾ "طه/97"، و ﴿**ومن لم يتب فأولئك**﴾ "الحجرات/11". قرأ جميعها أبو عمرو والكسائي بالإدغام وخلاد بخلاف عنه."[5]"

وأما موضع البقرة من قوله تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبْ مَنْ يَّشَآءُ**﴾ (البقرة/284) أدغمه أبو عمرو والكسائي وخلف، واختلف عن ابن كثير وحمزة وقالون." [6]" وأما قوله تعالى: ﴿**إِرْكَبْ مَعَنَا**﴾ (هود/42) قرأه بالإدغام أبو عمرو والكسائي ويعقوب، واختلف فيه عن

1 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص369.

2 ـ ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، ص126.

3 ـ مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، ص150.

4 ـ ينظر: إبراهيم المارغيني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا تلإمام نافع. وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص203.

5 ـ ينظر: أبو عبد الله بن شريح الرعيني، الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع، ص57.

6 ت ينظر: ابن الجزري، النشر، ص373، و أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ص136.

ابن كثير وعاصم، وقالون، وخلاد." [1] وقرأ قوله عز وجل: ﴿ **نَخْسِفْ بِهِمُ**﴾ (سبأ/ 9) الكسائي وحده بالإدغام."[2]

وأما الحرف الثاني يتمثل في الرّاء الساكنة عند اللام في مثل (**يغفر لك** ﴾ "آل عمران/31" ﴿**واصبر لحكم ربك** ﴾ "الطور/ 48" و ﴿**ينشر لكم** ﴾ " الكهف/ 16" أدغمه أبو عمرو فقط وبخلاف عن الدوري. "[3] وأدغم أبو الحارث عن الكسائي اللام الساكنة في الذال من ﴿**من يفعل ذلك**﴾ حيث وقع. وأما الدال عند الثاء من الموقعان ﴿**ومن يرد ثواب الدنيا**﴾، و﴿**من يرد ثواب الآخرة** ﴾ "آل عمران/ 145" أدغم الأولى في الثانية أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف. "[4] والثاء عند الذال من قوله تعالى: ﴿**يلهث ذلك**﴾ "الأعراف/176" أظهرها نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر وهشام بخلاف عنهم، وأما الباقون صح عنه الإدغام."[5] وقد أدغم فريق من القرّاء الدال في الثاء من (﴿**من يرد ثواب**﴾ حيث وقع، ومنهم ومنهم أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف."[6]

جرى الاختلاف بين القرّاء أيضا في حرف الذال عند التاء في مواقع مختلفة من القرآن الكريم. فإذا جاء قبل الذال خاء من مثل قوله تعالى: ﴿ **إِتَّخَذتُّمُ ٱلْعِجْلَ** ﴾ (البقرة/51) ومثله أدغم جميع القرّاء ذلك إلا ابن كثير وحفص "[7] واختلف عن رويس، وأما في ﴿ **نبذتها**﴾ "طه/ 96" رويت بالإدغام عن أبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف وهشام

1 ـ ينظر: ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، ص128.
2 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ص137.
3 ـ ينظر: ابن الجزري، تقريب النشر، ص129.
4 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج1، ص138.
5 ـ ينظر: ابن الجزري، تقريب النشر، ص129.
6 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.
7 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج1، ص138.

بخلاف عنه."[1]" وأما من ﴿**عُذْتُ**﴾" غافر/27، الدخان/20" أدغم الذال في التاء أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف، واختلف عن هشام."[2]"

تناول القرّاء إدغام الثاء في التاء من ﴿ **لبثتم**﴾ و﴿ **لبثت**﴾ أينما وقعت، فأدغم ذلك أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر، واختلف عن ابن ذكوان. "[3]" وأما في ﴿**أورثتموها**﴾ "الأعراف/ 43، الزخرف/ 72" أدغمها أبو عمرو وحمزة والكسائي وهشام، واختلف عن ابن ذكوان. "[4]" وأدغم أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف الدال في الذال من قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ذِكۡرُ﴾ (مريم/306)."[5]"

خصّ القرّاء حرف النون باهتمام كبير، فقد أدغمت النون في الواو من قوله تعالى: ﴿يَسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ (يس/1) من قراءة الكسائي ويعقوب وخلف وهشام، واختلف عن نافع وعاصم والبزي وابن ذكوان. وأما في موضعين من القلم ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ (الآية 1) ومن يس ﴿يَسٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ (الآية 1)، أدغم النون في الواو الكسائي ويعقوب وخلف وهشام. وقد اختلف في موضع القلم عن ورش، وعاصم، والبزي، وابن ذكوان. أما موضع يس فاختلف في إدغامه عن نافع وعاصم والبزي وابن ذكوان. "[6]" كما صح إدغام النون في الميم من (طسم) أول الشعراء والقصص عند نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي ويعقوب وخلف."[7]"

1 ـ ينظر: ابن الجزري، تقريب النشر، ص129.
2 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص377.
3 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، الإتحاف، ج1، ص139.
4 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص378.
5 ـ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
6 ـ ينظر: ابن الجزري، تقريب النشر، ص130.
7 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، الإتحاف، ص141.

وخص علماء التجويد والقرّاء النون الساكنة بأحكام خاصة زيادة على الإدغام وأتبعوا لها التنوين. وتقع النون الساكنة في آخر الكلمة أو وسطها من فعل أو اسم أو حرف وهي ثابتة في الخط واللفظ، وأما التنوين فلا يكون إلا آخر الاسم لفظا لا خطا. "[1]" وثبت عن أهل الأداء إدغام النون الساكنة والتنوين عند ستة أحرف وهي حروف (يرملون)، فأما عند الياء والنون والميم والواو صح الإدغام بغنة في كلمتين لا غير، وورد عن حمزة وخلف بدون غنة في الياء والواو. "[2]" وتدغم النون الساكنة والتنوين في اللام والرّاء بغير غنة عند جل أهل الإقراء والتجويد، وخالف القليل منهم فأظهروا الغنة ومنهم على حدّ ما يقول ابن غلبون: «فروى المسيَّبي عن نافع أنّه كان يظهر الغنة عند اللام كقوله ﴿**مِن لَّدُنْهُ**﴾ "النساء/40 وغيرها"، و ﴿**مُسَلَمَةٌ لّا شِيَةَ فيها**﴾ "البقرة/ 71" وأدغمها عند الرّاء، وروى الأعشى عن أبي بكر أنّه كان يظهرها عند اللام والراء جميعا، وأدغمها الباقون بلا خلاف عنهم»[3].

ووجب علينا توضيح امتناع الإدغام إذا وقعت النون الساكنة في كلمة واحدة، وذكر صاحب الإقناع قوله: «فإن كانت النون قبل الياء والواو في كلمة أصلا فهي مظهرة بلا خلاف، لئلا يلتبس بالمضاعف نحو: ﴿**الدُّنْيَا**﴾ و﴿**بُنْيَانٌ**﴾ و﴿**قِنْوَانٌ**﴾ و ﴿**صِنْوَانٌ**﴾.»[4] وهذا وهذا بإجماع القرّاء لكي لا يختلط الأمر على السامع فلا يدري ما أصله النون وما أصله التضعيف. ولم يتوقف الأمر على إدغام الحرف الساكن في المتحرك بل صح كذلك مع المتحركين فيما اصطلح عليه عند القرّاء بالإدغام الكبير.

الإدغام الكبير:

قسم القرّاء والمجودون الإدغام إلى قسم صغير تناولناه من خلال الصفحات السابقة، وإلى آخر كبير. واصطلح عليه بذلك لكون الأول من الحرفين فيه متحركا، سواء كانا مثلين

1 ـ ينظر: إبراهيم المارغيني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 84.

2 ـ ينظر: مكي بن أب طالب، الكشف، ج1، ص164.

3 ـ ينظر: التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، تح: أيمن سويد، ج 1، ص188-189.

4 ـ ينظر: أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، الإقناع في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيدي، ص 155.

أم جنسين أم متقاربين. وسمي كبيرا لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون. "[1]" وقد عرّفه صاحب كتاب الوافي في شرح الشاطبية بقوله: « فالكبير: ما كان المدغم والمدغم فيه متحركين »[2] فالصامت الأول تتبعه حركة بخلاف ما رأيناه مع الإدغام الصغير.

فهذه إشارات إلى ظاهرة الإدغام مع ما فيها من تجاوز لما يحدث من حذف للحركة وقلب للصوت عند التجانس أو التقارب. "[3]" وقد اشتهر به أبو عمرو بن العلاء رحمه الله، كما ورد أيضا عن الحسن البصري وابن محيصن والأعمش وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر ومسلمة بن عبد الله الفهري ومسلمة بن محارب السدوسي ويعقوب والحضرمي وغيرهم."[4]" ويحدث الإدغام بين الصوتين المثلين والمتقاربين والمتجانسين. "[5]" ونستهل أحكام ظاهرة الإدغام الكبير بين المثلين أولا.

يتماثل الصوتان إذا اتفقا مخرجا وصفة في كلمة أو كلمتين من مثل الباء مع الباء، أو التاء مع التاء. "[6]" ففي كلمة واحدة لم يدغم أبو عمرو الذي اشتهر بالإدغام الكبير سوى ما ذكر في التيسير ومفاده: «اعلم أنّ أبا عمرو لم يدغم من المثلين في كلمة واحدة إلاّ في موضعين لا غير أحدهما في البقرة (الآية 200) ﴿مَّنَاسِكَكُم﴾، والثاني في المدثر (الآية 42) ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ وأظهر ما عداهما »[7] فهذا ما تعلق بالصوتين المتماثلين في كلمة واحدة فقط، ويبقى الحديث عن ما كان في كلمتين.

1 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص208 والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص199.
2 ـ عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص42.
3 ـ ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي - أبو عمرو بن علاء-، عبد الصبور شاهين، ص123.
4 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص209.
5 ـ ينظر: عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص43.
6 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص211.
7 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، ص28.

يقع الإدغام من كلمتين في المثلين بإسكان الأول وإدغامه في الثاني، ووقع ذلك في سبعة عشر حرفا وهي:الباء والتاء والثاء والحاء والراء والسين والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والواو والهاء والياء." [1] و هذه بعض أمثلة عن الحروف المذكورة آنفا من كتاب الله العزيز الحكيم: ﴿**الكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾ "البقرة/213"، و ﴿**المَوْتِ تَحْبِسُونَهَا**﴾ "المائدة/106"، و ﴿**حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم**﴾ "البقرة/191 والنساء/91"، و ﴿**النِّكَاحِ حَتَّى**﴾ "البقرة/235"، و ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ** ﴾ "البقرة/ 185"، و ﴿**النّاسَ سُكَارَى** ﴾ "الحج/ 2"، و ﴿**يَشْفَعُ عِنْدَهُ** ﴾ "البقرة/255"، و ﴿ **يَبْتَغِ غَيْرَ**﴾ "آل عمران/85"، و ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ**﴾ "البقرة/231"، و ﴿**الرِزْقِ قُلْ)** "الأعراف/32"، و ﴿**رَبَّكَ كَثِيرًا**﴾ "آل عمران/ 41"، و ﴿**لَّا قَبَلَ لَهُم** ﴾ "النمل/37"، و ﴿**ءَادَمُ مِن رَّبِهِ**﴾ "البقرة/37"، و ﴿**وَنَحْنُ نُسَبِحُ**﴾ "البقرة/30"، و ﴿**هُوَ وَالَّذِينَ**﴾ "البقرة/249"، و ﴿**فِيهِ هُدًى**﴾ "البقرة/2" و ﴿**يَأْتِيَ يَوْمٌ**﴾ "البقرة/254". وهذه الأمثلة ليست الوحيدة عند إدغام المثلين الكبير وإنّما هي كثيرة، وقد ذكرنا نموذجا لكل حرف.

يتحقق مبدأ الاقتصاد على قول استيتية: "ويظهر وجه الاقتصاد في أمرين أولهما أنّ الحركة التي تكون بين المتماثلين قد سقطت. وثانيهما تقليل عدد المقاطع القصيرة المفتوحة المتتالية. وهو وجه من وجوه الاقتصاد اللغوي الذي يظهر في لهجة تميم بخاصة، وتمثله قراءة أبي عمرو خير تمثيل. "[2] وقلّة العناصر تعني قلّة الأصوات الموظفة في اللفظ مما يسمح بالاقتصاد الصوتي في الأداء القرآني.

وقد وردت عن القرّاء وعلماء التجويد استثناءات للإدغام في المثلين تأتي على رأسها تاء الضمير، سواء كان متكلما أو مخاطبا نحو: ﴿**كُنْتُ تُرابًا** ﴾ " النبأ/ 30"، و ﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ**﴾"يونس/42"، وثانيها الحرف المشدد نحو: ﴿**مَسَّ سَقَرَ** ﴾ "القمر/ 48"، وثالث حالة

1 ـ ينظر: عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي- أبو عمرو بن العلاء- ، ص134.

2 ـ سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، ص 114.

المنون نحو: ﴿**سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ "البقرة/181". وهذه الحالات الثلاثة أظهر القراء فيها جميعهم. ولم يتوقف الإدغام الكبير عند المثلين بل نجده مع المتجانسين والمتقاربين كذلك.

يذكر السيوطي أنّ الإدغام الكبير مع الصوتين المتجانسين والمتقاربين يقع في: "ستة عشر حرفا، يجمعها: (رض سنشدّ حجتك بذلّ قثم) "[1] فهي ستة عشر حرفا إلاّ ما استثني منها من مشدد ومنون وتاء ضمير للحرف الأول. ويقع النوع الثاني من الإدغام على ضربين، في كلمة أو كلمتين. فما كان من كلمة واحدة على حسب ما ورد في كتب القراءات ذكره صاحب التذكرة في قوله: "وأما الحرفان المتقاربان المتحركان إذا كانا في كلمة واحدة: فإنه كان لا يدغم أحدهما في الآخر حيث وقعا، إلا القاف في الكاف، إذا تحرك ما قبل القاف، وكانت الميم بعد الكاف "[2] ومثل ذلك في القرآن الكريم: ﴿ **خَلَقَكُمْ** ﴾ "البقرة/ 21"، و﴿**رَزَقْكُمْ** ﴾ "المائدة/88"، ﴿**وَاثَقَكُمْ به**﴾ "المائدة/7"، و﴿ **وَلَقَد صَّدَقَكُمْ**﴾ "آل عمران/152".

وأما في كلمتين فنبدأه بالباء التي تدغم في الميم من قوله تعالى: ﴿**يعذب من يشاء**﴾، وذلك في خمسة مواضع، موضع في "آل عمران" وموضعان في "المائدة" وموضع في "العنكبوت" وموضع في الفتح. "[3]" ووقع ذلك على قول صاحب الإتحاف: " لاتحاد مخرجهما، وتجانسهما في الانفتاح، والاستفال، والجهر "[4] فهذا الإدغام مبدأه الاقتصاد للحيلولة بالرجوع إلى المخرج نفسه والصفات نفسها مع الصوت الثاني.

وتأتي التاء التي تدغم في عشرة أحرف وهي: الثاء والجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء. "[5]" ففي الثاء في مثل: ﴿**بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ**﴾ "البقرة/92" إلا ما اختلف عن أبي عمرو، وفي الجيم من مثل: ﴿**ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ**﴾ "إبراهيم/23"

1 ـ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص200.

2 ـ ابن غلبون، التذكرة، ص73- 74.

3 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص217.

4 ـ أحمد بن محمد البنا، الإتحاف، ج1،ص116

5 ـ ينظر:ابن الجزري، تقريب النشر، ص86، وأحمد بن محمد البنا، الإتحاف، ج1، ص116.

وفي الذال نحو: ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ﴾" هود/ 114" وفي الزاي من مثل: ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۚ﴾ "الزمر/73" وفي السين نحو: ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾" النساء/57" وفي الشين نحو: ﴿بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ "النور/4" وفي الصاد من مثل: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾ "النبأ/38" وفي الضاد نحو: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ "العاديات/ 1" وفي الطاء من مثل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ﴾ "هود/114" وأخيرا إدغام التاء في الظاء نحو: ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ﴾ "النساء/97".

تدغم الحروف الأخرى في مجانسها ومقاربها أيضا، فنبدأ بالثاء التي تدغم في خمسة أحرف وهي: التاء، والذال، والسين، والشين، والضاد، وأما حرف الدال فيدغم في عشرة أحرف وهي: التاء والثاء والجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والظاء. وتدغم الذال في السين والصاد، وتدغم الراء في اللام إلاّ أن تكون مفتوحة وسكن ما قبلها نحو: ﴿**الحمير لتركبوها**﴾. وتدغم السين في الزاي من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ (التكوير/7)، وفي الشين من قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ (مريم/4). وأما الشين تدغم في حرف واحد وهو السين من قوله تعالى: ﴿ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء/42). وتدغم الضاد في في الشين في موضع واحد ﴿ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ﴾ "النور/62"."[1]"

كما تدغم القاف في الكاف إذا تحرك ما قبلها نحو: ﴿ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ (المائدة/64)، والكاف في القاف إذا تحرك ما قبلها نحو: ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ ﴾ (البقرة/30)، واللام تدغم في الراء إذا تحرك ما قبلها بأي حركة نحو: ﴿رُسُلُ رَبِّكَ﴾

1 ـ ينظر: السيوطي، الإتقان، ص200-201، وأحمد بن محمد البنا، الإتحاف، ج1، ص117-119، وابن الجزري، تقريب النشر، ص86-87.

(هود/81) فإن سكن ما قبلها أدغمت مضمومة أو مكسورة. "[1]" والميم تسكن عند الباء إذا تحرك ما قبلها فتخفى بغنة نحو ﴿**يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** ﴾ "البقرة/ 113"، فإذا سكن ما قبلها لا تدغم.[2]وآخر حرف معني بالإدغام الكبير هو النون الذي يدغم في الراء إذا تحرك ما قبلها نحو: ﴿**تَأَذَّنَ رَبُّكَ**﴾"الأعراف/167" وفي اللام نحو: ﴿ **لَن نُّومِنَ لَكَ**﴾" البقرة/55"، فإذا سكن ما قبلها امتنع الإدغام.

وتتم عملية إدغام صوت في آخر لما سبق ذكره بمراحل حتى يفنى الأول في الثاني، ويقر إبراهيم أنيس في قوله: « الأصوات تحتاج إلى جهد عضلي كبير في النطق بها، مما يستلزم أنه لابد لفنائها من الكلام، أن يمر الصوت في أكثر من مرحلة قبل الفناء في غيره مثل الانتقال من الاستعلاء إلى الاستفال، أو من الشدّة إلى الرخاوة، أو من الجهر إلى الهمس. »[3]تطرأ على الأصوات المتفاعلة تبديلات تجعلها تقترب من التماثل الكلي من حيث المخارج أو الصفات. وإشكالية الاقتصاد الصوتي المطروح ليست من ناحية الظاهرة ولكن بعدها الدلالي هو المنوط بالبحث.

1 ـ ينظر: ابن الجزري، تقريب النشر، ص88، والسيوطي، الإتقان، ص201.

2 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، الإتحاف، ج1، ص119.

3 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص152-153.

تصدير:

عالج القدماء من علماء اللغة العربية وعلماء القرآن المعنى، فحاول المفسرون سبر أغوار النص القرآني وتوضيح دلالات ألفاظه وتراكيبه، وكل ذلك لاستنباط أحكام الشريعة الإسلامية. فاختلفت طرق معالجتهم، فمنهم من ذهب إلى الألفاظ وما تحمله من معاني، وآخرون مالوا إلى تأويل النصوص، وهدفهم جميعا دلالة النص القرآني.

ويظهر أنّ علم الدلالة من العلوم التي تضرب بجذورها في التاريخ إلى أن تصل بنا إلى محطة الدراسات اللغوية القديمة عند المسلمين، إلاّ أنه تبلورت معالمه وأصبح علما قائما بذاته يطبق إجرائيا على المستويات اللسانية المختلفة. فيظهر أنّ لفظ الدلالة وقع في القرآن الكريم في مواضع متعددة حيث يقول منقور عبد الجليل: « اللفظ "دلّ" وما صيغ منه في القرآن الكريم يعني الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز »[1] وكل هذه المصطلحات تكشف عن كنه الشيء ومعناه.

ولم تتخلف المعاجم العربية في تحديد معنى الدلالة حيث جاء في اللسان أنّ: «الدَّلِيلُ: ما يُسْتَدَّلُ به، والدَّلِيلُ: الدَّالُّ. وقد دَلَّهُ على الطريق، يدُلُّه دَلاَلَةً ودِلاَلَةً »[2]، وجاء في معجم مقاييس اللغة ما قوله: « (دل) الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء. فالأوّل قولهم: دَلَلْت فلانا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدَّلالة والدِّلالة. »[3]، فالوظيفة المشتركة المبثوثة في المعاجم لمصطلح الدلالة هو الإرشاد إلى الشيء وتوضيحه.

وقد ارتبطت الدلالة بمجالات عديدة قديما، فكانت من أدوات المنطق والفلسفة وإجراءات الدرس الأصولي عند فقهاء الأمة، ويقول فايز الداية: « ذلك أن (الدلالة) دخلت

1 ـ منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون –الجزائر، 2010، ص27.

2 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة دلّ، ص1414.

3 ـ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، ص259.

مجالات عديدة فيها عموم قد يجعل الباحثين يحملونها إلى اللغة، وهي ألصق بعلم الرموز »[1] ورغم هذا الالتصاق بالرمز عامة، إلاّ أنّها أوثق ارتباطا باللغة، فيقر بذلك أحمد مختار عمر قائلا: «ورغم اهتمام علم الدلالة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة فإنّه يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز »[2]، وعليه تبقى اللغة الوعاء الأمثل لاحتواء علم الدلالة وكشف المعنى.

وإذا رمنا تعريف علم الدلالة في حدود الدراسات اللغوية، نجد أحمد مختار عمر يقول: « يعرفه بعضهم بأنّه ((دراسة المعنى)) أو ((العلم الذي يدرس المعنى)) أو ((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى)) أو((ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى)). »[3] فيظهر أنّ علم الدلالة في أغلب صوره يهتم بالرموز اللغوية لكشف المعنى. ويرى صالح سليم عبد القادر الفاخري في قوله: «المراد بالدلالة، المعنى ويقابلها بهذا المفهوم المصطلح الغربي Meaning وهي فهم أمر من أمر، أو فهم شيء بواسطة شيء، فالشيء الأول هو المدلول والثاني هو الدال »[4] وهذا تعريف عام للدلالة يحتاج إلى تخصيص عند ارتباطه بالأصوات اللغوية.

ترتكز أي لغة حين الأداء على الأصوات، فهي إذا أول ما يعنى بالإجراء الدلالي، فنجد أنّ الآراء قد تباينت منذ القديم بداية بالخليل ومرورا بابن جني ووصولا إلى المحدثين، فأقر أكثرهم بالصلة الموجودة بين اللفظ ومعناه إلاّ أنّ البعض الآخر نفى ذلك. وبتجاوزنا لما جاءت به النظريات الدلالية من اختلافات فيما بينها، نقف أمام حقيقة وجود دلالة للصوت اللغوي طبيعية كانت أم اصطلاحية.

1 . فايز الداية، علم الدلالة العربي، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ، دار الفكر، ط2، دمشق، 1996، ص7.

2 ـ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998، ص12.

3 ـ المرجع السابق نفسه، ص11.

4 ـ الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، دت، ص25.

الصوت مفردا أو مشكلا في تركيب صوتي يحمل معنى يتعامل وفقه المستمع، وهذا ما نص عليه كريم زكي حسام الدين في قوله: "عملية الكلام أو التصويت تعتمد على جانبين عضوي وذهني يتمثل الأول في صدور الأصوات من الجهاز النطقي لدى المتكلم بصورة متتابعة تكون الكلمات والتراكيب وتنتقل عبر الهواء في شكل موجات صوتية تستقبلها الأذن التي تقوم بتوصيلها إلى المخ الذي يعطي بدوره هذه الأصوات أو الرموز دلالتها "[1] يوضح النص مفهوم الصوت اللغوي، ثم يقر أنّ لهذا الصوت استجابة لدى السامع مما يوحي بوجود دلالة مختزنة لديه اكتسبها من الأصوات المسموعة.

الأصوات اللغوية أقسام وأنواع كما يراها علماء اللغة القدامى والمحدثين من علماء الأصوات، فيذكر ماريو باي في قوله: "إنّ أصوات العلة، والأصوات الساكنة تكوّن ما يسمى بجزيئات الكلام ولهذا توصف بالتالي بأنّها فونيمات جزئية أو تركيبية. يوجد إلى جانب ذلك ملامح صوتية إضافية تؤثر على الأصوات الكلامية أو مجموعاتها، وهذه يطلق عليها اسم الفونيمات الإضافية أو الثانوية"[2] ووصف الأصوات بأنّ منها الصائتة والصامتة يجعلنا أمام تقسيم الفعل الدلالي للأصوات إلى جزء خاص بمظاهر الاقتصاد في الصوائت نتناوله خلال هذا الفصل ونرجأ القسم الآخر المرتبط بمظاهر الاقتصاد في الصوامت إلى الفصل الموالي.

تتأتى الدلالة في مجال بحثنا بالحصول على إشارات وتفسيرات للظواهر الصوتية الاقتصادية في الأداء القرآني. فيتم الفعل الدلالي بإبراز وظيفة الظاهرة الصوتية والتفسير الصوتي لها، وتلمس المعاني السياقية. فهي ليست مقارعة المعنى اللغوي فقط، وإنّما تعلل كل الملابسات السياقية والبيئية التي تحيط بالظاهرة الصوتية التي تمثل اقتصادا فيزيولوجيا وأكوستيكيا.

1 ـ الدلالة الصوتية ـ دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل ـ، مكتبة الانجلو المصرية، ط 1، القاهرة، 1992، ص165.

2 ـ ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، القاهرة، 1998، ص92.

دلالة الصوائت في الوقف:

تناول القرّاء وعلماء التجويد ظاهرة الوقف بالدراسة فقد أفردوا لها مؤلفات أوضحوا من خلالها أنواع الوقف من لازم وجائز وممتنع وتام وكافٍ وحسن وقبيح وذلك على اختلاف مذاهبهم، وبينوا عللها وأثرها على المعنى. وأوضحوا أنّ طرق الوقف عديدة فيقول ابن الجزري: « فاعلم أنّ للوقف في كلام العرب أوجها متعددة والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة وهو: السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق»[1].

يحتل الوقف مرتبة مهمة في علم القراءات، فهو شطر من علم التجويد. تناوله القراء لمعرفة كيفية القراءة. وأخذ به علماء التفسير لما له من أهمية في توضيح المعنى، ويذكر السجاوندي في توضيح أثر الوقف قائلا: « علم الوقف والابتداء علم مهم، به تعرف معاني القرآن الكريم من خلال معرفة الوقف والابتداء بما يتفق مع وجوه التفسير، والقراءة، وصحة اللغة، واستقامة المعنى، فحينئذ يتحقق لطالب العلم فهم كتاب الله تعالى »[2] فقد ارتبط الوقف بعلوم جليلة تخدم القرآن الكريم وبالتالي أحكام الشريعة الإسلامية.

الوقف بالسكون:

من وجوه الوقف التي اتصفت بمظهر اقتصادي حين الأداء، الوقف بالسكون الذي اتفق على أنّه الأصل، وقد جاء عند القراء ما قوله: « فكما يختص الابتداء بالحركة كذلك يختص الوقف بالسكون فهو عبارة عن تفريغ الحرف من الحركات الثلاث وذلك لغة أكثر العرب وهو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء »[3] وتفريغ الحرف من الحركة يعد من

1 ـ النشر في القراءات العشر، ص451.

2 ـ أبو عبد الله محمد بن طيفور السّجاوندي، علل الوقوف، تح: محمد بن عبد الله بن محمد العبيدي، ج1، مكيتبة الرشد – ناشرون، ط2، المملكة العربية السعودية، 2006، ص13.

3 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص452.

صميم الاقتصاد الصوتي، ويؤكد إبراهيمي بوداود في قوله: « فالسكون في جانبه العضوي تصويت لا تتحرك فيه الأعضاء المؤدية لباقي الحركات »[1] وبالتالي تسكن أعضاء النطق مقارنة بما يقع مع الضمة والكسرة والفتحة مما يتيح لها الاستراحة الفيزيولوجية.

السكون هو الأصل في الوقف، وهو الأغلب حين الأداء عند قارئ القرآن الكريم، ونهج جميع القراء. يقف القارئ اختياريا للمحافظة على هواء الزفير والتحكم فيه، واضطراريا للتزود بالنفس حتى يتم له متابعة الأداء، والتحكم في النفس يعدّل من جهد الأداء. ولا يحمل السكون وظيفة دلالية في ذاته عند الوقف لتفسير النص القرآني، بل تكون له دلالة في سياق الوقف عامة حيث أنّ «علم الوقف والابتداء علم مهم، به تعرف معاني القرآن الكريم من خلال معرفة مواطن الوقف والابتداء بما يتفق مع وجوه التفسير، والقراءة، وصحة اللغة، واستقامة المعنى»[2]، فالمعاني تتغير وفق مواقع الوقوف.

وقد عَبّر السيوطي عن موقفه من استعمال السكون للوقف بقوله: «الوقف موضع استراحة لأنّه موضع يضعف فيه الصوت، فاختاروا للحرف الموقوف عليه أخف الأحوال، وهو السكون »[3] والحالة الخفيفة من صميم الاقتصاد في الصوت. ويقول ابن يعيش: «((فالسكون)) هو الأصل والأغلب الأكثر لأنّه سلب الحركة وذلك أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة»[4]، فيأتي الوقف بالسكون عند أهل الأداء لغرض الاستراحة لتحقيق استمرارية الترتيل.

1 ـ فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، رسالة دكتوراه، جامعة السانية، 2012، ص120.

2 ـ أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، علل الوقوف، تح: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، ج1، م ص13.

3 ـ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، ج6، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص207.

4 ـ ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، دارة الطباعة المنيرية، القاهرة، دت، ص67.

ويوقف بالسكون لا غير عند علماء القراءات على خمسة أصناف ذكرها ابن الجزري في النشر وهي: [1]

- الكلمات الساكنة في الوصل، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿سَمْعِهِمْ ﴾[2]
- الكلمات المحركة بالفتح غير المنون ولم تكن حركته منقولة، ومنه قوله تعالى: ﴿لاَ رَيْبَ ﴾[3].
- الهاء التي تلحق الأسماء في الوقف بدلا من تاء التأنيث ومثله قوله عز وجل: ﴿غِشَـٰوَةٌ ﴾[4]
- ميم الجمع في قراءة من حركه في الوصل ووصله وهم: (أبو جعفر، قالون، ابن كثير، وورش إذا لقيت ميم الجمع همزة قطع) ومثاله قوله تعالى: ﴿سَوَآء عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾[5]، وفي قراءة من لم يحركه ولم يصله وهم: (القرّاء الباقون) ونجده في قوله جل شأنه: ﴿ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[6]
- المتحرك في الوصل بحركة عارضة إما للنقل وإما لالتقاء الساكنين، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ ﴾[7] وقوله أيضا: ﴿فَدِيرٌ ﴿٢٨٣﴾ ـامَنَ ﴾[8]

1 ـ ينظر: النشر في القراءات العشر، ص453.
2 ـ البقرة/7.
3 ـ البقرة/2.
4 ـ البقرة/7.
5 ـ البقرة/6.
6 ـ البقرة/6.
7 ـ البقرة/16.
8 ـ البقرة/284.

ويشترك الوقف بالسكون مع الروم في مواضع، وبالسكون والإشمام والروم في مواضع أخرى مع الإحاطة علما أنّه يوقف على المتحرك كيفما كانت الحركة.[1]

ينجم عن الوقف بالسكون تغيير في المقاطع الصوتية للكلمة، فيترتب عند الوقوف على قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ**﴾[3]، فإذا كتبنا لفظتي الوقف (عظيم، ومرض) بالتقطيع الصوتي وجدنا أنّ الأولى تكتب على شكل: (ص ح/ص ح ح/ص ح ص)، والثانية كالتالي:(ص ح/ص ح/ص ح ص) فهي إذا بثلاثة مقاطع في الوصل، وبعد الوقف بالسكون تصبح المقاطع في اللفظ الأول على شكل: (ص ح/ص ح ح ص)، والثاني كالآتي: (ص ح/ص ح ص)، تقلصت المقاطع من ثلاثة إلى اثنين مما يدلل على أن الوقف بالسكون اقتصاد صوتي ومطلب للاستراحة. ولم يتوقف الأمر على الوقف بالسكون فقط بل تعداه إلى الروم والإشمام.

الوقف بالروم:

يعد الرّوم وجها ثانيا من وجوه الوقف المستعملة عند العرب، فقد اعتمده جمهور من القراء ونعاود ذكره مرة أخرى إذ يعرفه ابن الجزري في قوله: "الرّوم عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة "[4] فالروم عند القراء جزء من الحركة وذلك تخفيف. ويقول صاحب كتاب الوافي: "حقيقة الرّوم: أن تُسمع كل قريب منك مصغ إلى قراءتك حركة الحرف المحرك في الوصل بصوت خفي حال كونك واقفا على هذا الحرف "[5] وهذا تأكيد على أنّها حركة تامة في الوزن سريعة الأداء.

1 - ينظر: محمد بن موسى الشرويني، تجويد القرآن الكريم على رواية ورش من طريق لأزرق، ص165

2 - البقرة/7.

3 - البقرة/10.

4 - النشر في القراءات العشر، ص452.

5 - عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط7، مصر، 2011، ص144.

لا يتمكن البعيد من سماع المرام في حال الكلمة الموقوف عليها، وأما القريب فيسمع ويرى. والرّوم هو: "الإشارة إلى الحركة بصوت خفيّ في المرفوع والمضموم، والمجرور والمكسور، دون المنصوب والمفتوح، في أفصح اللغات "[1] فالرّوم يكون مع المعرب والمبني، وهو ممتنع مع المنصوب أو المفتوح، لأنّ الفتحة إذا خرجت خرج معظمها بسبب شكل القناة الصوتية.[2]

ذهب البعض إلى أنّ دلالة الرّوم هي تحديد نوع حركة الحرف الموقوف عليه، فيذكر مكي القيسي قائلا: "فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل "[3] وتكون الإشارة سريعة الأداء يكاد يسمعها القريب. ويؤكد الاستربادي ما ذهب إليه صاحب الكشف في قوله: "الرّوم الإتيان بالحركة خفية حرصا على بيان الحركة التي تحرك بها آخر كلمة في الوصل"[4] وعلى ضوء هذا يضحى الرّوم اقتصادا يخفف بواسطته أداء الحركة.

صح الوقف بالرّوم عند أبي عمرو والكوفيين على ما جاء في نظم الشاطبية: [5]

وَعِنْدَ أَبِي عَمْرٍو وَكُوفِيِّهِمْ بِهِ مِنَ الرَّوْمِ وَالْإِشْمَامِ سَمَتٌ تَجَمَّلاَ

وَأَكْثَرُ أَعْـلاَمِ الْقـرَانِ يَـرَاهُمَا لِسَائِـرِهِمْ أَوْلَى الْعَلاَئِـقِ مِطْـوَلاَ

ويؤكد الناظم ما ذكرناه آنفا، ويضيف أنّ أكثر مشاهير النقلة والمشتغلين بالإقراء يرون أنّ الرّوم والإشمام لجميع القرّاء. [6] ويذكر أبو عمرو الداني في الصدد نفسه: "واختار عامة شيوخنا ورؤساء أئمتنا، في مذهب الجماعة، الوقف على ذلك بالإشارة، لما فيها من

1 ـ عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ـ أبو عمرو بن العلاء ـ ، ص117.

2 ـ ينظر: غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 2002، ص266.

3 ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، ص122.

4 ـ شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص275.

5 ـ القاسم بن فيرة بن خلف بن أ حمد الرعيني الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، عناية: اسماعيل الشرقاوي وأبو عبد التواب عبد المجيد ريّش، دار ابن الحفصي للطباعة والنشر، الجزائر، ص84.

6 ـ ينظر: عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص144.

الدلالة على كيفية الحركة في الوصل، طلبا للبيان »[1] فأضحى الوقف بالروم شائعا في الأداء القرآني هدفه كشف حركة الحرف الموقوف عليه.

ورد الوقف بالرّوم عند القرّاء في حالات معينة، فنجد ابن الجزري يحددها عندما يشاركها السكون أو الإشمام في قوله: « يجوز الوقف بالسكون وبالروم في ما كان في الوصل متحركا بالكسر سواء كانت الكسرة للإعراب أو البناء»[2] وذلك نجده في نحو: بسم الله الرحمن الرحيم، ومالك يوم الدين، وفي الدار، ومن الناس، فارهبون وارجعون، وسبع سموات. وكذلك يوقف بالروم أو السكون إذا كانت الكسرة فيه منقولة من حرف من الكلمة نفسها في نحو: بين المرء، وظن السوء.

وقد يكون الوقف بالرّوم أو الإسكان أو الإشمام في ما كان في الوصل متحركا بحركة الضم غير منقولة من كلمة أخرى أو لالتقاء الساكنين، ويشمل حركة الإعراب وحركة البناء، والحركة المنقولة من حرف حذف من الكلمة نفسها.[3] وأمثلته على ترتيب ما ذكر مسبقا، ففي المعرب (**الله الصمد**)، وفي المبني (**من قبل ومن بعد**)، وفي الحركة المنقولة من حرف حذف من نفس الكلمة (**دفء، والمرء**).

الوقف بالإشمام:

يأتي الإشمام كحالة أخرى من الوقف على أواخر الكلم بالإشارة، وعرفناه في الفصل الأول ونضيف أيضا أنّ «حقيقة الإشمام فهو ضمك شفتيك بعد سكون الحرف أصلا ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنّه لرؤية العين لا غير إذ هو إيماء بالعضو إلى الحركة »[4]

1 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتزيع، ط1، عمان، 2000، ص129.

2 ـ النشر في القراءات العشر، ص453.

3 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، ص454.

4 ـ ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، تح: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2000، ص261.

فالإشمام في الأصل سكون عوّض الصائت في الوقف، ولكن يجتهد المؤدي إلى بيان نوع الحركة، فهو لا يكون إلاّ بوجود الضمة في آخر اللفظ الموقوف عليه.

يقولون لأجل توضيح الإشمام أنّه: " تهيئة العضو للنطق بالضم من غير تصويت وذلك بضم شفتيك بعد الإسكان "[1] وبالتالي تتشكل الشفتان في هيأة النطق بالضمة، ويقول أبو عمرو الداني: "هو إيماء بالشفتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف، فلا يقرع السمع"[2] ويبقى مرتبطا بالضم والرفع لا غير مع بقاء الحركة ساكنة، فالإشمام من صميم الاقتصاد في الجهد.

ويبقى الوقف بالإشمام كمثل الروم يصب في الدلالة نفسها حين استعماله فيقول صاحب الموضح: "وإنّما أرادت العرب بالإشمام والرّوم الدلالة على الحركة الموجودة التي كانت قبل الوقف"[3] وذلك يتضح من خلال تعريف الإشمام الذي حددناه آنفا والذي يقع بضم الشفتين بعد تسكين الحرف الأخير من الكلمة الموقوف عليها، ويستعمل إذا كان القارئ بحضرة من يستمع إليه. ويأخذ شيوخ القراءة بالإشمام أيضا فيذكر صاحب الإتحاف قائلا: "وورد النص بهما عن أبي عمرو، والكوفيين، والمختار الأخذ بهما للجميع "[4] والقول يخص نوعي الوقف من روم وإشمام.

يشترك الوقف بالإشمام مع الوقف بالسكون والروم في موضع الضم على حدّ ما ذكر في الفقرات السابقة. فيجوز الوقف بالحالات السابقة عند كل ما كان في الوصل متحركا بالضم ما لم تكن الضمة منقولة من كلمة أخرى أو لالتقاء الساكنين، ويخص الأمر حركة

1 ـ ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، ص67.

2 ـ التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط1، عمان، 2000، ص170.

3 ـ عمر الكبيسي، الموضح في وجوه القراءات وعللها لنصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1408هـ ، ص216-217.

4 ـ أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص314.

الإعراب و حركة البناء والحركة المنقولة من حرف حُذف من الكلمة. [1] ففي المعرب (**الله الصمد**) و(**عذاب عظيم**)، وفي المبني (**من قبل ومن بعد**)، وفي الحركة المنقولة من حرف من الكلمة نفسها (**دفء، والمرء**). وقد عرف القرّاء كمية أخرى للصوائت لأجل التخفيف في غير الوقف وهي الاختلاس.+

دلالة الاختلاس:

استعمل علماء التجويد مصطلح الاختلاس كتعويض للرّوم إذ يتمّ الإسراع بالحركة وكانت وسط الكلمة. يقول أبو عثمان الداني: "المختلس حركته من الحروف فحقّه أن يُسْرَعَ اللفظ به إسراعا يظن السامع أنّ حركته قد ذهبت من اللفظ لشدّة الإسراع، وهي كاملة في الوزن، تامّة في الحقيقة "[2] فظاهرة الاختلاس تخص الحركات وسط الكلمة حين تخفف بإسراع أدائها مما يجعلها من أسس الاقتصاد في الصوائت.

تميل بعض اللهجات لأجل التخفيف إلى تسكين حروف وسط الكلمة، إلاّ أنّ البعض الآخر يلجأ إلى تسريع أداء تلك الحركات بالاختلاس عوضا عن الحركة للدلالة على نوع الحركة، وورد في دراسة تناولت الاختلاس ما قوله: "الاختلاس يعبر عن ظاهرة صوتية في اللغة العربية، يبنى عليها معرفة حركة الحرف الساكن، ولو تأمل القارئ في كل كلمة مما سبق لوجد أنّ للحروف المختلسة حركتها الأصلية قبل تسكينها، وأنّ الاختلاس يشير إلى ذلك الأصل"[3] وبذلك يدلنا الاختلاس على نوع صائت الحرف الذي قد يصبح ساكنا ومنه أمثلة نذكر بعضا منها فيما بعد.

---

1 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص454.

2 ـ التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، ص95-96.

3 ـ منصور سعيد أحمد أبوراس، اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره على المعنى، ماجستير، جامعة أم القرى، 1426هـ، ص222.

ويتضح الاختلاس في بعض المواقع القرآنية لدى القرّاء باختلافهم فيما بينهم، ففي قوله تعالى: ﴿ **فَنِعِمَّا**﴾[1] قرأ باختلاس كسرة العين شعبة، وقالون، وأبو عمرو، كما صح عن أبي عمرو في قوله عز وجل: ﴿ **بَارِئِكُمْ**﴾[2] اختلاس كسرة الهمزة.[3] ولا يتوقف الأمر على هذين المثالين بل يتعداه إلى ألفاظ أخرى في مواقع أخرى غير سورة البقرة. وتأدية الحركة مختلسة يدخل في صميم الاقتصاد الصوتي للصوائت، وقد يستغنى عن الاختلاس بتسكين الحرف عند قراء آخرين طلبا لاقتصاد أقوى وأوضح.

دلالة المماثلة في الصوائت:

تطرقت الدراسة الحالية في موضع متقدم إلى المماثلة بين الصوائت لمطلب الانسجام وإضفاء طابع الإيقاع على أداء النص القرآني حتى يُؤَمَن الاقتصاد في الجهد. فتتأثر الصوائت فيما بينها في الكلمة الواحدة أو الكلمتين على ما تجنح إليه بعض القبائل العربية وصح عن فريق من القرّاء. ونحاول في هذه المحطة رصد مظهر المماثلة أو انسجام الصوائت في كتب القراءات فيما ارتبط بسورة البقرة على الأخص.

يقع التماثل بين الصوائت في ظاهرة الانسجام التي اصطلح عليها بالإتباع مما صح عن بعض اللهجات وأقره كثير من القرّاء. ومن الأمثلة الشائعة للإتباع في الكتب التراثية لغوية كانت أم مؤلفات القراءات والتجويد هو قوله تعالى: ﴿**اِلْحَمْدُ لِلهِ** ﴾ الذي قُرِأ بإتباع الحركة تقدميا وتراجعيا حتى يتاح للسان القيام بعمل واحد مع الحرفين المتتابعين حين تتأثر الحركة الأولى بالثانية والحركة الثانية بالأولى.

---

1 - البقرة/271.

2 - القرة/54.

3 - ينظر: أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش، كتاب الإقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطاش، ج 1، دار الفكر، ط1، دمشق، 1403هـ، ص485.

قراءة **(الحَمْدُ لُلّه)** بتأثر تقدمي تجعل صائت الحرف الثاني من نفس طبيعة صائت الحرف السابق له وهو ضمة الدال، وبذلك يتحقق الانسجام ويتجسد الاقتصاد بأن يُبقى على الوضعية نفسها للسان، قد صح عن إبراهيم بن أبي عبلة ويزيد بن قطيف الأعسم. [1] ودلالة ذلك أنّ القرآء اجتمعوا على إتباع الضمة للضمة، فيتأكد ذلك في قول الفراء: "وأمّا الذين رفعوا اللام فإنّهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان، مثل: الحُلُم والعُقُب "[2] وتأثير الأول في الثاني بعد رفعه للابتداء. [3] والرفع أجود من جهة اللفظ والمعنى،[4] وعلى قول ابن جني: " أنّ الذي يرفع الحمد يخبر أن الحمد منه ومن جميع خلق الله"[5]، وقد أجمع القرّاء السبعة وجمهور الناس على رفع الدال.[6]

نجد أيضا من يتبع الكسرة للكسرة في مثل: (**حَمْدِ لِلّه)** من قراءة الحسن البصري والحارث بن أسامة بن لؤى، ورؤبة بن العجاج. [7] وهي لغة تميم وبعض غطفان، [8] فإنّهم أتبعوا الكسرة الأولى للثانية بتأثير رجعي متعاملين في الكلمتين كاللفظ الواحد وهو مستثقل عند القرّاء لأنّهم لا يحبذون إتباع الأول إلى الثاني على قول ابن جني: " وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب "[9] وتبقى علة ذلك نزولا عند اللهجات العربية المختلفة التي تميل إلى التخفيف والانسجام والاقتصاد في الجهد.

ظاهرة الإتباع في كتب اللغة لا يمكن حصرها في دراسة معينة بل هي أشتات مبثوثة في مؤلفات عديدة لا يمكن جمعها إلا بمشقة مضنية، ومع ذلك نحاول تقفي الظاهرة فنبدأ

1 ـ ينظر: محمد خاطر، إتباع الحركة في القراءات القرآنية، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد 8، القاهرة، 1990، ص36.

2 ـ معاني القرآن، تح: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، ج1، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983، ص4.

3 ـ ينتظر: النحاس، إعراب القرآن، عناية: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2008، ص12.

4 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

5 ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: محمد عبد القادر عطا،ج1، ص110.

6 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

7 ـ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها. وإعراب القرآن للنحاس، ص12 و الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ج1، مكتبة عبيكان، ط1، الرياض، 1998، ص113.

8 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر، ج1، ص363.

9 ـ المحتسب، ج1، ص 112.

مع الإتباع الحاصل في كلمتين من سورة البقرة، ومنه قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾[1] الذي قرأه بضم التاء من الملائكة إتباعا لضمة الجيم بعدها أبو جعفر يزيد بن القعقاع وسليمان بن مهران،[2] ونُقِل أنّ هذه القراءة ترجع إلى لغة أزد شنوءة.[3]

يرى النحاس أنّ ضم التاء لحن لا يجوز،[4] في حين يقر ابن الجزري في قوله: "ووجه الضم أنّهم استثقلوا الانتقال من الكسرة إلى الضمة إجراء للكسرة اللازمة مجرى العارضة. وعللها أبو البقاء أنّه نوى الوقف على التاء فسكنها ثم حرّكها بالضم إتباعا لضمة الجيم"[5] ويذكر العكبري (616هـ) في قوله: "وأحسن ما تحمل عليه أن يكون الراوي لم يضبط يضبط على القارئ، وذلك أن يكون القارئ أشار إلى الضم تنبيها على أنّ الهمزة المحذوفة مضمومة في الابتداء، ولم يدرك الراوي هذه الإشارة "[6] ولا سبيل في ذلك إلاّ قوة الجنوح إلى الإتباع في القراءات القرآنية ومن ورائها اللهجات العربية.

ويقع الإتباع عند التقاء الساكنين بين كلمتين مما نجده مع واو الجماعة من مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ﴾[7]، وقوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾[8] قرأهما أبو السمال ويحي بن يعمر بفتح واو الجماعة، وقوله عز وجل: ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ ﴾[9] ورد فيه فتح

1 - البقرة/34.

2 - ينظر: محمد أحمد خاطر، إتباع الحركة في القراءات، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص37. و أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر، ص387.

3 ت ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج1، ص302.

4 - ينظر: إعراب القرآن، ص34.

5 - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص517.

6 - أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص30.

7 - البقرة/14.

8 - البقرة/16.

9 - البقرة/93.

الواو عند أبي السمال ويحي بن يعمر، [1] وقرأه الحسن بن إبراهيم بن يزداد عن أبي عمرو بفتح الواو كذلك، وحركها بالفتح طلبا للتخفيف. [2] والتخفيف اقتصاد صوتي يتطلبه الأداء القرآني.

ويأتي كذلك التخلص من التقاء الساكنين بالإتباع في حركة النون من قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ [3] قرأ بضم الساكن الأول أي النون إتباعا ابن يعمر [4]، وهي عملية تخلص من التقاء الساكنين. [5] ويرى صاحب الكشف: "إنّه كرِه الخروج من كسر إلى ضم، ليس بينهما غير حرف ساكن، والساكن غير حائل لضعفه، فلا يعتدّ به، وألف الوصل لا حظ لها في الوصل، ولا يعتدّ بها حاجزا، فلمّا ثقل ذلك ضم الساكن الأول، ليتبع الضمُّ الضمَّ، فيكون أيسر عليه في اللفظ وأسهل" [6] فيأتي الضم بعد ضم ليقع الانسجام في الحركات ويسهل اللفظ اللفظ ويقتصد في الجهد. وقد تقع ظاهرة الإتباع في صيغ معينة نأتي على ذكر بعضها فيما يلي من الدراسة.

دلالة الإتباع في صيغ عربية:

ظهر عند القرّاء الإتباع في صيغ مختلفة من اللغة العربية، فنجده في صيغة (فعلات) جمع (فعلة) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [7] قرأها بإتباع الضمة للضمة في الطاء والخاء ابن عامر والكسائي، وقنبل، وحفص، وعباس عن أبي

1 ـ ينظر: محمد أحمد خاطر، إتباع الحركة في القراءات، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص18.
2 ـ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص478.
3 ـ البقرة/173.
4 ـ ينظر: محمد أحمد خاطر، إتباع الحركة في القراءات، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص32.
5 ـ ينظر: محمد أحمد خاطر، إتباع الحركة في القراءات، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص30
6 ـ مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص275.
7 ـ البقرة/208.

عمرو والبرجمي عن أبي بكر. [1] وذكر مكي القيسي ما قوله: «خُطُوات: قرأه ابن عامر والكسائي وحفص وقنبل بضمّ الطاء حملا على أصل الأسماء، لأن الأسماء يلزمها في الجمع الضم في نحو:"(غرفة، غرفات) فضمّ (خطوات)، على الأصل، وهي لغة أهل الحجاز»[2] ويقول ابن جني: «والخُطُوات كقولك: طرائق الشيطان، والخَطَوات كقولك: أفعال الشيطان»[3] وأكثر القراءة (خُطُوات) وفي ذلك انسجام بين الأصوات يتبعه حتما أوضاع فيزيولوجية متماثلة وبالتالي اقتصاد في الجهد.

تقدم ذكر وقوع المماثلة في الصيغتين (فعيل وفعل) على ما ذكره اللغويون، فأما (فعيل) فيها لغتان: (**فَعِيل**) و(**فِعِيل**) على ما صرح به سيبويه. [4]ويكون الأمر نفسه مع الصيغة (فعل) التي قد تأتي على لغتين أيضا وهما: (**فَعِل**) و(**فِعِل**) في الأسماء والأفعال والصفات.[5] ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ**ۖ **هِيَ**ۖ ﴾[6] قرأه بلغة كسر النون إتباعا لكسرة العين أبو عمرو وعاصم ونافع وأبو جعفر وابن كثير ويعقوب.[7] ويقول صاحب الكشف: «وحجة من قرأ بكسر النون والعين أنّ الأصل فيه ((نَعِم)) بفتح النون، وكسر العين، لكن حرف الحلق إذا كان عين الفعل، وهو مكسور أُتبع له ما قبله، فكسر لكسرة، يقولون: شَهِد وشِهِد، ولَعِب ولِعِب، فقالوا في ((نَعِم)): نِعِم، وهي لغة هذيل»[8] وهذه حجة قال بها سيبويه إلا أنّه أرجعها إلى لغة تميم.

---

1 ـ ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993، ص653. وعبد الفتاح عبد الغني القضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص176.

2 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص273.

3 ـ المحتسب، ج1، ص205.

4 ـ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص107.

5 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

6 ـ البقرة/271.

7 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر، ج1، ص455. والنحاس، إعراب القرآن، ص111. وأبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص473. ومكي بن أبي طالب القيسي، الكشف، ج1، ص316. وعبد الله الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص393.

8 ـ مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص316.

جاء في دراسة صوتية لقراءة يحي بن وثاب أنّ الصيغة (نِعِم) متفرعة عن صيغة أصلية حلقية العين على رأي سيبويه، ويقول صاحب الدراسة: «فيما كان على فَعِل إذا كان صفة أو فعلا أو اسما.. فكسرت ما قبل العين حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف عليهم..فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد »[1] ويتأتى العمل من وجه واحد عندما تأخذ أعضاء النطق الوضع نفسه مع أداءين مختلفين فيقتصد في الجهد.

وتُصوَغ المماثلة في صيغة ((نِعِم)) على رأي أحمد طه حسانين سلطان حين يقول: «فالكسرة المتأخرة هنا أقوى بحكم تكوينها من الفتحة وإن تقدمت، لأنّ الكسرة تتكون في مقدم اللسان، فقوتها تأتي من تكوينها في موقع قريب من نهاية الجهاز النطقي»[2] وهذه القوة مقارنة مقارنة مع الفتحة السابقة التكوين في الجهاز النطقي مما يؤمن « تغلب الكسرة المتأخرة على الفتحة المتقدمة في لغة تميم وهذيل، وإنّما فعلوا ذلك ليحصل نوع من التخفيف والانسجام بالخروج من كسر النون إلى كسر العين»[3] ويحدث الأمر نفسه مع صيغ عربية أخرى.

ويقع إتباع سكون لاحق لفتحة سابقة في الصيغة ((فَعْل، وفَعْلة)) ليصبح ((فَعَل، وفَعَلة))، وجاء مثل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[4] قرأ بفتح الهاء تبعا لفتحة الجيم طلحة بن مصرف، وحميد بن قيس الأعرج، وابن عباس، وسهيل بن شعب، وعيسى.[5]ويقول محمد خاطر: «جاء في العربية كلمات كثيرة على فعل وفعل ـ بفتح العين أو أو سكونها مع فتح الفاء ـ والمعنى واحد، وقد وجّه اللغويون معظم هذه المتحدة في المعنى

1 ـ أحمد طه حسانين سلطان، قراءة يحي بن وثّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي، 25.

2 ـ المرجع السابق نفسه، ص26-27.

3 ـ المرجع نفسه، ص27.

4 ـ البقرة/55.

5 ـ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص371. وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، شواذ القراءات، تح: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، دت، ص62 وابن خلويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، تح: آثر جفري، مكتبة البديع، القاهرة، دت، ص 13.

المختلفة في الضبط على أنّها لغات »[1] هذا فيما يخص المعنى اللغوي للصيغتين، بينما الدلالة التشكيل الصوتي شيء آخر.

يذهب أهل اللغة إلى فتح عين الصيغة على لغات بعض القبائل ويقول ابن جني: «ومذهب الكوفيين فيه أنّه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه، البَحْر والبَحَر والصَّخْر والصَّخَر. »[2] ويذهب محمد خاطر في تعليل ذلك في قوله: «الإتباع علة شارحة مفسرة، وسبب كاف قوي لهذا العدول وما تبعه من تغيير، إذ أثرت الفتحة السابقة في ضبط الحرف اللاحق لها فضبط بمثل الحركة السابقة، ففتح بعد أن كان ساكنا، ليكون عمل اللسان أو أعضاء النطق من وجه واحد وعلى وتيرة واحدة »[3] وهذا غرض الاقتصاد في الجهد.

وقد يتبع السكون ضمة سابقة في بنية أصلية وجاء ذلك في فعل وفعلان وفعلى، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ**﴾[4] فالأصل في كلمة (غُلْف) السكون ويأتي الضم عارضا إتباعا لضمة الغين. قرأ بضم الغين ابن عباس واللؤلئي عن أبي عمرو والزهري والحسن البصري والأعرج وابن هزمر وابن محيصن وسعيد بن جبير وعمرو بن عبيد والكلبي والفضل الرقاشي وابن إسحاق والأعمش.[5]

تأتي الصيغة (**فعل**) بضم وسكون عين الكلمة وقد أوضح ذلك محمد خاطر بقوله: «وبهذا يسلم لنا القول بأنّ ما جاء على (**فعل**) بضم عين الكلمة مما الغالب فيه قياسا واستعمالا سكون العين فضمها للإتباع قراءة ولغة، وقوة الضمة السابقة وضعف السكون

1 ـ إتباع الحركة في القراءات، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص13.

2 ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: محمد عبد القادر عطا، ج1، ص167.

3 ـ إتباع الحركة في القراءات، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص14.

4 ـ البقرة/88.

5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، مج:1، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 2002، ص149. ومختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، ص15. و وابن خلويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص15.

اللاحق يساعد على هذا الإتباع، ويكون العدول عن الأكثر الأخف إلى ما هو دونه في ذلك ليجري اللسان على وجه واحد »[1] وجريان اللسان على وجه واحد فيه نوع من الاقتصاد في الجهد عند الأداء.

جاء أيضا إتباع فتحة سابقة لضمة لاحقة في صيغة طارئة من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾[2] قرأه يزيد بن أبي حبيب بضم الطاء إتباعا لضمة الراء بعدها. [3] ويبقى ميل القراءة إلى الإتباع في كل مرّة لأجل انسجام بين الأصوات ويؤكد ذلك محمد أحمد خاطر في قوله: « في بعض الأحيان طغت حركة الإتباع على حركة الإعراب أو البناء وهذا يؤكد قوة مراعاتهم لتقريب الحركات بعضها من بعض »[4] فيعد الإتباع مظهرا اقتصاديا تجنح إليه بعض اللهجات العربية ومن ورائها القراءات التي تأخذ بها.

دلالة التماثل في هاء الكناية:

الأصل في هاء الكناية الضم، ولكن تميل بعض اللهجات إلى كسرها لدواعي الانسجام داخل التشكيل الصوتي. فيظهر ذلك من خلال القراءات القرآنية، فمن أجل كسرة أو ياء سابقتين يقرأ الضمير مكسورا كما في قوله تعالى: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِۛ﴾[5] و ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[6] و ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[7] و ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ

1 ـ محمد أحمد خاطر، إتباع الحركة في القراءات، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص29-30.

2 ـ البقرة/126.

3 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، مج:1، ص192. وأبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص555.

4 ـ إتباع الحركة في القراءات ، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 8، ص46.

5 ـ البقرة/2.

6 ـ البقرة/23.

7 ـ البقرة/27.

﴿إِيمَـٰنُكُمۡۚ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1]. فكسر الضمير إتباعا للكسرة أو الياء من أجل مطلب انسجام الأصوات الملفوظة. فتكسر الهاء لجميع القرّاء ويختلف في صلتها بياء أو عدمه.[2]

إذا وردت الهاء بين متحركين وكان ما قبلها مكسورا توصل بياء لجميع القرّاء، [3] ومنه ومنه قوله عز وجل: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا﴾[4]، وأما إذا جاءت قبل ساكن وكان قبلها كسر أو ياء فإنها تكسر بدون صلة. [5] ويقع حولها الخلاف في الصلة إذا كانت قبل متحرك وبعد ساكن، إذا كان الساكن ياء فإنّ ابن كثير يصلها بياء في الوصل ووافقه ابن محيصن، [6] وأما وأما الباقون يكسرونها فقط، ووافق حفص ابن كثير على الصلة في موقع وهو قوله تعالى: ﴿فِيهِ مُهانا﴾[7] ولا نريد الغوص أكثر في مسألة هاء الكناية واستثناءاتها والاختلافات حولها عند القراء.

وظاهر الأمر يدل على أنّ هذه الهاء كسرت على لهجات عربية إتباعا بعد تطورها ويؤكد ذلك السيوطي في قوله: " وتكسر بعد الكسرة نحو: مرّ بِهِ، ولم يعطِهِ، وأعطِهِ، وبعد الياء الساكنة نحو: فِيهِ، وعليهِ، ويرميهِ إتباعا ...، ثم كسرها في الصورتين المذكورتين لغة غير الحجازيين"[8] ويعلل ابن خلويه كسر الهاء في قوله: "فالحجة لمن كسر الهاء: أنّها لما جاورت الياء كره الخروج من كسر إلى ضم، لأن ذلك مما تستثقله العرب "[9]ويحدث الأمر نفسه مع كسرة سابقة.

---

1 - البقرة/93.

2 - ينظر: ابن الجزري، النشر، ص231-232.

3 - ينظر: المرجع السابق نفسه، ص231.

4 - البقرة/26.

5 - ابن الجزري، النشر، ص231.

6 - ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص149.

7 - الفرقان/69.

8 - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج1، ص202.

9 - ابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، القاهرة، 1979، ص63.

يقع الأمر نفسه للضمير الغائب سواء كان جمعا أو مفردا مذكرا أم مؤنثا، فتكسر الهاء بوجود كسرة سابقة أو ياء. وقد قرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم﴾[1] بكسر الهاء الحسن وابن كثير وابن عباس.[2] ويعلل أبو حيان الإتباع بقوله: « ووجهه أنّه أتبع حركة الهاء الهاء لحركة الباء ولم يعتد بالهمزة لأنها ساكنة فهي حاجز غير حصين »[3] وتتعدد وجوه الانسجام مع مظاهر أخرى للمماثلة ومنها الإمالة.

دلالة الإمالة الصوتية:

تأتي الإمالة كما تقدم من البحث لتجسيد مطلب الانسجام الصوتي الذي يحدث عند تجاور الأصوات، فهي مشهورة ومستعملة في لغة العرب التي نزل القرآن على حروفها المختلفة، فهي فاشية عند قبائل تميم، وأسد، وقيس. والإمالة من أصول القراءة، تواترت بها قراءات مشهورة فيقول أبو عمرو الدّاني: «فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها بأن لحونها، وأصواتها مذاهبها، وطباعها فقد ثبت بها الخبر وصحت القراءة عن الرسول صلى الله عليه وسلم»[4].

الإمالة تلوين صوتي عند اللغويين يجنح إليه الأداء في بيئة صوتية تساعد على الانسجام، وعند القرّاء تعد من أصول القراءة في مقابل الفتح وهي في حقيقتها: «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحض، وقليلا وهو بين اللفظين »[5] فتأتي الإمالة في كميتين مختلفتين إحداهما يقترب تلفظها من الياء، والثانية قريبة الأداء من

1 - البقرة/33.

2 - ينظر: ابن خلويه، مختصر شواذ القرآن، ص11. والنحاس، إعراب القرآن، ص34. والكرماني، شواذ القراءات، ص58.

3 - أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص298.

4 - أبو عمرو الدّاني، الفتح والإمالة، تح: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2002، ص18.

5 - ابن الجزري، النشر، ص387-388.

الكسرة، وننبه إلى أنّ الاختلاف بين الفتحة والألف من جهة والكسرة والياء من جهة أخرى اختلاف في الكمية فقط.

وردت مصطلحات عديدة الإمالة ذكرها أحمد البيلي في القول: «ومن أسماء الإمالة: الكسر والبطح والإضجاع والتقليل والتلطيف وبين بين »[1] وأما في كتب القراءات فعبر عنها ابن الجزري مقترنة بكميتين في قوله: «نحو الياء كثيرا وهو المحض. ويقال له الكسر أيضا. وقليلا وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين »[2] ، فقد عبر القرّاء عن الإمالة بمصطلحات مختلفة تعبيرا منهم عن كميتين اثنتين فقط وهما: الميل الشدّيد نحو الكسر والقليل إليه أيضا.

يحدث بفعل الإمالة تماثل بين أصوات الكلمة وخاصة على مستوى الصوائت ويؤكد أبو عمرو الداني ذلك بقوله: «من اختار الإمالة من القرّاء والعرب، رغبة في أن يتناسب الصوت بمكانها ولا يختلف فيخف على اللسان، ويسهل النطق »[3] وبالتالي يقل جهد الأداء، وأما ابن الجزري فإنّه يرى أنّ فائدة الإمالة هي: «سهولة اللفظ وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال »[4] وقد ذكر أيضا استيتية أنّ هدف من أتوا بالإمالة قائلا: «إنّهم ينشدون بذلك تخفيفا من الجهد المبذول في النطق »[5] فهذه الآراء تصب كلها في مطلب الاقتصاد في الجهد. والمهم في هذه المحطة محاولة تقصي البعد الدلالي للإمالة في القراءات.

اختلف اللغويون حول الدور الدلالي للإمالة، فمنهم من يرى أنّه ليس لها تأثير على المعنى ولا تعدو أن تكون إلا تلوين صوتي تقتضيه البيئة الصوتية للكلمة، ومنهم من يرى

1 ـ الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت والدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط 1، 1988، ص177.

2 ـ المرجع السابق نفسه، ص387-388.

3 ـ الفتح والإمالة، تح: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ص13.

4 ـ النشر في القراءات العشر، ص391.

5 ـ القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص118.

أنّ للإمالة دور في إبراز المعنى، وقد أشار سمير شريف استيتية إلى ذلك في قوله: «وأما ارتباط الإمالة، أو عدم ارتباطها بالمعنى، فينبغي ألاّ نطلق الحكم بعدم ارتباط الإمالة بالمعنى بالإطلاق، وإن كانت شواهد ذلك قليلة. »[1] ويأتي فريق ثالث يذهب إلى أنّ الدلالة تعليلية تبحث عن العلة والسبب والكيفية. [2] وعلى إثر المعنى الأخير نسير مع الإمالة في مواضع مختارة من سورة البقرة.

أسباب الإمالة عند اللغويين والقرّاء عديدة، فنجد أبا عمرو يحددها في قوله: «اعلم أنّ الأسباب التي تجوز معها الإمالة سبعة: الكسرة، والياء، والانقلاب، والمشبه بالمنقلب من الياء، والإمالة للإمالة، والألف التي ينكسر ما قبلها أو بعدها في بعض الأحوال، والألف المتطرفة في ما كان على أكثر من ثلاث أحرف. »[3] فالسبب الرئيسي للإمالة الكسرة والياء إذ يقول ابن الجزري: «فأسباب الإمالة قالوا هي عشرة ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة، والثاني الياء... وللفرق بين الاسم والحرف فتبع الأسباب اثني عشر سببا والله أعلم»[4].

فأسباب الإمالة متنوعة بحسب صوت الأداء أولا، وعلى لغة القبيلة ثانيا. فوجودها في سورة البقرة في كلمات بعينها مكررة في غالبيتها، ولكن سنحاول تقصي البعض منها للاستشهاد بها. نبدأ من قوله تعالى: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[5] فنجد حمزة والكسائي وخلف والأعمش يقرؤون (**هدى**) بالإمالة عند الوقف، وأما الأزرق وورش ورد عنهما التقليل في ذلك.

1 ـ استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص46.

2 ـ ينظر: سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2008، ص257.

3 ـ الفتح والإمالة، ص22.

4 ـ النشر في القراءات العشر، ص389.

5 ـ البقرة/2.

فالإمالة جاءت لكون الألف أصلها ياء، ويقر مكي القيسي قائلا: "واعلم أنّ الألف الممالة تكون أصلية بدلا من ياء، فتميلها، لتدل بإمالتها على أصلها "[1] كما ذكر عن شروح الشاطبية أنّ: "حمزة والكسائي أمالا الألفات ذوات الياء وهي كل ألف متطرفة أصلية منقلبة عن ياء تحقيقا، أي أصلها الياء فأميلت لتدل على أصلها سواء وقعت في فعل نحو: **(هدى)**، أو وقعت في اسم نحو: **(الهوى)**"[2].

وردت قراءة الإمالة في قوله تعال: ﴿**وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ**﴾[3] عند أبي عمرو والداجوني وابن ذكوان من طريق الصوري، والدوري عن الكسائي، واليزيدي. كما قرأ ورش والأزرق بالتقليل.[4] وما التقليل إلاّ إمالة، فتمال الألف قبل الراء المكسورة بحيث يحدث الانسجام في اللفظة، ويقول ابن خلويه: "فالحجة لمن أماله: أنّ العرب في إمالة ما كانت الراء في آخره مكسورة رغبة ليست في غيرها من الحروف للتكرير الذي فيها، فلما كانت الكسرة للخفض في آخر الاسم، والألف قبلها مستعلية أمال ما قبل الألف، لتسهل له الإمالة، ويكون اللفظ من وجه واحد"[5] فهذه الإمالة ناجمة عن الكسرة اللاحقة للألف والراء المتصفة بالتكرير. ويقع الأمر السابق نفسه مع كلمات أخرى تحتوي على راء مكسورة بعد ألف نضعها على الجدول (16) الموالي:

الكلمة	الآية	قراءة الإمالة	قراءة التقليل	تعليل
بِالۡكَٰفِرِينَ	19	أبوعمرو ، وابن ذكوان من طريق الصوري، والدوري عن الكسائي، ورويس.	ورش من طريق الأزرق	اجتماع عدة كسرات إضافة إلى الراء

1 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ص168.

2 ـ عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص115-116.

3 ـ البقرة/7.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص38. وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص405. وأحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص376.

5 ـ ابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، ص66.

				المكررة.
ٱلنّار	39	أبو عمرو، وابن ذكوان من طريق الصوري، والداجوني والدوري عن الكسائي، وافقهم اليزيدي.	الأزرق وورش	الراء المكسورة بعد الألف.
مِّن دِيَٰرِكُمْ	84	أبو عمرو، وابن ذكوان من طريق الصوري، والدوري عن الكسائي.	الأزرق وورش بالفتح والإمالة.	كسرتان بينها الألف الممالة.
وَٱلنَّهَار	164	أبو عمرو وابن ذكوان والصوري والدوري والكسائي واليزيدي.	الأزرق وورش.	الكسرة البعدية في الراء المكررة.
جِبَارِكَ	259	أبو عمرو وابن ذكوان والدوري عن الكسائي، والدوري عن سليم، وهبة الله عن الأخفش.	الأزرق وورش.	الراء وكسرتها بعد الألف.
أنصار	270	أبو عمرو، وابن ذكوان من طري الصوري، والدوري عن الكسائي.	الأزرق وورش	الراء وكسرتها بعد الألف.

جدول . 16 .

كل هذه النماذج مقتبسة من كتاب معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب في الصفحات المذكورة على التوالي (56، 88، 141، 223، 371، 392)، ويذكر مكي القيسي أنّ دليل إمالتها من قوله: "وعلة من أماله أنّه لمّا وقعت الكسرة بعد الألف قرّب الألف نحو الياء، لتقرب من لفظ الكسر، لأن الياء من الكسر، ولم يمكن ذلك حتى قربت الفتحة التي قبل الألف نحو الكسر، فحسن ذلك ليعمل اللسان عملا واحدا متسفلا، فذلك أخف من أن يعمل متصعدا بالفتحة والألف، ثم يهبط متسفلا بكسرة الراء، وهو مع الراء أحسن"[1].

السببان السابقان معا هما ما سهلا الإمالة على رأي من قال: "ليس السبب في إمالة الأحرف السابقة هذا أو ذاك، بل إنّ هذه الأحرف أميلت من أجل كسرة الراء بعد الألف

1 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، 170-171.

وكسرة الراء تقوم مقام كسرتين »[1] فقوية أسباب الإمالة ووجب الانسجام والتخفيف. وتأتي الإمالة مع ذوات الراء لأجل الياء.

وردت قراءة الإمالة من سورة البقرة في كلمات ذوات راء لأجل ياء ونجملها على حسب ترتيبها في المصحف على الجدول (17) التالي:

الكلمة	الآية	قراءة الإمالة	قراءة التقليل	تعليل
نَرَى	55	في الوقف: حمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو. في الوصل: السوسي	ورش والأزرق	أصل الألف ياء
النَّصَٰرَىٰ	62	الألف بعد الراء: أبو عمرو وابن ذكوان من طريق الصوري، وحمزة والكسائي وخلف والداجوني.	ورش	أصل الألف ياء
أَسَٰرَىٰ	85	الألف الثانية: أبو عمرو والكسائي وابن ذكوان وخلف	الأزرق وورش	أصل الألف ياء
وَبُشْرَىٰ	97	أبو عمرو، وابن ذكوان من طريق الصوري وحمزة والكسائي وخلف	الأزرق وورش	ألف تأنيث والتأنيث له الكسر

جدول . 17 .

أميلت المواضع السابقة بسبب الألف ذات الأصل اليائي فورد أنّه: "فإن كان فيه راء قبل الألف، والألف أصلية أو زائدة، فكذلك حمزة والكسائي وأبو عمرو معهما على الإمالة فيه، وورش بين اللفظين، وذلك نحو: ((يرى، ونرى، وافترى، وأرى، وتتمارى، وأسارى، وسكارى، ونصارى))، ومنه ما فيه ألف تأنيث، فتمال، لأن التأنيث له الكسر والياء »[2] ، ووردت كلمات أخرى بالألف ليس فيها راء نضعها على الجدول (18) الموالي:

1 ـ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية – الإمالة في القراءات واللهجات العربية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2008، ص221.

2 ـ محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، ص 178.

الكلمة	الآية	قراءة الإمالة	قراءة التقليل	تعليل
ٱسْتَوٰى	29	حمزة والكسائي وخلف والأعمش	الأزرق وورش	أصل الألف ياء
أَبىٰ	34	حمزة والكسائي وخلف والأعمش	الأزرق وورش	أصل الألف ياء
فَتَلَقَّىٰ	37	حمزة والكسائي وخلف	الأزرق وورش	أصل الألف ياء
وَالسَّلْوَىٰ	57	حمزة والكسائي وخلف	أبو عمرو والأزرق وورش	ألف تأنيث
إِسْتَسْقَىٰ	60	حمزة والكسائي وخلف والأعمش	الأزرق وورش	أصل الألف ياء
ٱلْمَوْتَىٰ	73	حمزة والكسائي وخلف والأعمش	الأزرق وورش	ألف تأنيث
بَلَىٰ	81	حمزة والكسائي وخلف وشعبة عن عاصم	أبو عمرو والأزرق وورش	رسم الألف بالياء
ٱلْقُرْبَىٰ	83	حمزة والكسائي وخلف	أبو عمرو والأزرق وورش	رسم الألف بالياء
الْيَتَٰمَىٰ	83	حمزة والكسائي وخلف	أبو عمرو والأزرق وورش	ألف تأنيث
ٱلدُّنْيَا	85	حمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو	أبو عمرو والأزرق وورش	ألف تأنيث
مُوسَىٰ	51	حمزة والكسائي وخلف والأعمش	الأزرق وورش وأبو عمرو من روايتيه	ملحق بألف التأنيث
عِيسَىٰ	87	حمزة والكسائي وخلف	أبو عمرو والأزرق وورش	ملحق بألف التأنيث
سَعَىٰ	114	حمزة والكسائي وخلف والأعمش	الأزرق وورش	أصل الألف ياء

جدول –18 –

نكتفي بهذه النماذج ونقول أنّ كل الكلمات السابقة مقتبسة من معجم القراءات السابق الذكر ، وكتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني من باب الفتح والإمالة وبين اللفظين، وكتاب الوافي في شرح الشاطبية لعبد الفتاح عبد الغني القاضي

من باب الفتح والإمالة وبين اللفظين أيضا. وقد ورد في سورة البقرة كلمات أخرى ممالة منها﴿ **قَضى**﴾[1]، و ﴿ **تَرْضى**﴾[2]، و ﴿**إبْتَلى**﴾[3]، و ﴿**مُصَلّى**﴾[4]،﴿**إعْتَدى**﴾[5] قرأ هذه المواضع حمزة والكسائي وخلف بالإمالة والأزرق ورش بالتقليل. ونكتفي بهذه النماذج لندلل على أنّ قراءة الإمالة صحت في القراءات القرآنية.

يمكننا القول أنّ الإمالة في الغالب ليس لها دور في تغيير المعنى ولكن باستطاعتنا عزوها إلى اللهجات العربية التي تحدثت بها. فالدلالة الأساسية للإمالة هي نسبتها إلى القبائل التي نطقت بها، فنجد من يقول: "لما كانت طبائع العرب مختلفة لاختلاف الطبيعة والبيئة، وعوامل أخرى، فمنهم من يسكن البادية، ومنهم من يسكن الحضر ولكل بيئة من البيئتين خصائصها التي تتميز بها، وتعرف عنها "[6] ، فقد نسب إبراهيم الإمالة لقبائل نجد في قوله: "ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقها، وأشهرها: تميم وأسد وطئ وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب. "[7]

وفي النهاية الإمالة تنوع صوتي يميز منطقة جغرافية بعينها من العالم العربي، إلاّ أنّ البعض يرى بإمكان الإمالة إحداث تغيير دلالي على قول إستيتية: "وأما ارتباط الإمالة، أو عدم ارتباطها بالمعنى، فينبغي ألا نطلق الحكم بعدم ارتباط الإمالة بالمعنى على الإطلاق "[8] الإطلاق"[8] وذلك ما وقف عليه في قراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ**

1 - البقرة/117.
2 - البقرة/120.
3 - البقرة/124.
4 - البقرة/125.
5 - البقرة/178.
6 - حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، القراءات الشاذة – دراسة صوتية ودلالية -، مج1، دار الصحابة للتراث، ط1، طنطا، 2006، ص69.
7 - في اللهجات العربة، ص53.
8 - القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معصر، ص118.

﴿فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[1] حيث قرأ أبو عمرو بن العلاء ((**أعمى**)) الثانية بالإمالة والأولى بغير الإمالة، وعلل ذلك بأنّ بني تميم تميلها في الوصف.[2] الوصف.[2] ولا يتوقف الأمر على الإمالة بل يتعداه إلى مظاهر أخرى في الصوائت يأتي على رأسها الحذف.

دلالة حذف الصوائت:

تقدم ذكر حذف الحركة من أواخر الكلم التي انبثق عنها تغير البنية المقطعية بوجود سكون عارض للوقف ليؤمن بذلك أداء مقتصد في الجهد، كما مرّ معنا من قبل تخفيف بإتباع الحركة لمثلها لرفع ثقل توالي حركتين مختلفتين كمرحلة سابقة لتقليل الجهد قبل حذف الحركة نهائيا من وسط الكلمة. وتلجأ لهجات بعينها ومن وراءها قراءات قرآنية إلى حذف كامل للحركة، أو تقصير الصوائت أحيانا أخرى.

جاءت قراءات بحذف الصوائت في صيغ معينة، ورد البعض منها في سورة البقرة، ويقول على إثر ذلك أحمد طه حسانين سلطان: «من مظاهر التغيير في أصوات الكلمة العربية حذف بعض الصوائت منها لعلة قامت في نفوس العرب وأذهانهم ممن جبلوا على الإسراع في النطق والأداء اللغوي، ليحققوا من ذلك هدفا معينا، هو في أغلب الأحيان التخفف من عبء تلك الحركة »[3] فلم يقوموا بالحذف إلا مراعاة للاقتصاد في الجهد عند الأداء.

ومن الألفاظ التي تضمنت حذف الصائت في سورة البقرة نجد قوله تعالى:

﴿**فَنِعِمَّا**﴾[4] فقرأها أبو عمرو وقالون ونافع في غير رواية ورش وعاصم في رواية أبي بكر

1 - الإسراء/72.

2 - ينظر: سمير شريف استيتية، ات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معصر، ص117-118.

3 - قراءة يحي بن وثاب، ص91.

4 - البقرة/271.

والمفضل وأبو جعفر وشيبة واليزيدي والحسن وحماد ويحي عن أبي بكر **(فَنِعْمَّا)** بسكون العين.[1] وقد ذكر صاحب البحر أنّ قراءتهم جاءت بإخفاء حركة العين تخفيفا. [2]ويقول ابن خلويه: "والحجة لمن أسكن العين وجمع بين ساكنين فاحتمل ذلك، لأنّه جعل ((**نعم**)) و ((**ما**)) كلمة واحدة، فخففها بإسكان"[3].

وقبل التسكين يأتي فتح الفاء وكسر العين ((نَعِم)) على الأصل، ثم تكسر هذه الفاء إتباعا على لغة من كسر، لأنّه إذا كانت العين حرفا حلقيا تكسر ويقرأ بالإخفاء. ويقول في ذلك مكي القيسي: "وحجة من أخفى حركة العين، أنه كسر النون لكسرة العين وأسكن العين استخفافا، لتوالي كسرتين "[4]. وبتعدد مواقع الحذف في مواضع أخرى، نقوم بحصر بعض النماذج منها و تسجيلها على الجدول (19) التالي:

الكلمة	الآية	قراءتها	*أصحابها*	تعليل
فِي ظُلُمَٰتٍ	17	**ظُلْمَات**	الحسن وأبو السمال والأعمش	من استثقل يفتح وأخرى يسكن.
رَغَداً	58	**رَغْدًا**	النخعي ويحي بن وثاب	هي لغة تميم
يَامُرُكُمُ	67	**يَأْمُرْكُم**	أبو عمرو والسوسي والدوري	حذف الضّمة من الرّاء لثقلها
بِالرُّسُل	87	**بِالرُّسْل**	الحسن ويحي بن يعمر والمطوعي.	للتخفيف عند توالي الحركات.
ٱلْقُدُس	87	**القُدْس**	مجاهد وابن كثير وابن محيصن	للتخفيف عند توالي ضمتين.

1 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص393 – 394.

2 ـ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص338.

3 ـ ابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيدي، ص47.

4 ـ الكشف، ج1، ص316.

خُطُوَات	168	**خُطْوَات**	نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة والبزي وأبو ربيعة وخلف والحسن وابن فليح وابن كثير والأعمش وعيسى الهمداني وابن إدريس وأبو مجلز ومبشر بن عبيد وشيبة.	إسكان الطاء لغة تميم وناس من قيس.
الْحُرُمَٰت	194	**الحُرْمَات**	الحسن البصري	بإسكان الراء على الأصل.
قَدَرُه	236	**قَدْرُه**	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب برواية رويس وزيد.	حجة لمن أسكن أراد المصدر، ومن حرّك أراد الاسم، وقيل هما لغتان.
بِنَـهَـر	249	**بِنَهْر**	مجاهد وحميد الأعرج وأبو السمال.	قيل هي لغة، والكوفيون يسكنون ما كانت عينه حرف حلق.
فَـنَـظِـرَه	280	**فَنَظْرَة**	أبو رجاء ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة والوليد بن مسلم عن ابن عامر.	هي لغة تميمية، يقولون في كَبِد كَبْد.

الجدول – 19 –

كل هذه الكلمات السابقة وغيرها مما لم نذكر، حدث فيها الإسكان تلبية للهجات عربية، ومعظم الاقتباسات ترجع لغرض التعليل جاءت في كتب تراثية مهمة نذكرها على التهميش التالي.[1] وقد يحدث الحذف جزئيا فتقصر الصوائت الطويلة لتبقى الحركة القصيرة دالة عليها، ويتجلى أمر الحذف في الواو والياء والألف. ومن أمثلة حذف الصوائت الطويلة

1 ـ ينظر: ابن جني، المحتسب، ج1، 136. وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص: 53، 81، 120، 147، 148، 230، 266، 331، 353، 408. والقرطبي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، تح: عبد الله بن عبد المحسن، التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، القاهرة، 2001. وأبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص:446، 651، وج2، ص: 77، 243، 273، 354. ومحمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءت السبع وعللها وحججها، ج1، ص253. وابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، ص44. والنحاس، إعراب القرآن، ص104.

في القرآن الكريم في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**فُلْتُم**﴾[1] فيظهر جليا تقصير الصائت الطويل الواو والإبقاء على جزء منه وهو الضمة لأنّ الصيغة الأصلية هي (قُولْتم)، فعند التقاء ساكنين يحذف الواو على رأي المتقدمين. كما ورد قوله تعالى: ﴿**ادْع**﴾[2] إذ يقول النحاس لأجله: "حذفت الواو لأنّه طلب ولغة بني عامر "[3] وهو في حقيقته تقصير للصائت الطويل فتبقى منه الضمة فقط دالة على نوعيته.

يحذف جزء من صائت الياء في مواقع من سورة البقرة، فقد ورد ذلك مع ياءات الزوائد نذكر منها قوله تعالى: ﴿**ٱلدَّاعِۖ إِذَا دَعَانِۖ**﴾[4] فتحذف الياء أو بالأحرى تقصر الحركة الطويلة ويبقى على جزء منها وهي الكسرة للدلالة على الياء. قرأ عاصم وحمزة والكسائي والأعمش بحذف الياء من ((**الدّاع**)) في الوقف والوصل، وقرأ نافع من رواية ورش وإسماعيل وأبو جعفر وشيبة وأبو عمرو واليزيدي وقالون بخلف عنه بإثبات الياء وصلا وحذفها في الوقف.[5]

وأما اللفظ الآخر ((**دعان**)) قرأه ورش عن نافع وأبو عمرو وأبو جعفر واليزيدي وشيبة وقالون بخلف عنه بإثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف. [6]وابن عامر وعاصم وخلف فقاعدتهما الحذف في الحالين. [7] فيقول مكي القيسي في شأن هذه الياءات: "حذفت الياء فيها من المصحف استخفافا، لدلالة الكسرة التي قبلها عليها، وهي لغة للعرب

1 - البقرة/55.
2 - البقرة/68.
3 - النحاس، إعراب القرآن، تح: خالد العلي، ص47.
4 - البقرة/186.
5 - عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص257.
6 - المرجع السابق نفسه، ص158.
7 - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص497.

مشهورة»[1] فيأتي الحذف والتقصير كمظهرين للتخفيف في الأداء والاقتصاد في الجهد. ويبقى أمر الحذف ذو مرجعية لغوية تميز القبائل العربية.

دلالة نقل الصوائت:

ارتبط مصطلح النقل عند الصرفيين بأحرف العلة، فالقصد منه أن ينقل الصائت من حرف علة متحرك إلى حرف صحيح ساكن قبله، فهو لا يحدث إلاّ في الواو والياء. [2] نتعامل مع الواو والياء الشبه صائتين على أنهما صامتان يقبلان الحركات. فإذا رجعنا إلى لفظة **(يَصُوم)** التي أصلها (**يَصْوُم)** على وزن يَفْعُل نلمس نقل ضمة الواو إلى الصاد، فتتغير البنية المقطعية للكلمة ويظهر أنّ الضمة المنقولة قد أشبعت وتتجلى بذلك خفة النطق.

ونجد نقل الكسرة في مثل (**يَبِيع)** التي أصلها **(يَبْيِع)** من الياء الشبه صائتة إلى الباء قبلها، فيحدث التخفيف ويتجسد الاقتصاد الصوتي، وتذكر فدوى محمد حسان: "أنّ الهدف من هذا النقل هو التخلص من الثقل، وهذا ما عهدناه في اللغة العربية، كلما وجد ثقلا في صيغة صرفية عملت على التخلص منه، تقليلا للجهد العضلي، وجنوحا نحو السهولة واليسر"[3].

ويتم نقل الصائت في كل فعل مضارع أجوف متحرك العين، ومنه قوله تعالى:

﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ**﴾[4] ، فيظهر أنّ حركة الواو من (**يَقْوُلُ)** نقلت إلى القاف قبلها، وتتصرف الواو كأنّها الصائت الطويل المصاحب للقاف لتحدث الخفة في اللفظ ويتم الاقتصاد في الجهد. وجاء قوله تعالى: ﴿**تَصُومُوا**﴾[5] فأصل الفعل (**يَصْوُم)**، نقلت

1 ـ مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص331.

2 ـ ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص166.

3 ـ فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص100.

4 ـ البقرة/8.

5 ـ البقرة/184.

حركة الواو إلى الصاد.[1] واتفق أهل الأداء على كون النقل من قواعد اللغة في هذا النوع من الأفعال بشروط وضعها أهل الصرف يمكن الرجوع إليها في مصنفاتهم.

يحدث نقل الصائت إذا كان فتحة مع قلب الواو أو الياء إلى ألف، لتتناسب مع الفتحة ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾[2] والأصل هنا (**أَقْوَمَ**)، وليخف النطق ويقتصد في الجهد تنقل الفتحة من الواو إلى القاف ثم تقلب ألفا لمتطلبات الانسجام. ويقع النقل في الاسم المشابه للفعل الأجوف المضارع المتحرك العين ومنه قوله عز وجل: ﴿**مَّقَامِ**﴾[3] وأصل اللفظة (**مَقْوَم**)، فتم نقل فتحة الواو إلى القاف قبلها ثم قلبت الواو ألفا، فيظهر أنّ هناك صائت طويل بعد القاف فيقع التخفيف والاقتصاد.

ويقول مكي القيسي: "نقلت الضمة، التي على الواو، إلى ما قبلها، وسكنت الواو. وكذلك أجمعوا على ترك الإشارة إلى كسرة الياء، ثم نقلت الكسرة إلى الحرف الذي قبلها، وسكنت الياء"[4] ولا تتجاوز الدلالة في المواقع السالفة حد تعليل ظاهرة النقل صرفيا، ويبقى الحديث عن حروف العلة مع ظاهرة القلب.

دلالة قلب الصائت:

تحدثنا في بداية الفصل عن الإتباع الذي يمثل نوعا من قلب الحركة إلى أخرى. كما يعد القلب أيضا من الظواهر الملازمة للعلل، تناوله الصرفيون في باب الإعلال، الذي سنسلط عليه الضوء فيما اتصل بالصوائت. وتعمد اللغة العربية إلى القلب ليتم الانسجام

1 ـ ينظر: عبد الرحمان بن محمد الأنباري، الوجيز في علم التصريف، تح: علي حسن البواب، دار العلوم للطباعة والنشر، مصر، 1982، ص59. وتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994، ص276.

2 ـ البقرة/177.

3 ـ البقرة/125.

4 ـ مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ص230.

الصوتي بين صوامت الكلمة وصوائتها. [1]فيقع القلب في الأفعال معتلة العين على قول صاحب التبصرة والتذكرة: «فأمّا الواو والياء: فتنقلب منهما الألف إذا وقعتا في موضع حركة وقبلهما فتحة، وذلك إذا كانتا في موضع العين »[2] وسبب ذلك ثقل الحركة على الواو والياء، ويمثل عليه بنحو: قام، وخاف، وطال، وباع، وهاب التي أصلها: قَوَمَ، وخَوِفَ، طَوُلَ، وبَيَعَ، وهَيِبَ.[3] يحدث في النماذج السابقة قلب شبه الصائت إلى الصائت الطويل من جنس الفتحة السابقة لذلك العنصر المنقلب، ولا يكون ذلك إلا مطلبا لتحقيق الاقتصاد ورفع الثقل.

وردت بعض الأفعال السابقة الذكر من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ**﴾[4] ، وقوله عز وجل: ﴿**فَتَابَ**﴾[5] ، وقوله تبارك: ﴿**فَمَنْ خَافَ**﴾[6] ، وقوله جل جلاله: ﴿**وَمَنْ عَادَ**﴾[7]، وحقيقة قلب الأفعال (قَوَلَ، تَوِبَ، خَوِفَ، عَوَدَ): هي في حقيقة الأمر حذف عين الفعل ثم إشباع الفتحة من الصامت السابق ليصبح صائت طويل وتؤمن الخفة في الأداء، ويتحقق ذلك الاقتصاد بآليات التصريف العربية.

ودعاهم هذا القلب على قول صاحب التبصرة والتذكرة: «استثقال الحركات على الياء والواو لكثرة هذه الأفعال في كلامهم، والشيء الكثير الدور في الكلام يتضاعف ما فيه من الثقل»[8] وكان القلب في ذلك لما فيه من رفع للالتباس بين الفعل والمصدر في مثل قَوْل وقَوَلَ.[9] ولم تتطرق مصنفات علم القراءات إلى مسألة نقل الصوائت لأنّها من صميم علم

1 ـ ينظر: فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص77.

2 ـ أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصّيمريّ، التبصرة والتذكرة، ج2، دار الفكر، ط1، دمشق، 1982، ص816.

3 ـ ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، تح: علاء حسن أبو شنب، ج1، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، 2012، ص45.

4 ـ البقرة/30.

5 ـ البقرة/54.

6 ـ البقرة/182.

7 ـ البقرة/275.

8 ـ أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصّيمريّ، التبصرة والتذكرة، ج2، ص816

9 ـ المرجع السابق نفسه، ص817.

التصريف العربي، وعالجنا قلب الصوائت إلاّ تلميحا لنبرز ارتباطها بالاقتصاد الصوتي، ولا نتوقف عند هذه المحطة بل نحاول تتبع مظاهره مع الصوامت فيما بقي من البحث.

تصدير:

تأخذ الصوامت مكانة مهمة في التشكيل الصوتي لسبب تنوع أصواتها وجريانها في الكلام، وقد تناولنا تعدادها وحددنا الخصائص النطقية والأكوستيكية انطلاقا من صعوبة الأداء في كل منها. فظهر لنا وجود أصوات صعبة الأداء انطلاقا من نقطة حدوثها، وكذلك من حيث الصفات القوية التي تتميز بها. ولقد تناول الدرس اللغوي العربي الأصوات من منظور دلالي في الإفراد والتركيب، فتحدث ابن جني عن مناسبة الأصوات الهجائية للمعاني في ذاتها عندما ساق أمثلة على ذلك.

ذكر ابن جني في الخصائص ألفاظا عديدة يتغير فيها المعنى بتغير صفات الصوت المستعمل فيقول: «ألا تراهم قالوا قضم في اليابس، وخضم في الرّطب، ذلك لقوّة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف.»[1] الاستبدال الأخير بين الحرفين مكّن من تغيير الدلالة على رأي المؤلف، وعليه يبدو أنّ للحرف أو الصوت دلالة في ذاته، «فقد لاحظ ابن جني أن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار فكأن هناك اختيارا مقصودا للصوت ليؤدي المعنى المغاير لما يؤديه الصوت الآخر»[2] فهذا مذهب ابن جني الذي جعل أنّ بين الأصوات الهجائية ومعانيها مناسبة. فأثّر في من تبعوه حتى حقق اللغويون نتائج عن القيمة الدلالية للصوت مفردا."[3]

ويرى ابن جني في موقع آخر بمناسبة الألفاظ لمعانيها في اللغة العربية ناقلا الرأي عن غيره من قوله: «وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب،

1 ـ الخصائص، تح: محمد علي النجار، ص65.

2 ـ بوزيد ساسي هادف، الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة حوليات التراث، عدد 09، جامعة قالمة، 2009، ص107.

3 ـ ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص148.

وصهيل الفرس، ونزِيب الظبي، ونحو ذلك. ثم وُلِّدَتِ اللغات عن ذلك فيما بعد. »[1] فهذه نظرية محاكاة أصوات الطبيعة تبنتها دراسات دلالية قديمة وحديثة، وهذه نظرية دلالية مكملة لنظريات نشأة اللغة الأخرى التي لقيت استحسان علماء اللغة. فالألفاظ تعبر عن المعاني في نظام اللغة ويضاف إليها دلالات أخرى لا تقل أهمية في تحديد المعنى بشكل كامل.

يضاف إلى دلالة الألفاظ دلالات مرتبطة بالفونيمات الفوق تركيبية، التي يمثلها النبر والتنغيم والوقف. فيأتي النبر على رأس الفونيمات الثانوية ليضيف دلالة لهذا المظهر الصوتي، ويعتبر النبر في مفهومه اللغوي على حدّ ما جاء في لسان العرب: «النَّبْرُ بالكلام: الهمز. قال: وكُلُّ شيء رفع شيئا فقد نَبَرَهُ. والنّبر: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبُرُهُ نبرا هَمَزَهُ »[2] وبالتالي جعل النبر مرادفا للهمز، فيرى القدماء أنّه: «وضوح صوتي يتمثل في تحقيق الهمزة»[3].

ونلمس عند أكثر من باحث من المحدثين أنّ النبر: «هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد»[4] فالتوصيف هنا ربط النبر بما يصاحبه من أوضاع فيزيولوجية، ويرى ماريو باي بأنّ: «النبر معناه أنّ مقطعا من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيدا من الضغط أو العلو، أو يعطي زيادة أو نقصا في نسبة التردد »[5] فقد ربط النبر في القول السابق بالخصائص الفيزيائية للصوت . ومن هنا نستخلص أنّ النبر ينظر إليه من الزاويتين المرتبطتين بتشكل الصوت وهما البعدين العضوي والفيزيائي.

1 ـ ابن جني، الخصائص، ج1، ص46- 47.

2 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة: نبر، ص4323.

3 ـ مكي درار وسعد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية، ص157.

4 ـ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص138.

5 ـ ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، القاهرة، 1998، ص93.

إنّ وَسْم النبر بالنشاط في جميع أعضاء النطق "[1]" يجعلنا نقر بالتقارب بينه وبين مظهر أداء الهمز الذي يقول فيه عبد الصبور شاهين: «معناه متصل بالنبر أو الضغط »[2] ولما كان نطق القرّاء للهمز «إلا تقليدا أخذوه عن فصحاء العرب، ممن كانوا يعتمدون شدّة النبر أو التوتر، أعني تحقيق الهمزة »[3] فتباينت الاختلافات فيما بينهم على حسب لهجاتهم، فقد اعتمد فريق منهم تخفيف الهمزة ليلبي مبدأ الاقتصاد الصوتي في الأداء القرآني خاصة.

دلالات تخفيف الهمز:

احتل الهمز عناية علماء القراءات والتجويد لما مثله هذا الصوت من صعوبة في الأداء، فقد أقرّ أغلبهم على تخفيفه بطرق وردت عند قرّاء بعينهم « ثم تواترت القراءة بتخفيف الهمز في الكتاب المبين، لكن القرّاء أو الرواة لم يجمعوا على ذلك فهناك اختلاف بين أعلام كل فئة»[4] فتعددت كيفيات أداء الهمزة بين القرّاء لأجل تخفيفها، فيقول حسام الدين البهنساوي: « بيد أن الهمزة قد تسهل وحينئذ يكون إغلاق الأوتار الصوتية إغلاقا يسمح بمرور الهواء، فتهتز الأوتار الصوتية، وتتذبذب وحينئذ يكون الصوت الخارج صوتا مجهورا، وليس هو صوت همزة القطع (الوقفة الحنجرية بالطبع) ولكنه تضييق حنجري أشبه بأصوات العلة. »[5] فهذا توصيف معين لطرق تخفيف الهمز.

الهمز المفرد:

يقول مكي القيسي: «الهمزة على انفرادها حرف بعيد المخرج جَلْد صعب على اللاّفظ به، بخلاف سائر الحروف، مع ما فيها من الجهر والقوّة، ولذلك استعملت العرب في الهمزة

1 ـ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص138.

2 ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ـ رؤية جديدة في الصرف العربي ـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص173.

3 ـ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ظل علم اللغة الحديث، ص29.

4 ـ عبد المهدي كايد أبو شقير، تحليل أكوستيكي لفوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في رواية نافع، ص 68.

5 ـ علم الأصوات، ص81.

المفردة ما لم تستعمله في غيرها من الحروف، فقد استعملوا فيها: التحقيق، والتخفيف، وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها في مواضعها، وذلك لاستثقالهم لها»[1] وهذه طرق الاقتصاد الصوتي الذي عرفته الهمزة عند القرّاء ليقل جهد أداء التلاوة.

إبدال الهمزة:

قد تقع الهمزة ساكنة وما قبلها متحرك، فحكمها الإبدال بحرف مدّ من جنس الحركة التي قبلها، فتبدل بعد الفتح ألفا، وبعد الضم واوا، وبعد الكسر ياء. [2] وظاهرة الإبدال وردت في القراءات القرآنية بغية الاقتصاد في الجهد عند الأداء ومن أمثلة الألفاظ التي جاءت في سورة البقرة للهمزة الساكنة وما قبلها متحرك نبدأه بقوله تعالى: ﴿يُومِنُون﴾[3] وما كان من عائلة الكلمة، التي قرأها حمزة بالإبدال حين يقف، وروى ورش عن نافع ترك الهمز الساكن، كما لم يهمز أبو عمرو الهمزة الساكنة عندما أدرج القراءة وروي الحكم نفسه عن عاصم."[4]

ووقع الحكم نفسه في ألفاظ مماثلة منها قوله تعالى: ﴿فَاتُوا﴾[5] وقوله: ﴿يُوب﴾[6] ﴿يُوب﴾[6] وقوله: ﴿يُوتِ﴾[7] ، وقوله: ﴿يَّاتِيَكُم﴾[8] الذي قرأه ورش والسوسي وأبو جعفر بإبدال الهمزة الساكنة ألفا في الحالين، وقرأ بالإبدال حمزة في الوقف. [9] كما قرأت

1 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص72.

2 ـ ينظر: ابن الجزري،النشر في القراءات العشر، ص292. وحمدي سلطان حسن أحمد العدوي، القراءات الشاذة دراسة صوتية دلالية، ص207.

3 ـ البقرة/3.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص30.

5 ـ البقرة/23.

6 ـ البقرة/246.

7 ـ البقرة/247

8 ـ البقرة/248.

9 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص65.

الألفاظ من قوله عز وجل: ﴿يُوخَذُ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿تَاخُذُهُ﴾[2]، و ﴿بَاذَنُوا﴾[3] ، و﴿يَاب﴾[4] فكل هذه الألفاظ فاءها همزة ساكنة تبدل حرف مد من جنس الحركة على قول القرّاء. والحقيقة أنّ الهمزة تبدل حركة من نفس جنس حركة الصامت الذي يسبقها فتلتقي حركتان من الطبيعة نفسها التي تكافئ الحركة الطويلة المناسبة، فإن كانت فتحتين فهي إذا ألف، وأما الضمة والضمة يمثلهما واو، والكسرة مع الكسرة تصبحان ياء. وتفسر الظاهرة بحذف الهمزة ومطل حركة الصامت قبلها.[5]

وتبدل الهمزة الساكنة أيضا في المواقع الأخرى من صيغة اللفظ، فقد قرأت الكلمات التالية بالإبدال: ﴿أَنْبِيئُهُم﴾[6] فقرأها الحسن والأعرج وابن أبي عبلة وابن عامر والأعمش **(أَنْبيهِم)** بإبدال الهمزة ياء وكسر الهاء. [7] وأما ﴿ شِيئْتُمَا﴾[8] أبدل الهمزة الساكنة منها ياء أبو عمرو ويعقوب بخلاف عنهما، وأبدلها وصلا ووقفا السوسي وأبو جعفر، وحمزة أبدلها في الوقف لتصبح عندهم **(شِيتُما)**.[9] وأما كلمة ﴿ٱلنَّبِيّـِۧـيـن﴾[10] قرأها الجمهور بدون همز

1 - البقرة/48.

2 - البقرة/255.

3 - البقرة/279.

4 - البقرة/282.

5 - ينظر: حمزة بوجمل، الاقتصاد اللغوي في المستوى الصوتي – دراسة نظرية تطبيقية في سورة الكهف - ، مذكرة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2009، ص152.

6 - البقرة/33.

7 - ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص77. وأبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص298.

8 - البقرة/35.

9 - ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص81.

10 - البقرة/61.

(**النبيين**)[1]، ويحتمل أن تكون مأخوذة من (النباوة) التي بمعنى الارتفاع لارتفاع أمر النبي عليه الصلاة والسلام.[2]

قد وردت قراءة كلمة ﴿**جِيءَ**﴾[3] بإبدال الهمزة ياء عند ورش من طريق الأصبهاني وأبو جعفر وأبو عمرو والسوسي، وكذا أقرها حمزة في الوقف. [4] وقد قرأ أبو عمرو كلمة ﴿**فَادَّارَأْتُم**﴾[5] بإبدال الهمزة ألفا (**فَدّارَاتم**) ووافقه حمزة في الوقف، وأما لفظة ﴿**بِيسَمَا**﴾[6] قرأها نافع وورش وأبو عمرو وأبو جعفر والسوسي بإبدال الهمزة ياء وكذلك قرأها حمزة في الوقف.[7] وكل هذه الاختيارات مصدرها لهجي فيرى ابن خلويه أنّ: "الحجة لمن تركه: أنّه نحا التخفيف، فأدرج اللفظ، وسهّل ذلك عليه سكونها وبعد مخرجها، وكان طرحها في ذلك لا يخل بالكلام ولا يحيل المعنى"[8].

ولم يكن أمر التخفيف حكرا على الهمزة الساكنة فقط، بل وردت قراءات بإبدال الهمز المفرد المتحرك، فإذا كانت الهمزة محركة بالفتح فإنّها تبدل من جنس الحركة السابقة لها، فإذا سبقها ضم أبدلت واوا ومثله قوله تعالى: ﴿**فَلْيُؤَدّ**﴾[9] قرأ ورش وأبو جعفر بإبدال الهمزة واوا، ووافقهم حمزة في الوقف. [10] إذ يقول صاحب البحر: "يجوز إبدال همزة (**فليُوَدّ**) واوا لضمة ما قبلها"[11] فمطلب الإبدال عند من يبدل هو الضمّة السابقة للهمزة.

---

1 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص115.

2 ـ ينظر: ابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، 1979، ص81.

3 ـ البقرة /71.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص127. وعبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ص81.

5 ـ البقرة/72.

6 ـ البقرة/90.

7 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص150.

8 ـ ابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، ص64.

9 ـ البقرة/283.

10 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص425. وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص295.

11 ـ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2، ص372.

وقد وردت كلمة أخرى من سورة البقرة تبدل فيها الهمزة واوا، وهي قوله تعالى: ﴿يُؤَاخِذُكُم﴾[1]، أبدل الهمزة واوا مفتوحة ورش وأبو جعفر وهي لغة اليمن.[2] كما قرأ قوله تعالى:﴿لِيَلا﴾[3] نافع وورش (لِيَلاّ) بإبدال الهمزة ياء مفتوحة للتخفيف،[4] فيوضح ابن ابن خلويه علة ذلك في قوله: "والحجّة لمن خفف: أن العرب تستثقل الهمز ولا زيادة معه، فلما قارن الهمزة لام مكسورة، واجتمع في الكلمة كسر اللام وزيادتها، ثِقَلُ الهمز ليّنها تخفيفا، وقبلها ياء للكسرة التي قبلها"[5].

وإبدال الهمزة المفتوحة بعد صامت مضموم أو مكسور وضحه مكي القيسي في قوله: "وعلة ذلك أنها لمّا لم يمكن إلقاء حركتها على ما قبلها، إذ هو متحرك، ولا تلقى حركة على حركة، ولم يكن فيها أن تجعل بين بين، لأنها لو جعلت بين بين لجعلت بين الهمزة والألف، والألف لا يكون قبلها ضم ولا كسر "[6] ، إذا الهمزة المفتوحة المضموم أو المكسور ما قبلها تخفف بالبدل وجوبا لامتناع التخفيف بين بين فيجري فيها البدل بحرف من جنس حركة ما قبلها."[7]

تخفيف الهمز بالنقل:

تميز الأداء القرآني بظاهرة النقل في الهمز، وهو في اصطلاح علماء القراءات والتجويد تحرك الحرف الساكن الصحيح بحركة الهمزة بعده مع حذف الهمزة." [8] فهو إذا

1 ـ البقرة/225.

2 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص150. وأحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر،ص203.

3 ـ البقرة/150.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص215. وابن خلويه، مختصر شواذ القرآن، ص17.

5 ـ ابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، ص90.

6 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص105.

7 ـ ينظر: سلوى محمد عمر عرب، الهمزة دراسة لغوية وصرفية ونحوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، 1986، ص85.

8 ـ محمد بن موسى الشرويني، تجويد القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع بطريق الأزرق، ص124.

متعلق بالهمزة المتحركة المسبوقة بساكن، وقد عرف به ورش على ما جاء نظم حرز الأماني:"[1]

وَحَـرِّكْ لِوَرْشٍ كُلَّ سَاكِـنِ آخِـرٍ صَحِيحٍ بِشَكْلِ الْهَمْزِ واحْذِفْهُ مُسَهِلاَ

ولا يتم النقل إلاّ بشروط وهي ثلاثة على قول صاحب الوافي: " الأول: أن يكون الحرف المنقول إليه حركة الهمز ساكنا، والثاني: أن يكون الساكن آخر الكلمة، والهمز أول الكلمة التي تليها، والثالث: أن يكون هذا الحرف الساكن صحيحا بأن لا يكون حرف مد "[2] وقد يقع الساكن تنوينا ومثاله ﴿عَذَابٌ آلِيمٌ﴾[3] نقل ورش حركة الهمزة إلى الباء ثم حذف الهمزة ((**عذابُنَ ليم**)).[4]وبالتالي يتم التخفيف بإسقاط أداء الهمزة في هذا النوع من المواقع.

ويتم حذف الهمز ونقل الحركة في لام التعريف ومنه ﴿وَبِالآخِرَه﴾[5] ، فقد قرأها ورش ونافع بغير همز، وذلك بحذفها ونقل الحركة إلى اللام، وصورة هذه القراءة ((**بلاخرة**)).[6] ((**بلاخرة**)).[6] وكذلك سُجل النقل في كلمة ﴿الْأَرْض﴾[7] فقرأها ورش ((**لَرْض**)) بنقل حركة الهمزة إلى اللام الساكنة قبلها فتصبح مفتوحة، وتسقط الهمزة من اللفظ لسكونها. "[8] وتمت كذلك قراءة ﴿أَنَس﴾[9] عن نافع بوجهين، أولهما: بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام

1 ـ الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع (الشاطبية)، عنا: إسماعيل الشرقاوي وأبو عبد التواب عبد المجيد رياش، ص 56.

2 ـ عبد الفتاح عبد الغني، الوافي في شرح الشاطبية، ص85.

3 ـ البقرة/10.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص43. وأحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج1، ص213.

5 ـ البقرة/4.

6 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص32.

7 ـ البقرة/11.

8 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص45.

9 ـ البقرة/71.

((قالوا لَان)) ، والوجه الثاني: بحذف الواو من قالوا لتصبح صورة القراءة ((قالُ لَان)) التي وردت عن ورش بتخفيف الهمز والحذف."[1]

فالقراءة الأخيرة صحت عن أهل المدينة فذكر مكي القيسي أصل الكلمة في قوله:

«قيل أصله (آن) فعل ماض، ودخلت عليه الألف واللام، وألف الاستفهام. والألف واللام زوائد فيها، فثقلت الكلمة، إذ خالفت سائر ما فيه الألف واللام الداخلتان على همزة، فخفف قالون الهمزة الثانية، فألقى حركتها على لام التعريف كورش كذلك. »[2] وقد تعاملوا مع الألف واللام الداخلة على الألفاظ كالمنفصل مما بعدها « فصار ذلك بمنزلة ما هو من كلمتين، فأجراه في إلقاء الحركة على الساكن مجرى ما هو من كلمتين »[3] ومظهر حذف الهمزة في الأداء لا يتوقف على النقل بل يتجلى في كلمات مخصوصة برزت عند قرّاء بعينهم.

تخفيف الهمز بالحذف:

وتسقط الهمزة مع حركتها في ألفاظ مخصوصة، فإن كانت الهمزة مضمومة بعد كسر وبعدها واو فإنّ أبا جعفر يحذفها وحركتها ويضم ما قبلها وذلك في مثل كلمة ﴿**مُسْتَهْزِءُون**﴾[4] فقرأها على اللفظ ((**مستهزُون**)) وذلك في الوصل والوقف، أما حمزة فيقف فيقف بالتسهيل فيها بينها وبين الواو. "[5] فعلة ذلك عند حمزة أنّه عندما «أبدل الهمزة ياء استثقل الضمة عليها فحذفها ثم حذف الياء لالتقاء الساكنين، ثم ضم ما قبلها لأجل الواو»[6]

1 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص126. وأبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، ص48.

2 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص91.

3 ـ المرجع السابق نفسه، ص90.

4 ـ البقرة/14.

5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص48.

6 ـ أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج1، 205.

وقرأ بعضهم ((**مستهزِيون**)) بقلب الهمزة ياء مضمومة وهم يزيد بن القعقاع وحمزة والأخفش."[1] فيذكر المبرد أنّ: «إذا انضمّت الهمزة وقبلها كسرة قلبتها ياء، لأنّه ليس في الكلام واو قبلها كسرة»[2] ويذكر سيبويه أنّ ذلك على قول العرب وقول الخليل. "[3] وهذه وجوه تخفيف الهمزة قصد الاقتصاد في جهد أدائها.

ويتم حذف الهمز أيضا في ألفاظ أخرى من سورة البقرة يأتي في مقدمتها كلمة ﴿**الصَّٰبِيِن**﴾[4] فذهب كثير من القرّاء إلى تخفيف الهمزة بأساليب أدائية مختلفة، فقرأ نافع وأبو جعفر والزهري وشيبة ((**الصابيْن**)) بياء ساكنة من غير همز.[5] فطرح هؤلاء الهمزة لأجل لأجل التخفيف، ويقول ابن عطية (541هـ): "ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو إذ مال »[6] وهو ميل من دين إلى دين، وقد أجاز سيبويه اللفظ بقلب الهمز إلا في الشعر، وغيره يجيزه وهو على لغتهم."[7]

ويطرأ الأمر نفسه مع كلمة ﴿**خَٰسِـِٔيـِين**﴾[8] إذ قرأها أبو جعفر بإبدال الهمزة ياء، وأما وأما الهذلي عن النهرواني عن ابن وردان انفرد بحذف الهمزة ليصبح اللفظ ((**خاسين**)).[9] وبهذا تسقط الهمزة من اللفظ ويتحقق تخفيف الأداء. ويقع التخفيف على لغة بعض العرب الذين آثروا التخفيف بالحذف. ولم يتوقف التخفيف على الهمز المفرد، بل كان التخفيف أوجب للاقتصاد في الأداء الصوتي عند القرّاء في الهمزتين المجتمعتين.

---

1 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص48.

2 ـ المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ج1، ص294.

3 ـ ينظر: الكتاب، ج3، ص542.

4 ـ البقرة/62.

5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص117. و ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، ص157.

6 ـ أبو محمد عبد الحق بن عطية الندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تلخيص: مجد مكي، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ، ص95.

7 ـ ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج2، تح: بدر الدين قهوجي، ص96.

8 ـ البقرة/65.

9 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص119. وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص297.

تخفيف الهمز المزدوج:

ورود الهمز مزدوجا، فجعل تخفيفه ضرورة ملحة عند العرب، فيقول مكي القيسي: «إذ كانوا يخفّفون المفردة استخفافا، لثقل الهمزة المفردة، فإذا تكررت كان ذلك أعظم ثقلا، فإذا لزمت كل واحدة منهما الأخرى كان ذلك أشد ثقلا، فرفضوا استعمال التحقيق للثانية في هذا النوع، لما ذكرنا، وعليه لغة العرب وكل القرّاء »[1] فيقع بذلك اقتصاد في الجهد المسلط على أعضاء النطق.

وقد تناولت فيما سبق من الدراسة الأنواع التي يأتي عليها الهمز المزدوج في النص القرآني، فنجد أنّ علماء التجويد والقراءات يعمدون إلى تخفيفه، فكان ديدّن فريق منهم « يخرج الهمزة مع النّفس إخراجا سهلا، بغير كلفة، يألفه طبع كلِّ أحدٍ، ويستحسنه أهل القراءة »[2] وليس لنا بد إلا تتبع الخطوات نفسها للفصل الثاني فنتطرق لدلالات الهمز المزدوج في كلمة واحدة.

الهمز المزدوج في كلمة واحدة:

عند اجتماع همزتين في كلمة وهي من أصول حروفها، أجمع الجميع على تخفيف الثانية ومن أمثلتها ﴿ءَادَم﴾[3] و ﴿ءَاوتُمِن﴾[4] و ﴿ـءَامَن﴾[5] وباتفاق تقرأ هذه الكلمات كلها «على تخفيف الثانية وإبدالها بألف، إذا انفتح ما قبلها، وبياء إذا انكسر ما قبلها، وبواو إذا انضم ما قبلها، وعلى ذلك لغة العرب فيها»[6] ومذهبهم في ذلك أنّ الهمزة لما خففت مفردة في في الكلمة، أصبح من الضرورة تخفيف الثانية عند اجتماعهما، ويضيف القيسي في الإطار

1 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص70.

2 ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط1، عمان، 2000، ص119.

3 ـ البقرة/31.

4 ـ البقرة/283.

5 ـ البقرة/285.

6 ـ مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص70.

نفسه في قوله: "وعلة ذلك أن الهمزة الثانية لمّا كانت لا تنفصل منها الأولى، ولا تفارقها في جميع تصاريف الكلمة، استثقلوا ذلك فيها"[1] وقد تعامل القرّاء مع همزة الاستفهام الداخلة على لفظ مهموز على أنه همز مزدوج في كلمة واحدة.

وعند تتبع الألفاظ المزدوجة الهمزة في كلمة واحدة من سورة البقرة، اتضح أنّ قول الله عز وجل: ﴿ءَآنذَرْتَهُمْ﴾[2] الذي يحتوي على همزتين مفتوحتين، والذي قرأه ابن كثير ونافع ويعقوب وأبو عمرو في رواية، والأصبهاني وورش وهشام ورويس والأزرق في رواية ((**آنذرتهم**)) بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، فتصبح همزة مطولة. "[3] فيذهب أهل اللغة والقراءات إلى جعل الهمزة الثانية بين الهمزة والألف ولا يجعلوها " ألفا خالصة، ومن جعلها فقد أخطأ من جهتين: إحداهما أنه جمع بين ساكنين والأخرى أبدل من همزة متحركة قبلها حركة ألفا، وإنما حقّ الهمزة إذا حركت وانفتح ما قبلها: أن تجعل بين بين، أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها "[4] وفي كلمتنا جعلت الهمزة بينها وبين الألف تخفيفا على الناطق.

وحقيقة أمر الهمزتين أنّهما من كلمتين فجمعهما اللفظ، وهما همزة استفهام دخلت على كلمة بعدها مهموزة الأول. وقد قرأ الزهري وابن محيصن ((**أنذرتهم**)) "[5] بحذف الهمزة الثانية لدلالة الحرف ((**أم**)) بعدها عليها، ويقول ابن جني معللا: "هذا مما لابد فيه أن يكون تقديره: ((**أَأَنْذَرْتَهُم**))، ثم حذف الهمزة الاستفهام تخفيفا لكراهة الهمزتين، ولأن قوله:

1 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص70.

2 ـ البقرة/6.

3 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص36.

4 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ج 1، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1988، ص78.

5 ـ ينظر: ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تلخيص: مجد مكي، ص53 و عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص37.

«**سواء عليهم**» لابد أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولمجيء أم بعد ذلك أيضا»[1] والحذف يعبر عن قمّة الاقتصاد الصوتي.

كما ووردت قراءة «**آانْذَرْتَهُم**» عن أبي عمرو وقالون وإسماعيل بن جعفر عن نافع وهشام والأعمش وأبي جعفر واليزيدي وابن عباس وابن إسحاق وهي بإدخال ألف بين الهمزتين، ثم تسهيل الثانية. ويقدم الحجة فيه مكي القيسي من قوله: «أنه لما كانت الهمزة المخففة بزنتها محققة قدّر بقاء الاستثقال على حاله مع التخفيف، فأدخل بينهما ألفا ليحول بين الهمزتين بحائل، يمنع اجتماعهما. »[2] ويبقى الغرض الرئيسي من ذلك الاقتصاد في الجهد عند الأداء الصوتي.

وأما قوله تعالى: ﴿ـآنتُمۡ﴾[3] قد وردت له قراءات عديدة نأخذ منها ما ينسجم مع ما نصبو إليه من تخفيف للهمز، فقد قرأ ورش والأصبهاني وابن كثير ورويس والأزرق وابن محيصن بالتسهيل من غير ألف بينهما ((**آنتم**)).[4] والتسهيل جعلها بين الهمزة والألف لتفادي أداء صعوبة الهمزة المحققة. وقرأ الأزرق وورش بإبدال الهمزة الثانية ألفا خالصة مع المد للساكنين وهما الألف والنون ((**أأنتم**))،[5] وقرأ قالون وأبو عمرو وهشام وابن عبدان والحلواني وأبو جعفر بتسهيل الهمزة الثانية بين بين مع إدخال ألف بينهما، وصورتها ((**آانتم**)).[6] وكل ذلك مرده إلى اللهجات العربية التي تلجأ في أدائها إلى تسهيل الهمز.

1 ـ ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص129.

2 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص74.

3 ـ البقرة/140.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص204. وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص272.

5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص204.

6 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها. وأحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج 1، ص178.

الهمز المزدوج من كلمتين:

وقع الهمز المزدوج في كلمتين في مواضع مختلفة من سورة البقرة نذكر منها قوله تعالى: ﴿**أَلسُّفَهَآءُ أَلَآ**﴾[1] الذي وردت له قراءات مخففة للهمزة باختلافات بين القرّاء. فقد قرأ بتحقيق الأولى، وتخفيف الثانية بإبدالها واوا ((**السفهاءُ وَلا**)) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس وابن أبي إسحاق وابن مهران عن روح.[2] ويقر القرطبي في قوله: «أجودها أن تحقّق الأولى، وتقلب الثانية واوا خالصة»[3] وبهذا قرأ كثير من القرّاء نزولا عند لغة العرب وخاصة أهل المدينة.[4]

كما قرأ الموضع المتقدم أبو عمرو وآخرون بتسهيل الأولى بجعلها بين الهمزة والواو وتحقيق الثانية. "[5] وهناك قراءة تقوم على تسهيل الأولى بجعلها بين الهمزة والواو وإبدال الثانية واوا ترجع إلى أبي عمرو. "[6] وجميع ما مضى فيه تخفيف على وجوه اللغة العربية، فنجد من خفف الثانية فحجته هي الحجة نفسها لمن خففها في كلمة، والثانية يقع بها الاستثقال في الوصل، وأما من خفف الأولى فلأن الثانية تستوجب التحقيق إذا أبتدئ بها فأجرى الوصل على ذلك."[7]

وأما الموقع الثاني من البقرة فهو قوله عز وجل: ﴿**هَـٰٓؤُلَآءِ ان**﴾[8] فقد وقع الاختلاف الاختلاف فيه بين القرّاء فمنهم من ذهب إلى التحقيق، ومنهم من آثر التخفيف على لغة من

---

1 ـ البقرة/13.

2 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص46. و الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، تح: أحمد فريد المزيد، ص239.

3 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنّة وآي القرآن، ص312.

4 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص46. ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ج1، ص81.

6 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص46.

7 ـ ينظر: سلوى محمد عمر عرب، الهمزة دراسة لغوية وصرفية ونحوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، 1986، ص111

8 ـ البقرة/31.

خفف. فقرأ بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين ورش والأزرق وقنبل وأبو جعفر وابن مجاهد."[1] وبين بين أنّ تجعل الأداء بين الهمزة والياء، وصحّ عن الأزرق وورش وقنبل تحقيق الأولى وإبدال الثانية حرف مدّ من جنس ما قبلها أي ياء ساكنة على النحو ((**هؤلاء يْن**)). وقرأ الأزرق بتحقيق الأولى وإبدال الثانية ياء مكسورة هكذا ((**هؤلاءِ يِن**)).[2]" وعلى الرغم الرغم من كثرة وجوه القراءات إلاّ أنّ المرجو من ذلك هو التخفيف والاقتصاد في الجهد.

وقد قرأ قوله عز وجل: ﴿**شُهَدَآءَ إِذْ**﴾[3] بتليين الهمزة الثانية بين بين نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس واليزيدي وابن محيصن. [4]وأما قوله تعالى: ﴿**أَلشُّهَدَآءُ إِذَا**﴾[5] ﴿**إِذَا**﴾[5] فقد وقع الاختلاف بين القرّاء في طريقة تسهيلها، فجمهور المتقدمين على إبدال الهمزة الثانية واوا خالصة مكسورة متأثرة بحركتها وحركة ما قبلها ((**الشهداءُ وِذا**)). وقرأ جمهور المتأخرين بتسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الياء. "[6] وبالطريقة نفسها تمّ تخفيف قوله تعالى:﴿**يَّشَآءُ إِلَىٰ**﴾[7] إذ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس وابن محيصن واليزيدي ((**يشاءُ وِلى**)) تحقيقا للأولى وإبدال الثانية واوا خالصة، كما قرأت بتسهيل الثانية كالياء عندهم أيضا."[8]

---

1 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص76.

2 ـ ينظر:المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها. وأبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع، ص 236.

3 ـ البقرة/133.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص198. و وأحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج1، ص196.

5 ـ البقرة/282.

6 ـ ينظر: جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع، ص240. و أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، ج1، ص297. وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص419.

7 ـ البقرة/142و213.

8 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص293.

والموضع الأخير الذي نورده لأجل الهمزتين المكسورتين جاء في قول الله عز وجل : ﴿إِلنِّسَآءِ أَوَ﴾[1]فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس بإبدال الهمزة الثانية ياء وتحقيق الأولى. "[2] وأخيرا نخلص إلى أنّ التخفيف سمة من سمات اللهجات العربية القديمة وحتى الحديثة، وأنّ القرّاء تقيدوا بالرواية المتواترة للوجوه المختلفة التي جاء بها أداء الهمزة وذلك على اختلاف بيئاتهم.

دلالة التخفيف بالإدغام:

تمّ مع الفصول السابقة التطرق إلى ظاهرة المماثلة، وقد رأينا أنّه قد اشتهر عند القرّاء مصطلح الإدغام تعبيرا عن المماثلة بين الصوامت. وعرفنا أيضا أنّ غرض الإدغام تخفيف الأداء لما يستشف من قول سيبويه: "لأنّه لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة»[3]، ويضيف في السياق نفسه ابن يعيش بقوله: "فلما كان تكرير الحرف الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه»[4] وهذه هي الغاية من عملية الإدغام ليسهل الأداء.

ونركز في هذا المبحث من الدراسة على الجانب الدلالي لظاهرة الإدغام في القراءات القرآنية إذ يقول صاحب الكشف: "اعلمّ أن الإظهار في الحروف هو الأصل، والإدغام دخل لعة»[5]. ويأتي الإدغام على ضربين اثنين وهما الإدغام الصغير، والإدغام الكبير على اتفاق

1 - البقرة/235.

2 - ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص329. وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، ص37.

3 - سيبويه، الكتاب، ج3، ص 530.

4 - ابن يعيش، شرح المفصل، ج10، تح: جماعة من علماء الأزهر، مصر، ص121.

5 - مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص134.

بين القرّاء. والجانب الدلالي سنخصصه لمظاهر الإدغام في سورة البقرة بحصر بعض الأمثلة منها فقط وتقفي الدلالة التي تحيط بظاهرة الإدغام في الصوامت.

مظاهر الإدغام الصغير في سورة البقرة:

يقع الإدغام الصغير بين حرفين متماثلين أولهما ساكن والآخر متحرك، وهو على قول مكي القيسي: "واعلم أن أصل الإدغام إنّما هو في الحرفين المثلين. وعلة ذلك إرادة التخفيف"[1]، كما يقع بين حرفين متقاربين أو متجانسين الأول منهما ساكن والثاني متحرك. واصطلح عليه بالصغير لقلة العمل فيه، وهو النطق بالحرف حرفا واحدا مشددا. ونستهل بذكر الأمثلة الخاصة بالإدغام الصغير للحرفين المتماثلين في سورة البقرة.

إدغام المثلين الصغير:

نجد أنّ قوله تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾[2] اتفق القرّاء على إدغام التاء في التاء،"[3] فالإدغام هنا يعد من الواجب فهو مطلب صوتي عند تجاور المثلين، وبه يدمج الصوتان تخفيفا واقتصادا في المركبات الصوتية. فيظهر في الأداء اختلاط اللفظين ليصبح واحدا يوحي بسرعة جزاء عدم ربح التجارة . قوله تعالى: ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾[4] قرأه القرّاء بإدغام الباء في الباء، "[5] فمن الناحية الوظيفية للصوت نرى أنّ الحرفين مثلين، فالمخرج والصفات نفسها. وحرف الباء يعد قويا لجهره وشدّته، فوجب إدغام الباء في الباء ليحدث التخفيف بأداء الصوت مرة واحدة.

1 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص134.

2 ـ سورة البقرة/ 58.

3 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص52.

4 ـ سورة البقرة/ 58.

5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص109.

إدغام المتجانسين الصغير:

يعبر مصطلح التجانس بين الحروف إذا تحقق اتفاق المخرج واختلاف الصفة، فيذكر غانم قدوري الحمد في قوله: «والمتجانسان ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة، كالدال والطاء، والثاء والذال، ...»[1] وبالتالي تتعدد الحالات وتكثر على قدر تشارك الأصوات في المخارج. ومن أقوال المتقدمين ما يؤكد التعريف نفسه عند المتأخرين والتي جاء من بينها قول ابن مهران: «وكذلك إذا كان مخرجهما واحدا والأول ساكن لم يجز إظهاره أيضا»[2] وبالتالي وجوب الإدغام للمتجانسين.

ينحصر إدغام الصوتين المتجانسين في متحدة المخرج، وانطلاقا من هذه القاعدة نستطيع أن نورد النماذج الصوتية للإدغام من سورة البقرة، فنجد في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ﴾[3] قد قرأه الكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير بإدغام النون بالراء من غير غنّة، وهي قراءة حفص. وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وعاصم ويعقوب وأبو جعفر بالإدغام بغنّة.[4] "النون والرّاء من حروف الذلق، وبالتالي تحقق الشرط الأساسي ألا وهو اتفاق المخرج، ويعلل مكي القيسي تعليقا على إدغام النون في الرّاء بقوله: «وزاده قوة أن النون والتنوين إذا أدغما في الراء نقلا إلى لفظ الراء، وهي أقوى منهما فكان في الإدغام قوة للحرف الأول»[5] فتمّ الإدغام للقوة التي في الرّاء.

1 ـ المدخل إلى علم الأصوات العربية، ص232.

2 ـ المبسوط في القراءات العشر، ص92.

3 ـ سورة البقرة/5.

4 ـ ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص160.

5 ـ مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص161-162.

وأدغم الرّاء في اللام أبو عمرو والدوري واليزيدي "[1] من قوله تعالى: ﴿ يُغْفِرْ لَكُمْ﴾[2]، فيتفق الصوتان في المخرج ليدخل إدغامهما في باب المتجانسين، وإنّهما يتساويان في قوة الصفات فحسن بذلك الإدغام. وأما في قوله: ﴿ يُبَيِّن لَّنَا ﴾[3] وردت القراءة بإدغام النون في اللام، وهو إدغام بلا غنّة وهذا مذهب الجمهور، وذهب كثير من أهل الأداء إلى إبقاء الغنّة، ورووا ذلك عن نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. "[4] ومن أجل المعنى أو الغرض من إدغام النون الساكنة أو التنوين يقول محمد شملول: "إنّ الإدغام الناقص بغنّة يحتوي على امتداد أو طول أو اتساع للمعنى أو عدم عجلة. أما في حالة الإدغام الكامل بدون غنّة فإن هذا يساعد في إبراز المعنى بأنه لا توجد مسافة زمنية، وبالتالي فإن الأمر قطعي وبدون زمن. "[5] وهذا يوحي على رأي صاحب بقطعية التبيين.

نبقى مع المتجانسين ولكن مع مخرج آخر وهو النّطع الذي من ضمن أصواته الطاء، والدال، والتاء، ومنه قوله عز وجل: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ﴾[6] إذ أدغم الدال في التاء جميع القرّاء. "[7] وعلة ذلك صوتية لقرب الدال من التاء في القوة بصفة الشدّة التي فيهما وبذلك حسن إدغام الدال في التاء لأنّهما صوتان متجانسان وهذا ما يؤكده القول: "الدال أخت التاء وهي مثلها في الشدّة وليس بينهما إلا الجهر، أي جهر الدال وهمس التاء لذا فإن الدال إذا التقت بالتاء تحولت إلى تاء"[8]، هذا مع اتفاق المخرج ويبقى تحديد التقارب فيه أو في الصفة.

---

1 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص109. وابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، ص80.

2 ـ البقرة/58.

3 ـ البقرة/69.

4 ـ النحاس، إعراب القرآن، ص47. وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنّا، ج1، ص

5 ـ إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط3، مصر، 2010، ص210-211.

6 ـ البقرة/256.

7 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنّا، الإتحاف، ص128. و عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص363.

8 ـ تهاني بنت محمد بن محمود سندي، الإدغام بين النحاة والقراء دراسة صوتية صرفية، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص82.

إدغام المتقاربين الصغير:

عرفنا أنّ التجانس بين الأصوات يقع إذا تحقق اتفاق المخرج. ولكننا نجد أنّ القرّاء واللغويين المحدثين يختلفون فيما بينهم في عدد المخارج، فهي عند القرّاء سبعة عشر "[1]"، وعند اللغويين المحدثين عشرة مخارج، "[2]" وبذلك يصعب تحديد المتقاربين والمتجانسين من الأصوات فيما سنذكره من أمثلة. ويمكننا القول أنّ صوتين متقاربان إذا تقاربا مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة على رأي القرّاء، "[3]" ونجد أنّ كتب القراءات الحديثة قد فصلت بين المتقاربين والمتجانسين، وأكدت في النوع الأول على تقارب المخرج أو الصفة أو المخرج والصفة معا. وسنتبع منهجهم في التمثيل بالشواهد القرآنية مراعين المخارج العشرة المذكورة عند المحدثين.

أول نموذج من الإدغام الصغير للمتقاربين نورده هو قوله تعالى: ﴿آنْبَتَتْ سَبْعَ﴾[4] إذ قرأه بإدغام التاء في السين أبو عمرو والكسائي وحمزة وخلف، [5] ومسوغ الإدغام تقارب مخرجي التاء والسين على رأي أبي حيان من قوله: "ولتقارب السين من التاء أبدلت منها النات، والأكيات في الناس والأكياس"[6] كما أنّ صفة الصفير في السين التي تعد من صفات صفات القوة تسهل اندماج التاء في السين إذ " التقت التاء بالسين فإن السين تؤثر عليها وتقلبها سينا مثلها"[7].

1 ـ ينظر: ابن البجزري، النشر، ص153-155.

2 ـ ينظر: مكي درار وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص57.

3 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص211. ورشيد عبد الرحمان العبيدي، معجم الصوتيات، ص31.

4 ـ البقرة/261.

5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص379.

6 ـ تفسير البحر المحيط، ج2، ص315.

7 ـ تهاني بنت محمد بن محمود السدي، الإدغام بين النّحاة والقرّاء دراسة صوتية صرفية، ص78.

وأما قوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَّكْتُمْهَا﴾[1] وهو من أحكام النون الساكنة والتنوين ذكرناه في هذا المقام لتقارب مخرجي النون والياء، إذ تدغم النون الساكنة في الياء باتفاق القرّاء ويسجل الاختلاف بينهم في مصاحبة الغنّة للإدغام أو عدمها. "[2] ويقول مكي القيسي: "وعلة إدغام النون الساكنة والتنوين في الياء والواو وإظهار الغنّة، هي فيما بينهن من تشابه، وذلك أنّ الغنّة التي في النون تشبه المّد واللين، اللذين في الياء الواو، فحسن الإدغام لذلك"[3] لذلك"[3] وبما أنّ الصوتين من ضمن الصوامت المجهورة سهل اندماجهما.

والنموذج الثاني للنون مع الياء هو قوله تعالى: ﴿يَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ ﴾[4]، قرأه خلف وحمزة بإدغام النون في الياء بلا عنّة، ووافقهما المطوعي والأعمش. وقد اختلف عن الدوري والكسائي فروي عنهما الإدغام بغنّة كما نقل عنهما الإدغام بغير غنّة. "[5] ودلالة أمر الإدغام الإدغام النون جاء على لسان محمد شملول من قوله: "إنّ الإدغام الناقص بعنّة يحتوي على مسافة زمنية تساعد في إبراز المعنى من ناحية أنه يوجد امتداد أو طول أو اتساع أو عدم عجلة...إلخ. أما في حالة الإدغام الكامل بدون عنّة فإن هذا يساعد في إبراز المعنى بأنه لا توجد مسافة زمنية، وبالتالي فإن الأمر قطعي وبدون زمن."[6]

ووقع الإدغام في كلمة من قوله تعالى: ﴿لَبِثْ﴾[7] فالكلمات الثلاثة في الآية وهي "**لَبِثْتَ**" و"**لَبِثْتُ**" و"**لَبِثْتَ**" قرأها أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر بإدغام الثاء

1 - البقرة/283.
2 - ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص383-384.
3 - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص164.
4 - البقرة/142.
5 - ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص205.
6 - إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص210-211.
7 - البقرة/259.

في التاء في المواضع الثلاثة في كل القرآن وصورتها "**لَبِثَّ**".[1] صوتي الثاء والتاء يتقاربا في المخرج، ويتصف صوت التاء بالقوة لأجل الشدّة التي فيه فحسن الإدغام. [2] ويؤكد ذلك القرطبي في قوله: «قرأ أهل الكوفة:((كَمْ لَبِثَّ)) بإدغام الثاء في التاء لقربها منها في المخرج، فإنّ مخرجهما من طرف اللسان وأصول الثّنايا وفي أنّهما مهموستان»[3] .

ونبقى مع إدغام المتقاربين في كلمة واحدة من قوله جلّ شأنه: ﴿**إِتَّخَذتُّم**﴾[4] الذي نجد أنّ جمهور القرّاء قرأه بإدغام الذال في التاء وكذا ابن مسعود، وصورة القراءة ((**اتّختّم**)).[5] الصوتان معتدلان في القوة فأحدهما مجهور والآخر شديد، [6] والذال صوت قريب المخرج من مخرج صوت التاء وهو ساكن وبذلك حسن الإدغام، ويقول مكي القيسي: «لماّ قلّت حروف الكلمة حسن الإدغام، وعليه أكثر القرّاء. »[7] فالكلمة طويلة وبالإدغام أصبحت حروف الكلمة قليلة وحصل التخفيف.

وفي تخريج آخر يقول صاحب البحر المحيط: «فإن كانت فاء الكلمة همزة وبنيت افتعل أبدلت تلك الهمزة ياء وأقررتها هذا هو القياس وقد تبدل هذه الياء تاء فتدغم قالوا اتّمن وأصله ائتمن، وعلى هذا جاء اتخذ »[8] وهذا تخريج نحوي يرى أصحابه أنّ علة الإدغام في الكلمة، ونجد رؤى أخرى منها قول ابن خلويه الذي يرى: «والحجة لمن أدغم: أنّ الظاء والثاء والذال مخرجهنّ من طرف اللسان، وأطراف الثنايا العلى فوجب الإدغام لمقاربة المخرج

1 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص369.
2 ـ ينظر: مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص159.
3 ـ أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنّه من السنّة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص300.
4 ـ البقرة/51.
5 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص99.
6 ـ ينظر: مكي القيسي، الكشف، ج1، ص159.
7 ـ المرجع السابق نفسه، ص160.
8 ـ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج1، ص354.

والمجانسة»[1] فالتعليل الصوتي في معظم الظواهر الصوتية هو الأرجح. ولا يتوقف الأمر عند الإدغام الصغير بل يظهر الاقتصاد الصوتي في الإدغام الكبير.

مظاهر الإدغام الكبير في سورة البقرة:

سبق لنا التطرق إلى تعريف الإدغام الكبير، ولبأس من التذكير بذلك في القول الموالي: "فالكبير: ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا سواء كان مثلين أم جنسين أم متقاربين. وسمي كبيرا لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه »[2] وبذلك يكثر العمل من أجل التخفيف، ففي مرحلة أولى تحذف حركة حركة الحرف الأول ثم يبدل من مثل الحرف الثاني ثم يدغم فيه. ولمعالجة ظاهرة الإدغام الكبير، نبقى مع المنهجية نفسها فنتناول الصوتين المثلين، ثم المتجانسين وأخيرا ننتهي بالتطرق للمتقاربين.

إدغام المثلين الكبير:

يقع إدغام المثلين الكبير في كلمتين كما يقع في كلمة واحدة حيث نجد قوله تعالى: ﴿مَّنَاسِكَكُم﴾[3] قد قرأه أبو عمرو ويعقوب ((**مناسِكُّم**)) بإدغام الكاف في الكاف.[4] فتجاور فتجاور صوتين مثلين يستدعي إدغامهما رغم وجود صائت فاصل بينهما. ويقول استيتية: "ويظهر وجه الاقتصاد في أمرين أولهما أنّ الحركة التي بين المتماثلين قد سقطت، وفي هذا تقليل في عدد الأصوات. وثانيهما تقليل عدد المقاطع القصيرة المفتوحة المتتالية. وهو وجه

1 ـ ابن خلويه، الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، ص77.

2 ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص208.

3 ـ البقرة/200.

4 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر، ص212. وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص275. والنحاس، إعراب القرآن، ص86.

من وجوه الاقتصاد اللغوي الذي يظهر في لهجة تميم »[1] والعلة من ذلك إرادة التخفيف على رأي القرّاء."[2]

والكلمة الثانية جاءت في قوله عز وجل: ﴿آتُحَآجُّونَنَا﴾[3] وقد قرأها زيد بن ثابت والحسن والأعمش وابن محيصن والمطوعي ((أتُحآجّونّا)) بإدغام النون الأولى في الثانية وهو وجه جيد. "[4] وقد ورد تعليل ذلك من القول الذي مفاده: " وأما قراءة زيد ومن ذكر معه فوجهها أنّه لما التقى مثلان، وكان قبل الأول حرف مدّ ولين جاز الإدغام »[5] بهذا يتركز تعليل ظاهرة الإدغام بتماثل الأصوات المتجاورة مخرجا صفة.

ومثال المثلين من كلمتين للإدغام الكبير نستهله بقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ﴾[6] الذي قرأه أبو عمرو ويعقوب بإدغام اللام في اللام.[7] فحسن إدغام الصوتين المتماثلين لأنّها لأنّها من المخرج نفسه ويمتازان بالصفات نفسها، ويقول قدوري الحمد: "لأنّهما مثلان، فأرادوا أن يرتفع اللسان بهما رفعة واحدة فيكون اللفظ بهما أخفّ، وكلما كثرت الحركات حسن الإدغام»[8] وهذا تعليل ظاهرة الإدغام عامة. وفي تخريج لبيان المعنى يقول محمد شملول: "الإدغام الكامل بدون غنّة يدل على التصاق الكلمتين التصاقا كاملا، مما يوحي بقطعية الأمر»[9] فعلى رأي المؤلف تمّ التصاق الكلمة لالتصاق أمر الجعل للفئة المعينة.

1 ـ سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، ص 114.

2 ـ ينظر: مكي القيسي، الكشف، ص134.

3 ـ البقرة/139.

4 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص203. والزمخشري، الكشاف، ج1، ص336.

5 ـ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج1، ص585.

6 ـ البقرة/22.

7 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص63. وأبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج1، ص237.

8 ـ المدخل إلى علم الأصوات العربية، ص237.

9 ـ إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص216.

ووقع الإدغام الكبير في حروف أخرى، ومثاله ما نجده بين صوتي الهاء المتجاوران من كلمتين في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾[1] ، فقد أدغم الهاء في الهاء أبو عمرو وعيسى وطلحة، وحكى ذلك أبو حاتم عنهم، وصورة القراءة ((**إِنَّهُ هُّو**)).[2] فجاز الإدغام بجواز بحذف بحذف الواو بين الهائين. [3] فالصوتان متماثلان وبذلك حسن الإدغام بينهما وحصل التخفيف.

ووقع الإدغام الكبير للمثلين كذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾[4] حيث نسب إلى أبي عمرو ويعقوب. [5] تماثل صوتي النون تماثلا كاملا سهل اندماجهما في في صوت واحد فتعزز بذلك التخفيف. ووقع الإدغام بين المثلين أيضا في قوله تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[6] فأدغم الباء في الباء أبو عمرو ورويس ويعقوب، [7] صوت الباء يتميز بالشدة والجهارة وهي صفات قوة فإن تكرر كان أشق في الأداء، فخفف هنا بالإدغام.

ورد إدغام المثلين الكبير في حروف كثيرة من سورة البقرة، فآخر نموذج نذكره ارتبط بصوت الراء من قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[8] فأدغم الراء في الراء أبو عمرو والحسن

1 - البقرة/35.

2 - ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص85. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، ج1، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص485.

3 - ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ص36.

4 - البقرة/49.

5 - ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ص97.

6 - البقرة/ 79.

7 - ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ص135.

8 - البقرة/185.

ويعقوب.[1] فحرف الرّاء صوت فيه صفة التكرير وهي صفة من صفات القوة ة، زيادة على ما تتميز به من الجهر. بالإدغام تختفي قوة التكرير وتظهر مرّة واحدة ويتحقق التخفيف، ولكن يرى علماء اللغة أنّه ليس هناك تخفيف لأنّ بالإدغام يلتقي ساكنان وذلك من دواعي الثقل. ومن المثلين إلى نماذج من إدغام المتجانسين.

إدغام المتجانسين الكبير:

نعتمد المخارج العشرة التي أقرها علماء الأصوات، فنجد أنّ الحروف المتجانسة هي التي تتحد في المخرج وتختلف في الصفة. وأول نموذج نورده للإدغام من كلمة واحدة قوله جل وعلا: ﴿**ٱلْمُتَطَهِّرِين**﴾[2] إذا قرأه طلحة بن مصرف " **المطّهّرين**" بإدغام التاء في الطاء،[3] التاء والطاء من المخرج نفسه والطاء أقوى منها بالإطباق الذي يميزها، وبذلك يسمح يسمح الإدغام للتاء بأن تقوى بصوت الطاء، فهذه هي علة الإدغام في الكلمة.

ومن نماذج الأصوات المتجانسة في كلمتين قوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ قَالَ**﴾[4] فأدغم فأدغم أبو عمرو الكاف في القاف بخلاف عنه.[5] الصوتان من الأصوات المهموسة، ولكن القاف فيه قوّة بسبب صفة القلقلة التي تميزه، وذلك من دواعي الإدغام. والمثال الثاني قول الله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ لَهُۥ**﴾[6] قرأه أبو عمرو بإدغام النون في اللام بخلاف عنه، وروي

1 ـ ينظر: النحاس، عن: خالد العلي، إعراب القرآن، ص80. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص160. وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ص254.

2 ـ البقرة/222.

3 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، ص309. وأبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص180.

4 ـ البقرة/112.

5 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص223.

6 ـ البقرة/36 و38.

الإدغام عن يعقوب. "[1] النون واللام من مخرج واحد وهي مجهورة وهي لا شديدة ولا رخوة، وعلى ضوء هذه المعطيات حسن الإدغام استجابة للتخفيف.

وورد أيضا إدغام الدال في التاء من المتجانسين الكبير في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَسَٰجِدِّ تِلْكَ﴾[2] فقرأه أبو عمرو ويعقوب بإدغام الدال في التاء. "[3] الصوتان من مخرج واحد، وسبق وقلنا أنّ الإدغام يحسن بقوة الثاني وضعف الأول وهو ما يعاكس هذه الحالة ولكن للشدة التي في التاء جوز الإدغام، وقد روي عن أبي عمرو ويعقوب الإظهار كذلك."[4]

وإدغام المتجانسين اللام في الراء جاء في قوله تعالى: ﴿يَّقُول رَبَّنَآ﴾[5] حيث قرأه أبو عمرو بخلاف عنه ويعقوب بإدغام اللام في الراء. "[6] هذان الصوتان يمتازان بالصفات نفسها، فيأتي الجهر في هرمها إلا أنّ الرّاء تتفوق قوّةً على اللام بصفة التكرير فبالإدغام «تبدل من الأول حرفا من جنس الثاني. فإذا فعلت ذلك نقل لفظ الضعيف إلى لفظ القوة، فذلك حسن جيد.»[7] وعلة ذلك دمج الصوتين وتحقيق الاقتصاد.

يأتي الإدغام في الأصوات الشفوية بين الميم والباء ويمثله قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ﴾[8]، فقرأ أبو عمرو ويعقوب بإدغام الميم في الباء، وبالإظهار. "[9] فهي تخرج من مخرج مخرج واحد وكلاهما مجهور، إنّ صوت الباء مجهور وشديد في حين الميم مجهور وليس

1 ـ ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات العشر، تح: شعبان محمد إسماعيل، ج1، ص119.
2 ـ البقرة/187.
3 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، 261.
4 ـ ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.
5 ـ البقرة/200.
6 ـ ينظر:
7 ـ مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص135.
8 ـ البقرة/213.
9 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، 292.

بشديد. فتفوق الباء بصفات القوة عن الميم يسهل عملية الإدغام فتكتسب الميم صفة الشدّة من صوت الباء ليتم الانسجام والتخفيف. وأما إذا حدث تقارب المخارج أو الصفات فتدخل ظاهرة الاقتصاد بين ما سمي بالأصوات المتقاربة.

إدغام المتقاربين الكبير:

إدغام الأصوات المتقاربة تختص به تلك التي تتقارب مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة كما مر معنا من قبل، ويكون الإدغام كبيرا إذا تحرك الحرفان. وأول نموذج نورده قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[1] ، فأدغم ثاء ((حيث)) في شين ((شاء)) مع إبدال الهمزة الساكنة ياء أبو عمرو ويعقوب بخلاف عنهما. "[2] تعد الثاء من أصوات بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، وتتصف بالهمس والرخاوة. وأما الشين صوت مهموس يمتاز بالتفشي والاستطالة حتى قارب مخرج حروف طرف اللسان فأمكنه هذا من إبدال الثاء مثله ليتسنى الإدغام."[3]

يَرِد إدغام الدال في الذال من قوله عز وجل: ﴿بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[4] حيث قرأ بإدغام الدال الدال في الذال أبو عمرو ويعقوب. "[5] صوتا الدال والذال كلاهما مجهور، فعند التقاءهما تؤثر الذال في الدال وتبدلها ذالا لتدغم في الذال الثانية. "[6] إنّ تقارب المخرج وتماثل الصفات يسهلان عملية اندماج الصوتين وبالتالي دلالة على التخفيف في الأداء. وأما قول

1 ـ البقرة/35.

2 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، 81.

3 ـ ينظر: تهاني بنت محمد بن محمود سندي، الإدغام بين النّحاة والقرّاء دراسة صوتية صرفية، ص83.

4 ـ البقرة/52 و64.

5 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص221، و عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، 119.

6 ـ ينظر: تهاني بنت محمد بن محمود سندي، الإدغام بين النّحاة والقرّاء دراسة صوتية صرفية، ص83.

الله جل شأنه: ﴿مَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾[1] فقد أدغم اللام في الذال أبو الحارث، وقد انفرد به."[2]

تعد اللام والذال من الأصوات المجهورة، وهي متقاربة في المخرج فالأولى ذلقية والثانية من أصوات بين الأسنانية. وبالتالي سهّلت صفة الجهر الإدغام بين الصوتين لأجل التخفيف.

نذكر مثالين آخرين للمتقاربين من الأصوات وأوله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُوتَ سَعَةً﴾[3] فقد وردت قراءة إدغام التاء في السين عن أبي عمرو ويعقوب. "[4] التاء من الأصوات المهموسة، وكذا السين إلا أنّ هذا الأخير له من القوة في صفة الصفير مما يجعله يؤثر على التاء عند التقائهما، فتقلب التاء إلى سين ثم تسكن ليتم الإدغام تخفيفا واقتصادا."[5] وأما قول الله عز وجل: ﴿دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾[6] أدغم منه الدال في الجيم أبو عمرو ويعقوب بخلاف عنهما. "[7] الدال والجيم من الأصوات المجهورة فهما من المتقاربين فساعدت صفة الجهر فيهما الإدغام بينهما.

أبرزت النماذج السابقة للإدغام من سورة البقرة ظاهرة الاقتصاد في الأداء القرآني، كما أوضحت هذه الفقرات علل ودلالات بعض الظواهر الصوتية المرتبطة بالصوامت في انتظار حصيلة نتائج البحث برمته مع الخاتمة.

---

1 ـ البقرة/85.

2 ـ ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، 146. ومكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، ج1، ص153.

3 ـ البقرة/247.

4 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص218. و عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، 349. و أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات العشر، تح: شعبان محمد إسماعيل، ج1، ص116.

5 ـ ينظر: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص285. و تهاني بنت محمد بن محمود سندي، الإدغام بين النّحاة والقرّاء دراسة صوتية صرفية، ص78.

6 ـ البقرة/251.

7 ـ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص221. وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ج1، 356.

خـــاتمة:

عالجت الدراسة في فصولها الأربعة ظواهر صوتية ميزت الأداء القرآني على اختلاف خلفيات القرّاء البيئية واللهجية، فكانت الانطلاقة من فرضية اتصاف الأداء الصوتي للقرآن عند التلاوة بسمات اقتصادية من منظور فيزيولوجي ومنظور أكوستيكي. وقد برز التقسيم الثنائي للدراسة وفق نوعي الأصوات اللغوية، فمثّل القسم الأول الظواهر الصوتية المقتصدة المرتبطة بالصوائت، والقسم الثاني ارتبط بالصوامت. فجاءت حتمية النتائج تابعة للقسمين على حسب تدرج الدراسة في فصولها الأربعة، وأجملتها في النقاط التالية:

- تجلى الاقتصاد الصوتي في الصوائت بعدة ظواهر أدائية:

ـ مَثّل الوقف بالسكون، درجة عالية من حيث الاقتصاد في الجهد عند حذف الحركة.

ـ جاء الوقف بالإشمام أو الروم، بأقل درجة من الوقف بالسكون من حيث الكمية.

ـ اختلاس الحركة يقلل من كمية الحركة وبالتالي تقليل الجهد الموظف للأداء.

ـ المماثلة بين الصوائت المتتابعة تؤمن الانسجام في صيغة الكلمة وتسمح بتخفيف الأداء.

ـ تماثل الصوائت في هاء الكناية مظهر من مظاهر التخفيف في الأداء القرآني.

ـ الإمالة تلوين صوتي لدى بعض القبائل العربية يضمن الوضع الفيزيولوجي المريح حين الأداء.

ـ حذف الصوائت من بنية الكلمة هو ضرب من التخفيف، ومظهر اقتصادي للجهد عند الأداء.

ـ يأتي النقل والقلب للصوائت كمظهرين من مظاهر التخفيف في الأداء القرآني.

ـ أما المقاربة الدلالية للظواهر الاقتصادية في الصوائت، تقودنا إلى نسبية في الإيحاء بالمعنى، فالوقف بالسكون أو بغيره لا يؤثر في المعنى في حدّ ذاته، بل يرتبط بالموقع السياقي لذلك الوقف.

ـ فمعظم الظواهر الاقتصادية في الصوائت لها دلالة تبحث في علل هذه الأخيرة، يأتي على رأسها البعد اللهجي للقبائل، فنجد منها من تحبذ الإتباع للتخفيف والتسهيل، وأخرى تميل إلى الإمالة من أجل الانسجام الصوتي وبالتالي الاقتصاد في الجهد.

ـ أما الإمالة تعد تلوينا صوتيا تميل إليها قبائل عربية من مثل تميم، ولكن لها استثناءات في سياق النص القرآني، إذ نجدها تعبر أحيانا عن المعنى عند أساليب معينة.

- وأما النتائج المرتبطة بالاقتصاد الصوتي في الصوامت المتوصل إليها في ثنايا البحث جاءت على النحو التالي:

ـ تتسم بعض الصوامت بالخفة حين أدائها وذلك لطريقة حدوثها والصفات التي تتميز بها.

ـ تعد الهمزة من الصوامت العسيرة وذلك لموقع حدوثها والإجهاد الحاصل حين إنتاجها والصفات القوية التي تصاحبها.

ـ ميل قراءات عديدة إلى تخفيف الهمز على اختلاف اللهجات التي تنتمي إليها.

ـ يأتي تخفيف الهمز على أنماط مختلفة، فيكون بالإبدال، وبالنقل، وبالحذف.

ـ يعد الإدغام سليقة لهجية عربية عند تجاور أصوات معينة.

ـ ورد الإدغام في القراءات القرآنية طلبا للتخفيف في الأداء القرآني.

ـ يمثل الإدغام ظاهرة من ظواهر الاقتصاد الصوتي.

ـ الإدغام نوعان: إدغام صغير يقع فيه دمج للأصوات المتجاورة دون حذف للمركبات الصوتية وبالتالي يطرأ تقليص في المقاطع الصوتية، وآخر كبير يتم من خلاله حذف الصائت الفاصل بين الصامتين لتتم عملية اندماج بين الصوتين المتجاورين، وقد اشتهر به من القرّاء أبو عمرو بن العلاء.

ـ يقع الإدغام بين صوتين متماثلين، أو متجانسين، أو متقاربين لغرض اقتصادي.

ـ كبقية الظواهر الصوتية المدرجة في فصول البحث لا يحمل الإدغام تغيير في المعنى في حدّ ذاته.

ـ تحمل ظاهرة الإدغام تعليلات وظيفية، يأتي على رأسها التقارب بين الأصوات من حيث المخرج والصفات.

ـ قد تحمل ظاهرة الإدغام معنى وذلك وفق سياق النص القرآني، فنجد أن سرعة واندماج الصوتين توحي بسرعة الأمر المذكور.

وخلاصة القول: الظواهر الصوتية المقتصدة في عمومها لا تحمل معنى إضافي إلا بصفة نسبية، ولكن نجد لها تعليلات وظيفية في اللغة العربية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش من طريق الأزرق.

1 . قائمة المطبوعات:

- أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي، عبد الغفار أحمد هلال، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1979.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا، تح: شعبان محمد إسماعيل، ج1، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1987.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، بيروت، 2008.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي . أبو عمرو بن العلاء .، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1987.
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1 ، الأردن 2004.
- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، ضبط: محمد طلحة منيار، المكتبة الملكية ودار البشائر الإسلامية، ط4 ، مكة، 1999.
- الاختلاف بين القراءات، أحمد البيلي، دار الجيل، بيروت والدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط1، 1988.
- الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون، عبد العزيز علي سفر، التراث العربي، الكويت، 2001.
- إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1999.
- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، د ت.
- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط3، مصر، 2010.

- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، عناية: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2008.
- الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، فخر الدين قباوة، الشركة العالمية المصرية للنشر– لونجمان، ط1، مصر، 2001.
- الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، تح: أحمد فريد المزيد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999.
- أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، القاهرة، 1998.
- أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، أحمد محمود عبد السميع الحفيان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهر، د ت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: عبد الفتاح الحلو، مطبعة التراث العربي، الكويت، 1986.
- التبصرة والتذكرة، محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصّيمريّ، دار الفكر، ط1، دمشق، 1982.
- تجويد القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع بطريق الأزرق، محمد بن موسى الشرويني الجراري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2012.
- تحبير التيسير في القراءات العشر، تح: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2000.
- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتزيع، ط1، عمان، 2000.
- تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، عبد المهدي كايد أبو شقير، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2006.

- التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر عبد المنعم بن غلبون، تح: أيمن رشدي سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدّة، 1991.
- التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 2009.
- التطور النحوي للغة العربية، براجستراسر، تص: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 2003.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ط2، تونس، 1987.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993.
- تقريب النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، 2004.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تص: أوتو يرتزل، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1984.
- تيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، عناية أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن، التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، القاهرة، 2001.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد ابن خلويه بن حمدان، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، القاهرة، 1979.
- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف بن أ حمد الرعيني الشاطبي، عناية: اسماعيل الشرقاوي وأبو عبد التواب عبد المجيد ريّش، دار ابن الحفصي للطباعة والنشر، الجزائر، دت.
- الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، زيد خليل القرالة، عالم الكتب الحديث، إربد، 2004.

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، ج3، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 2007.
- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998.
- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1997.
- الدّرر اللّوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، أبو الحسن علي بن محمد الرباطي، تح: أبي عبد الله نور الدين بن محمد الشريف إفرحاتن، دار الإمام مالك، 2013.
- الدلالة الصوتية . دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل .، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1992.
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم الفاخري، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، دت.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991.
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، دت،
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علاء حسن أبو شنب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2012.
- شذا العرف في فن الصرف، أحمد حملاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 2012.
- شرح المفصل، ابن يعيش، دارة الطباعة المنيرية، القاهرة، دت.
- شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، زكريا الأنصاري، مر: أبي الحسن محي الدين الكردي، مكتبة الغزالي، ط4، دمشق، 1992.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي، تح: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
- شرح الهداية، أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، تح: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، 1995.

- شواذ القراءات، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، تح: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، دت.
- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها في سنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تح: عمر فاروق الطباع، بيروت، 1993.
- الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة ابن عامر، أحمد محمد عبد الرّاضي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2011.
- علل الوقوف، أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، تح: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرشد ناشرون، ط2، المملكة العربية السعودية، 2006.
- علم الأصوات، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، القاهرة، 2004.
- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، سمير شريف إستيتية، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2012.
- علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، دت.
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ـ الجزائر، 2010.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998.
- علم الدلالة العربي، فايز الداية، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ، دار الفكر، ط2، دمشق، 1996.
- علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي ـ، محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت.
- العنوان في القراءات السبع، طاهر إسماعيل بن خلف، تح: زهير زاهد وخليل العطية،
- الفتح والإمالة، أبو عمرو الدّاني، تح: أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2002.
- الفونولوجيا التوليدية المتعددة الأبعاد المماثلة والتناغم في اللغة العربية، مصطفى بوعناني، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.

- في الأصوات اللغوية دراسة لأصوات المد العربية، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1984.
- في الدراسات القرآنية واللغوية ـ الإمالة في القراءات واللهجات العربية ـ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2008.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2003.
- القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، بيروت، 2005.
- القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية – منهج لساني معاصر، سمير شريف إستيتية، عالم الكتب الحديث، أربد، 2005.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1966.
- قراءات الشاذة ـ دراسة صوتية ودلالية ـ، حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، دار الصحابة للتراث، ط1، طنطا، 2006.
- قراءة يحي بن وثّاب في ضوء التشكيل الصوتي، أحمد طه حسانين سلطان، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 2004.
- الكافي في القراءات السبع، عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافغي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000.
- كتاب الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش، تح: عبد المجيد قطاش، دار الفكر، ط1، دمشق، 1403هـ.
- الكتاب، أبو بشر عثمان بن قنبر سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1982.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل، الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة عبيكان، ط1، الرياض، 1998.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1984.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، ضبط وتص: بكري حياني وصفوة الصقا، ج1، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت 1986.
- الكنز في القراءات العشر، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي، تح: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.
- لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، دت.
- اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2008.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
- اللغة، ج فندريس، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.
- اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، 1983.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.
- مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتيني، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الجزائر، دت.
- المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران، تح: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980.
- المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، مكي درار، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانية، 2004.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.
- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تلخيص: مجد مكي، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ.
- المختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خلويه، تح: آثر جفري، مكتبة البديع، القاهرة، دت.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 2002.

- من مظاهر التخفيف في اللسان العربي، حمزة عبد الله النشرتي، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1986.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، 1998.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ج1، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1988.
- معاني القرآن، الفراء، تح: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983.
- معجم الصوتيات، رشيد عبد الرحمان العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكتبة مروان العطية، ط1، العراق، 2007.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979.
- معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003.
- معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 2002.
- معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، الرياض، 1982.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004.
- المفصل في النحو والصّرف، عزيز خليل محمود، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، دت.
- مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2006.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994.
- المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، مكي درار وسعاد بسناسي، منشورات دار الأديب، وهران، 2007.

- المنهج الصوتي للبنية العربية ـ رؤية جديدة في الصرف العربي ـ، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.
- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، إبراهيم المارغيني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998.
- نشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري، عناية: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2006.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
- الوجيز في علم التصريف، عبد الرحمان بن محمد الأنباري، تح: علي حسن البواب، دار العلوم للطباعة والنشر، مصر، 1982.
- الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط7، مصر، 2011.

2 . قائمة المخطوطات:

- اقتصاد اللغوي في المستوى الصوتي ـ دراسة نظرية تطبيقية في سورة الكهف ـ ، حمزة بوجمل، مذكرة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2009.
- اقتصاد اللغوي وبعض مظاهره في العربية، ليث محمد لال محمد، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1415.
- الإدغام بين النحاة والقراء دراسة صوتية صرفية، تهاني بنت محمد بن محمود سندي، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2000.
- الإدغام في ضوء علم اللغة الحديث، وجدان عبد اللطيف موسى الشمايلة، رسالة جامعية، جامعة مؤتة، 2002.
- أثر الانسجام في البنية اللغوية في القرآن الكريم، فدوى محمد حسّان، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، دت.

- ❖ أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، علي عبد الله علي القرني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2004.
- ❖ الاختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره على المعنى، منصور سعيد أحمد أبوراس، ماجستير، جامعة أم القرى، 1426هـ.
- ❖ الإظهار والإدغام عند القراء دراسة صوتية وصفية تركيبية، عباس بن موسى، مذكرة ماستر، جامعة تلمسان، 2014.
- ❖ حروف العربية وتبدلاتها في كتاب سيبويه، مكي درار، رسالة ماجستير، وهران، السانيا، 1986.
- ❖ الخفة والثقل في الأصوات العربية، دراسة في المباني الإفرادية ـ سينية البحتري أنموذجا، محمد ماكني، مذكرة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2014.
- ❖ نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، سميرة رفاس، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2008.
- ❖ فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، إبراهيمي بوداود، رسالة دكتوراه، جامعة السانية وهران، 2012.
- ❖ سمات الاقتصاد اللغوي في العربية . دراسة وصفية تحليلية .، وردة غديري، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2003.
- ❖ الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت الطويلة . ديوان ابن هانئ الأندلسي نموذجا، صراع محمد، مذكرة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2014.
- ❖ الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، مكي درار، رسالة دكتوراه، جامعة وهران السانية، 2002.
- ❖ الهمزة دراسة لغوية وصرفية ونحوية، سلوى محمد عمر عرب، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، 1986.
- ❖ الموضح في وجوه القراءات وعللها لنصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي، عمر حمدان الكبيسي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1408هـ.

3 . مراجع باللغة الأجنبية:

- Cours de linguistique , Ferdinand De Sausure, Editions TALANTIKIT, Béjaia, 2002.

4 . قائمة الدوريات:

- إتباع الحركة في القراءات القرآنية، محمد خاطر، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد8، القاهرة، 1990.
- الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، بوزيد ساسي هادف، مجلة حوليات التراث، عدد 9، جامعة قالمة، 2009.

ملحق

مصطلحات:

علم التجويد:

التجويد في اللغة هو التحسين والإتيان بالجيّد.[1] ومصدره من جوّد تجويدا والاسم منه الجودة ضد الرداءة.[2] ويقول الحصري: "حدّه: تجويد الشيء في لغة العرب: إحكامه وإتقانه، يقال جوّد فلان الشيء وأجاده إذا أحكم صنعه، وأتقن وضعه، وبلغ به الغاية في الإحسان والكمال، سواء كان ذلك الشيء من نوع القول أم نوع الفعل."[3] **وفي الاصطلاح** على قول ابن الجزري: "هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف. "[4] فهو بذلك: إحكام حروف القرآن، وإتقان النطق بكلماته، وبلوغ الغاية في تحسين ألفاظه، والإتيان بها في أفصح منطق، وأعذب تعبير. ولا يتحقق ذلك إلاّ بإخراج كل حرف من مخرجه، وإعطائه حقّه من الصفات اللازمة له، من همس، وجهر، وشدّة، ورخاوة، أو استعلاء، أو استفال، وإعطائه مستحقه من الصفات العارضة الناشئة من الصفات الذاتية، من تفخيم وترقيق، وإظهار، وإدغام، وقلب، وإخفاء...[5]

علم القراءات:

القراءات في اللغة: ورد في لسان العرب الفعل قرأتُ الشّيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعضٍ. وفي موضع آخر تكرر في الحديث ذكرُ القراءةِ والإقتراء والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته.[6] **وأما في الاصطلاح:** وردت قراءة أو قراءات في كثير من المصنفات التراثية المهتمة بالدراسات القرآنية إذ جاء لها تعريف في قول حمدي سلطان حسن أحمد العدوي:«أما في الاصطلاح فتعرف بأنّها:علم

1 . ينظر: محمد بن موسى الشرويني الجيراري، تجويد القرآن الكريم على رواية ورشعن نافع بطريق الأزرق، ص22.

2 . ينظر : ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص162.

3 . محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص17.

4 . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص163.

5 . ينظر : محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص17-18.

6: ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ص3563.

بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معوزا لناقله»[7] ونجد لها تعريفا آخر عند العلامة أحمد بن محمد البنّا الدمياطي في كتابه إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة يقول فيه:«هو علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع»[8]؛ وفي قول قريب من الأولين يكون مفهوم القراءة:«أنها النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي، أو كما نطقت أمامه فأقرها»[9]

ترجمة للقرّاء مرتبة على حسب تاريخ الوفاة:

ابن مجاهد: هو ابن جبر الإمام أبو الحجّاج المكي المفسر، المقرئ، مولى السّائب بن أبي السائب المخزومي. توفي سنة ثلاث ومائة (103هـ).[10]

أبو رجاء: هو العطاردي، عمران بن تَيم البصري، أخذ القراءة عرضا على ابن عبّاس، وتلقّن القرآن من أبي موسى، ولقي أبا بكر رضي الله عنهما. توفي سنة خمس ومائة (105هـ).[11]

الحسن: هو ابن أبي الحسن، أبو سعيد البصري، توفي سنة عشر ومائة)110هـ).[12]

ابن عامر الشامي: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحقبي إمام أهل الشام وقاضيهم. ولد سنة إحدى وعشرين وثمان وعشرين من الهجرة على اختلاف في ذلك، وتوفي سنة ثماني عشرة ومائة (118هـ).[13]

ابن كثير المكي: هو عبد الله بن كثير الداري مولى عمرو بن علقمة الكنانيّ من التابعين إمام أهل مكة المكرمة في القراءات ولد بها سنة خمسة وأربعين (45هـ)[14]، ويقال له الداري لأنه كان عطارا والعطار تسميه العرب داريا نسبة إلى دارين موضع بالبحرين يجلب منه الطيب.[15] توفي رحمه الله بمكة سنة مائة وعشرين(120هـ).

7 . حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، القراءات الشاذة دراسة صوتية دلالية، دار الصحابة للتراث بطنطا، ج1، مصر، 2006، ص20.
8 . أحمد بن محمد البنّا ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، تح شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص67.
9 . محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، دمشق، سورية، 1999، ص16.
10 . ينظر : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبقات القرّاء، تح: أحمد خان، ج1، ط1، 1997.
11 . ينظر : المرجع السابق نفسه، ص35.
12 . ينظر : المرجع نفسه، ص46.
13 . أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء، ج1، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، الكويت، 1988، ص79.
14 . ينظر: الرّعيني، الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السّميع الشافعي، دارالكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص18.
15 . ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، التبصرة في القراءات السبع، تح: محمد غوث الندوي، مطبوعات دار السلفية، ط2، الهند، 1982، ص118.

ابن محيصن: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن محيصن السّهمي، قارئ أهل مكة. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة.[16]

عاصم الكوفي: هو عاصم بن بهدلة أبو النجود الكوفي، انتهت إليه رئاسة القراءة بالكوفة وأحد القرّاء السبعة، كان أحسن الناس صوتا. توفي سنة سبع وعشرين ومائة (127هـ).[17]

أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ تابعي مشهور كبير القدر، توفي أبو جعفر رحمة الله عليه بالمدينة سنة ثلاثين ومائة وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل: سنة تسع وعشرين وقيل: سبع وعشرين وقيل: سنة ثمان وعشرين (128هـ) وهي الأرجح.[18]

الأعمش: سليمان بن مهران الإمام العلم، أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي المقرئ الحافظ أصله من أعمال الرّي. توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة (148هـ).[19]

عيسى بن عمر: هو عيسى بن عمر الثقفي البصري النحوي، أبو عمر، شيخ العربية. توفي في حدود سنة الخمسين ومائة (150هـ).[20]

أبو عمرو البصري: زبان بن العلاء بن عمّار بن العريان بن عبد الله بن الحسين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن طابخة بن إلياس بن مضر بن معدّ بن عدنان الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري، ولد بمكة سنة ثمان وستين(68هـ) وقيل: سنة سبعين وقيل: سنة خمس وستين وقيل سنة خمس وخمسين.[21] توفي رحمه الله بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة(154هـ).[22]

16 . ينظر: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبقات القرّاء، تح: أحمد خان، ج1، ص89.
17 . ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، التبصرة في القراءات السبع، ص122.
18 . ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج2، ص333-334.
19 . ينظر: الذهبي، طبقات القرّاء، تح: أحمد خان، ج1، ص83.
20 . ينظر : المرجع السابق نفسه، ص127.
21 . ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج1، ص262-263.
22 . ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ص22.

حمزة الكوفي: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام أبو عمارة الكوفي التَّيْمي، مولى آل عكرمة التيمي الزيّات، ولد سنة ثمانين(80هـ) و هو من التابعين توفي رحمه الله سنة ست وخمسين ومائة(156هـ) بحلوان مدينة في آخر سواد العراق.[23]

ابن وردان: هو عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء: إمام مقرئ حاذق وراو محقّق ضابط. من قدماء أصحاب نافع في القراءة، توفي رحمه الله بالمدينة في حدود الستين ومائة(160هـ).[24]

نافع المدني: هو أبو عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب ولد سنة سبعين (70هـ) إمام دار الهجرة في القراءات[25]، أصله من أصبهان، وكان أسود اللون، صاحب دعابة وطيب أخلاق توفي رحمه الله بالمدينة سنة تسع وستين ومائة (169هـ)[26].

ابن جمّاز: هو سليمان بن مسلم بن جمّاز وقيل: سليمان بن سالم بن جمّاز أبو الربيع الزهري المدني، كان مقرئ ضابط. توفي رحمه الله بعد السبعين ومائة (170هـ).[27]

حفص: هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز ويعرف بحفيص، ولد سنة تسعين (90هـ). أقرا الناس دهرا، وعاش تسعين عاما، وتوفي رحمة الله عليه سنة ثمانين ومائة(180هـ).[28]

الكسائي الكوفي: هو علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة. كان إمام القراءة في عصره، وأعلم الناس بالنحو وأوحدهم بالغريب. توفي رحمه الله سنة تسع وثمانين ومائة(189هـ).[29]

شعبة: هو شعبة بن عياش بن سلم أبو بكر الحناط بالنون، الأسدي النهشلي الكوفي. ولد سنة خمس وتسعين(95هـ)، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة (193هـ) وقيل:أربع وتسعين.[30]

---

23. ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ص26.
18. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج:1، ص543.
25. ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة،1972، ص53.
26. ينظر: عاشور خضراوي الحسيني، أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الزرق، مكتبة الرضوان، مصر، 2005، ص16.
27. ينظر: المرجع نفسه، ص285.
28. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج:1، ص229-230.
29. ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، التبصرة في القراءات السبع، ص124.
30. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج:1، ص291-292.

ورش: هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم، وقيل: هو عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان ابن داوود بن سابق أبو سعيد وقيل: أبو القاسم القبطي المصري،[31] ولد سنة عشر ومائة(110هـ) بمصر، وتوفي رحمه الله بمصر سنة سبع وتسعين ومائة(197هـ).

الليث: هو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي ثقة معروف حاذق ضابط للقراءة من أصحاب الكسائي وقد عرض عليه. توفي سنة أربع ومائتين (204هـ).[32]

يعقوب الحضرمي: هو الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق ابن يزيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميّين، مقرئ البصرة في عصره. توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين (205هـ).[33]

يعقوب البصري: هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق أبو محمد الخضرمي البصري أحد القرّاء العشرة وإمام أهل البصرة ومُقرئها. توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة خمس ومائتين (205هـ) عن عمر يناهز ثمان وثمانون سنة.[34]

خلاد: هو خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي الكوفي، وكنيته أبو عيسى، ولد سنة تسعة عشر وقيل سنة ثلاثين ومائة(130هـ). كان ثقة عارفا محققا مجودا ضابطا، توفي رحمة الله عليه سنة عشرين ومائتين(220هـ).[35]

قالون: هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد[36] بن عمر بن عبد الله الزرقي ويقال المرّي المدني مولى الزهرتين وقيل مولى الأنصار, ويكنى أبا موسى ولد سنة مائة وعشرين(120هـ). قارئ المدينة المنورة بعد نافع توفي بها سنة مائتين وعشرين(220هـ) في عهد الخليفة المأمون.[37]

خلف: هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدي ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب الإمام العَلَم أبو محمد البزار البغدادي. ولد سنة

31. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ج1، ص446.
26. ينظر: الرعيني، الكافي في القراءات السبع، ص19وأنظر: ابن الجزر، غاية النهاية في طبقات القراء،ج:2، ص33.
33. ينظر: الذهبي، طبقات القرّاء، تح: أحمد خان، ج1، ص261.
34. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص336-338.
35. ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ص27.
36 : ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ج1، ص20.
37: ينظر: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، لبنان،2001، ص74.

خمسين ومائة(150هـ) وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين. وتوفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين(229هـ).[38]

روح: هو روح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي البصري النحوي، وقيل: هو عبد المؤمن بن عبدة بن مسلم مقرئ جليل، ثقة، ضابط، مشهور، عرض على يعقوب الخضرمي، توفي رحمه الله تعالى سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين(234هـ أو 235هـ).[39]

رويس: هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري المعروف برويس: مقرئ حاذق ضابط مشهور، أخذ القراءة عرضا عن يعقوب الخضرمي. توفي رحمه الله بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين(238هـ).[40]

الأزرق: هو يوسف بن عمرو بن يسار أبو يعقوب المدني ثم المصري المعروف بالأزرق أخذ القراءة سماعا وعرضا عن ورش وخلفه في القراءة والإقراء بمصر.[41] توفي رحمه الله في حدود الأربعين ومائتين(240هـ).[42]

ابن ذكوان: هو عبد الله بن أحمد بن بشر ويقال: بشير بن ذكوان بن عمرو بن حسان بن داود بن حسنون بن سعد بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر أبو عمرو وأبو محمد القرشي الفهري الدمشقي الإمام الأستاذ الشهير الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق. ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة(173هـ).[43] توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائتين(242هـ).[44]

الحلواني: هو أحمد بن يزيد الإمام أبو الحسن الحُلْواني المقرئ، توفي في سنة خمسين ومائتين (250هـ).[45]

38. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج:1، ص246-247.
39. ينظر: المرجع السابق نفسه، ص259.
40. ينظر: المرجع نفسه، ج2 ، ص206.
41. ينظر: نفسه، ج1، ص446.
42. ينظر: عاشور خضراوي الحسيني، أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص18.
43. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج:1، ص363.
44. ينظر: أحمد بن محمد البنّا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ج1، ص24.
45. ينظر: الذهبي، طبقات القرّاء، تح: أحمد خان، ج1، ص261.

هشام: هو هشام بن عمّار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي وقيل: الظفري الدمشقي إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدّثهم ومفتيهم، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة(153ه).[46] وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين(245ه).[47]

الدوري: هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان ويقال: صهيب أبو عمرو الدوري الأزدي البغدادي النحوي الدوري الضرير. توفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين(246ه).[48]

البزّي: هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة. البزّي مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام في زمانه، ولد سنة سبعين ومائة(170ه).[49] هو من موالي بني مخزوم توفي رحمه الله سنة خمسين ومائتين(250ه).[50]

السوسي: هو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي أبو شعيب السوسي الرقّي.[51] أخذ القراءة عرضا وسماعا عن اليزيدي وهو من أجّل الصحابة، روى القراءة عنه جماعة، مات أول سنة إحدى وستين ومائتين(261ه).[52]

إسحاق: هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي. كان وراق خلف وراو عنه، كما كان قيما بالقراءة، قرأ عليه جمع كثير. توفي رحمة الله عليه سنة ست وثمانين ومائتين(286ه).[53]

إدريس: هو أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد، قرأ على خلف البزّار، وأقرأ الناس ببغداد حيث أخذ عنه جماعة من أئمة القرّاء المشهورين. توفي رحمه الله يوم الأضحى سنة اثنتين وتسعين ومائتين(292ه) عن عمر يناهز ثلاث وتسعون سنة.[54]

46. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج:2، ص308.
47. ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، التبصرة في القراءات السبع، ص122.
48. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1 ، ص230-231.
49. ينظر: المرجع السابق نفسه، ج2، ص109.
50. ينظر: الذهبي، طبقات القرّاء، تح: أحمد خان، ج1، ط1، 1979، ص207.
51. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج:1، ص302.
52. ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، التبصرة في القراءات السبع، ص120-121.
53. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص241.
54. ينظر: الذهبي، طبقات القراء، ج1، ص310.

الأصبهاني: هو محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن شبيب الإمام أبو بكر الأصبهاني المقرئ، وشيخ القرّاء في زمانه. توفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين (296هـ).[55]

يحي بن ثوّاب: هو أبو محمد يحي بن وثاب الكوفي الأسدي، هو من التابعين من أهل قاشان. توفي سنة ثلاث ومائة (300هـ).[56]

ابن الفحّام: هو محمد بن أحمد بن محمد بن خلف الشيخ أبو الحسين الرّقِيّ بن الفحّام المقرئ، توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (399هـ).[57]

أبو عمرو الداني: هو الإمام الجليل عثمان بن سعيد عثمان بن سعيد بن عمرو المقرئ. ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة (371هـ) بدانية وهي مدينة بالأندلس، توفي يوم نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة (444هـ) بمسقط رأسه.[58]

ابن الجزري: هو الإمام محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، ولد ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سن إحدى وخمسين وسبعمائة بدمشق. وتوفي يوم الجمعة من ربيع الأول سنة 833هـ.[59]

55 . ينظر: الذهبي، طبقات القراء، ج1، ص278.

56 . ينظر: أحمد طه حسانين سلطان، قراءة يحي بن وثّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي، ص7.

57 . ينظر: الذهبي، طبقات القراء، ج1، ص471.

58 . ينظر : أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، ص89.

59 . ينظر : المرجع السابق نفسه، ص87.

الفهارس

فهرس الأشكال

العنوان	الصفحة

الشكل 1: التمثيل الطيفي والذبذبي لكلمة (سَأَلَ) 72

فهرس الجداول

العنوان	الصفحة

جدول 1: قياسات تردد وشدّة (يُفْسِدُ و دُ، يُفْسِدْ و دْ) 33

جدول 2: قياسات تردد وشدّة (نُسَبِحُ و حُ، نُسَبِحْ و حْ) 33

جدول 3: قياسات تردد وشدّة (يُوخَذُ و ذُ، يُوخَذْ و ذْ) 33

جدول 4: قياسات تردد وشدّة (يَخْطَفُ و خُ، يَخْطَفْ و خْ) 33

جدول 5: قياسات تردد وشدّة (أُنْزِلَ و لَ، أُنْزِلْ و لْ) 34

جدول 6: قياسات تردد وشدّة (قَبْلِكَ و كَ، قَبْلِكْ و كْ) 34

جدول 7: قياسات تردد وشدّة (يَضْرِبَ و بَ، يَضْرِبْ و بْ) 34

جدول 8: قياسات تردد وشدّة (فَتَحَ و حَ، فَتَحْ و حْ) 34

جدول 9: قياسات تردد وشدّة (بَشِّرِ و رِ، بَشِّرْ و رْ) 35

جدول 10: قياسات تردد وشدّة (البَاطِلِ و لِ، البَاطِلْ ولْ) 35

جدول 11: قياسات تردد وشدّة (قَوْمِهِ و هِ، قَوْمِهْ وهْ) 35

جدول 12: قياسات تردد وشدّة (المَسْجِدِ و دِ، المَسْجِدْ و دْ) 35

جدول 13: قياسات درجة صوت (بَ وتَ) 71

جدول 14: قياسات درجة وشدّة وزمن الهمزة 71

جدول 15: قياسات صوتي (دَ و ذَ) 72

جدول 16: كلمات ممالة من سورة البقرة 130

جدول 17: كلمات ممالة ذوات راء من سورة البقرة 131

جدول 18: كلمات ممالة ذوات ألف 132

جدول 19: كلمات ذات صوامت محذوفة الصائت 136

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة

مقدمة ..... أ – هـ

المدخل ..... 1 – 24

تصدير 2

التعريف اللغوي لمصطلح اقتصاد 3

التعريف الاصطلاحي 4

مصطلح (اقتصاد) ووجوهه عند اللغويين 8

مصطلح الاقتصاد عند القراء 17

الفصل الأول: مظاهر الاقتصاد الصوتي في الصوائت..... 25 – 63

تصدير 26

الصوائت العربية 28

الصوائت في الوقف 29

الوقف بالسكون 31

الوقف بالإشمام 37

الوقف بالروم 38

اختلاس الحركة 39

المماثلة في الصوائت 42

تعريف المماثلة 42

المماثلة في صيغ عربية 46

الإمالـــة 49

حذف الصوائت 53

نقل الصائت 59

قلب الصائت 61

الفصل الثاني: مظاهر الاقتصاد الصوتي في الصوامت .....64 – 106

تصدير 65

الخصائص النطقية والأكوستيكية للصوامت 68

تخفيف الهمزة 76

الهمز المفرد 78

إبدال الهمز المفرد 79

تخفيف الهمزة بالنقل 82

إسقاط الهمز للتخفيف 84

الهمز المزدوج 85

الهمز المزدوج في كلمة واحدة 85

الهمزتان المفتوحتان 86

الهمزتان المفتوحة والمضمومة 87

الهمزتان المفتوحة والمكسورة 87

الهمز المزدوج من كلمتين 88

الهمزتان المتفقتان 89

الهمزتان المختلفتان 90

التخفيف بالإدغام 92

الإدغام الصغير 94

الإدغام الكبير 101

الفصل الثالث: دلالة الاقتصاد الصوتي في الصوائت 107

تصدير 108

دلالة الصوائت في الوقف 111

الوقف بالسكون 111

الوقف بالروم 114

الوقف بالإشمام 116

دلالة الاختلاس 118

دلالة المماثلة في الصوائت 119

دلالة الإتباع في صيغ عربية 122

دلالة التماثل في هاء الكناية 126

دلالة الإمالة الصوتية 128

دلالة حذف الصوائت 136

دلالة نقل الصوائت 140

دلالة قلب الصائت 141

الفصل الرابع: دلالة الاقتصاد الصوتي في الصوامت ..... 144 – 173

تصدير 145

دلالات تخفيف الهمز 147

الهمز المفرد 147

إبدال الهمزة 148

تخفيف الهمز بالنقل 151

تخفيف الهمز بالحذف 153

تخفيف الهمز المزدوج 155

الهمز المزدوج في كلمة واحدة 155

الهمز المزدوج من كلمتين 158

دلالة التخفيف بالإدغام 160

مظاهر الإدغام الصغير في سورة البقرة 161

إدغام المثلين الصغير 161

إدغام المتجانسين الصغير 162

إدغام المتقاربين الصغير 164

مظاهر الإدغام الكبير في سورة البقرة 167

إدغام المثلين الكبير 167

إدغام المتجانسين الكبير 170

إدغام المتقاربين الكبير 172

خاتمة ..... 174 – 177

ملحق ..... 178 – 186

تعريف علم التجويد 179

تعريف علم القراءات 179

ترجمة للقرّاء 180

ابن مجاهد 180

أبو رجاء 180

ابن عامر 180

ابن كثير 180

ابن محيصن 181

عاصم الكوفي 181

أبو جعفر المدني ..... .181

عيسى بن عمر 181

أبو عمرو البصري 181

حمزة الكوفي 182

ابن وردان 182

نافع المدني 182

ابن جمّاز 182

حفص 182

الكسائي الكوفي 182

شعبة 182

ورش 183

الليث 183

يعقوب الحضرمي 183

خلاد 183

قالون 183

خلف 183

روح 184

رويس 184

الأزرق 184

ابن ذكوان 184

الحلواني 184

هشام 185

الدوري 185

البزّي 185

السوسي 185

إسحاق 185

إدريس 185

الأصبهاني 186

يحي بن وثّاب 186

ابن الفحّام 186

أبو عمرو الداني 186

ابن الجزري 186

قائمة المصادر والمراجع ..... 187 – 198

الفهارس 199

فهرس الأشكال 200

فهرس الجداول 202

فهرس الموضوعات ..... 205 – 212

ملخص

يجنح الأداء القرآني في مظاهر صوتية عديدة إلى التخفيف والتسهيل، وعلى إثر ذلك قامت هذه الدراسة لتعالج مبدأ الاقتصاد الصوتي في الصوائت والصوامت من خلال القراءات القرآنية. فأبرزت في البداية المصطلحات الموظفة في التراث اللغوي القديم والحديث المعبرة عن ظاهرة الاقتصاد الصوتي، لتتعرض بعدها إلى مظاهر الاقتصاد الصوتي في الصوائت ثم الصوامت، ليليها التعليل الدلالي لكل ظاهرة.

Résumé

La performance coranique, dans de nombreux aspects phonétique, tend à s'atténuer et à se faciliter. En conséquence, cette étude a abordé le principe de l'économie phonétique des voyelles et des consonnes à travers les lectures coraniques. Au début, elle a mis en évidence la terminologie employée dans le patrimoine linguistique exprimant le phénomène de l'économie phonétique, puis exposée ces phénomènes lié aux voyelles et aux consonnes, suivie de l'explication sémantique.